الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

People’s Democratic Republic of Algeria

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

Ministry of Higher Education and Scientific research


جامعة باتنة -1-

**كلية العلوم الإسلامية**

نيابة العمادة لما بعد التدرج

والبحث العلمي و العلاقات الخارجية

**University of Batna 1**

**Faculty of Islamic Sciences**

*Vice deanship in charge of post-graduation*

*Scientific research and external relations*


# الفساد والإفساد من خلال القرآن الكريم

## دراسة في التفسير الموضوعي

**بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية.**

**تخصص: كتاب وسنة.**


**إعداد الباحثة :**

غالية بن فليس

**إشراف الدكتور:**

عبد اللطيف بعجي


**لجنة المناقشة**

| الاسم واللقب | الرتبة العلمية | الجامعة الأصلية | الصفة |
|---|---|---|---|
| السعيد بوخالفة | أستـــاذ | جامعة باتنة -1- | رئيسا |
| عبد اللطيف بعجي | أستاذ محاضر - أ | جامعة باتنة -1- | مقررا |
| آسيا علوي | أستـــاذ | جامعة باتنة -1- | ممتحنا |
| هشام شوقي | أستـــاذ | جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة | ممتحنا |
| رضوان لخشين | أستـــاذ | جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة | ممتحنا |
| محمد لقريز | أستاذ محاضر - أ | جامعة المسيلة | ممتحنا |

**السنة الجامعية :** 1444-1445هـ/ 2023-2024 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم
بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

[ الرُّوم: 41].

عن النّعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم:

{الحَلالُ بَيِّنٌ، والحَرامُ بيِّنٌ، وبيْنَهما مُشَبَّهاتٌ لا يَعْلَمُها كَثيرٌ مِنَ النّاسِ، فَمَنْ اتَّقى المشبَّهات اِسْتَبْرَأَ لِدينِهِ وعِرْضِهِ، ومَنْ وَقَعَ في الشُّبُهاتِ كَراعٍ يَرْعى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ. أَلَا وإِنّ لِكُلِّ مَلِكٍ حمًى، أَلَا وإِنَّ حِمَى الله في أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وإِنَّ في الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَح الْجَسَدُ كُلّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ}.

[متفق عليه].

# مُقَدّمَـــــــة

## مقدّمــة:

أحمدك ربي حمدا كثيرا، طيبا مباركا، كما ينبغي لجلال وجهك، وعظيم سلطانك، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله خير الخلق، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى من اصطفيتهم ومن وفقتهم لطريقه وسنته، ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴾ [النساء: 70].

وبعد:

من المسلم به أن الله تعالى قد أرسل الأنبياء والرسل لهداية الناس إلى الطريق المستقيم، بعد أن تجاذبتهم الأهواء، وتفرقت بهم السبل، حتى سلكوا سبلا وصلت بهم إلى إشاعة الفساد في الأرض، في مختلف جوانب الحياة.

فجاء هذا البحث ليدرس مشكلة الفساد الذي تغلغل في مختلف نواحي الحياة، وبشتى الأنواع والصور، إلى جانب الإفساد، الذي يعدّ الإنسان فيه الفاعل الأول، حتى صار ديدنه في كلّ سعيه، و صار ظاهرة عامة، انتشرت واستشرت في حياة الناس اليومية؛ كما أخبر عنه القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [ الروم: 41].

وحين نقرأ قول الحق تبارك وتعالى على لسان ملائكته: ﴿ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ ﴾ [البقرة: 30]، تستقر في النفس الحقيقة التي لا تقبل الردّ؛ وهي أنّ الإفساد في الأرض ارتبط بالإنسان، الذي استخلفه الله في الأرض ليعمرها بالعمل النافع، وقيم الخير والصلاح، طاعة لله وقربة إليه عز وجل، لكن هذا الإنسان كثيرا ما يقع في الغفلة والزلل، وكثيرا ما يستسلم لحظوظ النفس وأمراضها،

فينتقل إلى دورٍ غير الدور المنوط به؛ بحيث يصبح فاسدا في ذاته، ومفسدا في الأرض التي استخلفه الله فيها.

ومن هنا، كان الفساد والإفساد في الأرض من أبرز المشاكل التي تعانيها الأمم والدول، منذ بدء الخلق، وبدء الحياة على هذه الأرض، إلى يوم الناس هذا؛ فلا تجد عصرا من العصور، أو قوما من الأقوام، إلا ودبّ فيهم ضرب من ضروب الإفساد، وهو ما يفهم من قول الحق تبارك وتعالى على لسان ملائكته، في تشخيص حقيقة الإنسان؛ حيث أنكرت الملائكة -كما جاء في قصة خلق آدم- استخلاف آدم وذريته في الأرض، بعد أن وسمتهم بسمة الإفساد في الأرض وسفك الدماء. وقد ظل هذا الداء ينخر كيان الكثير من الدول والأمم، منذ ذلك العهد إلى يوم الناس هذا، وكان السبب الأول في إبادة وإهلاك أقوام كثيرة.

ونظرا لكون القرآن الكريم قد أولى عناية فائقة لهذه الظاهرة؛ تشخيصا، وتصويرا وعلاجا، ارتأيت أن يكون موضوع هذا البحث موسوما بـ:

## الفساد والإفساد من خلال القرآن الكريم:دراسة في التفسير الموضوعي.

فقد شخص القرآن الكريم هذه الظاهرة في مواضع كثيرة، مبينا صورا ومظاهر كثيرة للفساد، ثم مقدّما السبل والوسائل الكفيلة لعلاجها ومحاربتها، وجاء ذلك بأساليب متنوعة ومتباينة تتراوح بين التصريح والتمثيل، والإجمال والتفصيل، والتهديد والوعيد، والوعظ والإرشاد، والترغيب والترهيب؛ إذ يتحدث القرآن الكريم مبيّنا مفهوم الفساد، بعرض أنواعه والمظاهر التي يتجسد فيها، ومرة يسوق الآيات الدّالة على ذمّه والنهي عنه، وفي مرات يحذّر من اتباع سبل المفسدين، وفي أخرى يخبر عما حلَّ بهم من عقوبات دنيوية، أو إمهالهم استدراجا إلى العذاب الأخروي، كما يذكر أحيانا أخرى نتائجه وآثاره المدمرة على مستوى الأفراد والجماعات، ثم يرشد إلى السبل الوقائية والعلاجية.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن مادة لفظ الفساد: (ف س د)، قد تكررت في القرآن الكريم ما يزيد عن الخمسين مرة، إلى جانب الألفاظ المقاربة له؛ كالإتلاف والخراب والبغي والفسق والظلم والسيئات والضر والشرور...، والألفاظ المقابلة؛ كالصلح والإصلاح والحسنات ومختلف اشتقاقاتهما، وليس التكرار إلا أمارة من أمارات الاهتمام والأهمية، التي يكتسيها موضوع الفساد؛ للتذكير والتنبيه على الآثار التي يخلفها في حياة المجتمع والفرد على حدّ سواء، وهو ما يدعو إلى إفراد الموضوع بالنظر والتدبر والبحث، من أجل الإلمام بعناصر الموضوع، والكشف عن نظرة القرآن الكريم فيه، في إطار التفسير الموضوعي، والخروج بالمعاني والأهداف من أصلها؛ تقريبا للصورة الصحيحة عن الموضوع إلى أفهام الدارسين والمهتمين، سواء في الحقل الأكاديمي أم في الحقل المعرفي العام.

فإذا كان القرآن الكريم الأصل الأول في التأصيل لكل موضوعات الحياة؛ من خلال أحكامه وفرائضه وقصصه؛ وهو الشاهد والمعيار على سلوكات البشر، وهو كتاب الله الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وأبان عن متعلقاتها وتداعياتها، فإنه من خلال هذا الأصل يمكن لكل باحث أو دارس، أن يبني موضوعا متكاملا، يقارب من خلاله فهم التصوير القرآني لمختلف الموضوعات، ومن ثم الخروج بالنظرية القرآنية لموضوع الفساد والإفساد.

## إشكالية الموضوع:

فكيف صوّر القرآن الكريم هذا الموضوع ؟، وما هي الحقيقة القرآنية التي يمكن الوصول إليها من خلال مشروع هذا البحث؟ وإذا كان الصلاح هو الأصل والفطرة، والفساد خروج عن هذه الفطرة والجبلة البشرية، فما هي الأسباب التي أدت إلى خروج

الأمـور مـن دائـرة الصــلاح، ومـن ثَـم إلــى انتشــار الفســاد واسـتفحاله فــي حيــاة الأفـراد والمجتمعات؟ وما هي الظروف التي يتراجع أو يغيب فيها الصلاح والإصلاح ؟ وما هي آثار وانعكاسات ذلك على الأفراد والدول في منظور القرآن؟ وما هي الموانع أو الإجراءات الوقائية والعلاجية الممكنة في إطار النظرة الكلية للقرآن الكريم؟.

## أهمية الموضوع:

تجلّت أهميـة الموضـوع بدايـة، فـي ارتبـاط الدراسـة بأصـل هـذا الـدِّين؛ وهـو القـرآن الكريم، ثم في العناية التـي أُولِيَت للموضـوع؛ حيث جاء مبثوثا في مختلف أجزاء القرآن وسـوره، لتبصـير العبـاد بحقيقـة الفسـاد والإفسـاد فـي الأرض، وبخطرهمـا علـى الأفـراد والجماعات؛ هذه العناية التي تبيّن مدى حرص القرآن الكريم على تجنيب الناس الوقوع في الفساد، بقدر ما يريد منهم الإصلاح، ودعوتِهم إلى عدم الاغترار بما هم فيه من الـنعم؛ كـالقوة، والمـال، والسـلطان، وعـدم تعرضــهم للعقـاب الـدنيوي، والاحتجـاج بمغفـرة ورحمـة الله عـز وجـل عـنهم، غفلـة مـنهم عـن إمهـال الله تعـالى للفاسـدين وتـأخيرهم رجـاء توبتهم، ثم دعوة الناس كافة أفرادا وجماعات، إلى الاتعاظ والاعتبار من مآل المفسدين، وفقه سنن الله في رصد ومتابعة السلوكات الفردية والاجتماعية للمفسدين عبر التاريخ ، والتصرف بناءً على ذلك.

ومما يزيد في أهمية الموضوع، تأكيد القرآن الكريم على أن تفشي الإفساد هو إيذان بإهلاك وتدمير الأمم والدول مهما علا كعبها، وبلغت قوتها.

وهذا ما يبرر الحاجة إلى فهم حقيقة الفساد والإفساد؛ أفرادا ومجتمعات، ومعرفة الأسباب التي أدت إلى ظهوره، وساعدت على انتشاره، ومعرفة ما ينجرّ عنه من تداعيات ؛ كانعدام الأمن والاستقرار، والانحلال الاجتماعي والأخلاقي، وانتشار الآفات المختلفة؛

اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا؛ كالغش والاحتيال والرشوة....، إلى جانب ما يترتب عليه من آثار وعواقب دنيوية، وأخرى أخروية.

ومن هنا، فإنّ أهمية موضوع الفساد والإفساد تنبع من القيمة التي يضيفها البحث إلى الدراسات والبحوث في موضوعات القرآن الكريم، خاصة وأنّ الموضوع ثابت الصلة بالمجتمع؛ الذي جاءت الشريعة الإسلامية لإرساء القواعد والأركان التي يقوم عليها بنيانه وتقوى به دعائمه.

ولمّا كان الفساد هو المقوض الأول للنسيج الاجتماعي ـ والمقصود هنا المجتمع المسلم ـ فإنّ دراسة الموضوع من مختلف جوانبه؛ بدءا من المفاهيم التي يقدمها القرآن الكريم، ووصولا إلى أساليب الوقاية والعلاج، يوفر الأجوبة لمختلف التساؤلات، والحلول الممكنة لكثير من المشكلات، التي تنشأ بين الأفراد والمجتمعات.

أما الأهداف المتوخاة من هذا البحث، فيمكن إجمالها فيمايلي:

1- تكوين تصور شامل وواضح، حول موضوع الفساد والإفساد من خلال القرآن الكريم؛ من حيث بيان أنواعه وصوره، وأهم الأسباب التي تؤدي إلى ظهوره وانتشاره، والكشف عن آثاره وعواقبه، وكيفية علاجه، والخروج بنظرية علمية فيه.

2 - كما يهدف هذا البحث إلى التذكير بمدى خطورة الفساد والإفساد في حياة الأفراد والدول، على مرّ العصور والأجيال، وتقديم طرائق المعالجة القرآنية، وسبل اكتساب الحصانة والمناعة، التي تحول دون استفحال الظاهرة واستشرائها.

3- محاولـة الخـوض فـي تجربـة تطبيـق مـنهج التفسير الموضـوعي، باعتبـاره منهجـا حديثا، تعضدت به مناهج تفسير القرآن الكريم؛ حيث أنـه يعدّ إضـافة قيّمـة مفيدة، أضـيف إلـى المنـاهج الأولـى، لتيسير ومقاربـة فهم موضـوعات القرآن الكريم المختلفـة، وحصـرها بشكل موضوعي متناسق ومنسجم الأبعاد، يكفي كل مهتم أو دارس عنـاء البحث والعود إلـى ثنايا التفاسير المختلفـة، فهو مـنهج ميسّر لإبراز حقائق القرآن الكريم فـي الموضـوع الواحد في الموضع الواحد، وعرضه بصورة لافتة، ليستوعب مختلف الجوانب التـي تلامس أي موضوع من الموضوعات المراد دراستها.

## الدراسات السابقة:

تراوحت الدراسات التـي وقفت عليها بين المقالات والكتب؛ منها ما حصلت عليه بين يديّ، ومنها ما لم يتسنّ لـي الحصول عليه.

إلا أنّ أكثر ما وقفت عليه كان من المقالات، والأوراق البحثية الخاصـة بالمؤتمرات، المنعقـدة فـي إطـار محاربـة ظـاهرة الفسـاد، وبعـض الرسـائل الجامعيـة؛ تنـاول أصـحابها موضوع الفساد، بذكر أنواعه و مظاهره أو أسبابه داخل المجتمع، ومنها مـا ركّز أصـحابها على بيان طرق دفعه، والوقاية منه.

وجـدير بالـذكر، أن هنـاك تباينـا بـين المـؤلفين فـي تصـنيف و تقسـيم الآيـات إلـى الصـور والأسـباب، والأخرى إلـى الموانـع والآثـار؛ فمنهم من عدّ الصـور أسـبابا، والآثـار موانـع، والعكـس صـحيح، وهـذا مـا يتـرك انطباعـا بـاختلاف الأفهـام والتصـورات عنـد الدارسين، الأمـر الـذي يقود للتأكيد علـى أن الفسـاد لا يولّـد إلا الفسـاد، والآثـار قد تكون موانـع، وأن المفاسـد إذا حاصـرت المجتمـع مـن كـل الجوانـب كـان ذلـك إيـذانا بسـقوطه وهلاكه.

و في حدود ما اطلعت عليه أيضا، لم أقف على بحث أكاديمي متكامل وفق ترتيب عناصر **منهج التفسير الموضوعي التجميعي**؛ الذي يقوم فيه الباحث بجمع مادة الفساد والإفساد من الآيات القرآنية، ثم دراستها واستنباط الموضوعات التي اهتمت بها الآيات، ليتم بعد ذلك تصنيف تلك الموضوعات في فصول ومباحث ومطالب؛ بدءا بالمفاهيم والتعريفات، وانتهاءً إلى الآثار وطرق الوقاية أو العلاج، تبعا للخطوات التي حددها المنظرون لهذا المنهج، للوصول إلى نظرة واضحة عن الموضوع، أو على الأقل مقاربة النظرية والتصور القرآني لموضوع الفساد والإفساد.

فكان من بين ما تحصلت عليه، مؤلفات تناولت نوعا من أنواعه؛ كالفساد الإداري أو السياسي منها كتاب:

**الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية (أزمة الشورى) للشيخ محمد الغزالي** ، وهو كتاب يتناول مشكلة استبداد الحكام في البلاد العربية، بسبب بعدهم عن المنهج الإسلامي في سياسة شعوبهم، وقد أطلق عليه المؤلف تسمية الفساد السياسي، وهو صورة من صور الفساد في الأرض.

وكتاب: **الفساد الإداري كمعوق لعمليات التنمية الاجتماعية والاقتصادية** للدكتور صلاح الدين فهمي محمود، نشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض سنة 1994م، اعتنى صاحبه بتوضيح الفساد الإداري، كسبب من أسباب التخلف الاقتصادي والاجتماعي، فوجدته يتقاطع مع دراستي في عديد من العناوين؛ كالسرقة والرشوة التي أوردتها في مبحث الفساد المالي والاقتصادي.

وهناك كتاب بعنوان: **حرمة الإفساد في الأرض** لعبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية دون بيانات، إلا أنه يصنف ضمن

كتب الفتاوى؛ لأنه عبارة عن جملة من الفتاوى حول قضايا إفساد وقعت بالسعودية، وليس خاصا بدراسة موضوع الإفساد في الأرض كما يوحي به العنوان.

وهناك كتاب تناول الإفساد كمرادف للإرهاب والبغي وهو كتاب: **الإرهاب ومرادفاته من البغي والإفساد في ضوء آيات الكتاب** لعبد الرحمن بن جميل قصاص؛ وهو بحث في مفاهيم الاصطلاح القرآني، تناول فيه الكاتب لفظ الإفساد كمرادف للفظ الإرهاب .

كما اطلعت على مقالات على شبكة المعلومات – الإنترنت- مثل: **محاربة القرآن للفساد والإفساد** لصلاح عبد الفتاح الخالدي، و**مفهوم الفساد في القرآن والحديث** لفاطمة بيهردي؛ وهي دراسة في المصطلح القرآني، وهناك رسالة جامعية بعنوان: **منهج القرآن الكريم في دفع الفساد:** رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في القرآن وعلومه، من إعداد الطالب يوسف بن عبد العزيز بن سليمان العُقيلي.

وعثرت مؤخرا – وأنا أسجل سطور هذه المقدمة – على كتاب بعنوان: **الإفساد في الأرض، صوره وأسبابه وسبل الوقاية منه في ضوء الكتاب والسنة**، لمؤلفه عبد القادر محمد المعتصم دهمان، منشورات دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى: 1441هـ/2020م، يبدو من عنوانه التنظيم والتسلسل في إيراد الحيثيات ذات الصلة بموضوع الإفساد في الأرض، إلا أنه افتتح مؤلَّفه بمبحث حول التحذير من الإفساد، ضمّنه مطلبا خاصا بتعريف لفظ الفساد، دون الإشارة إلى لفظ الإفساد الوارد في عنوان الكتاب.

هذه الجملة من المراجع، تنمّ مرة أخرى عن أهمية مدارسة وبحث هذا الموضوع، وقد استفدت منها في دراستي هذه، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

## أسباب اختيار الموضوع:

من الطبيعي أن يكون أول سبب من الأسباب التي دفعتني إلى البحث في هذا الموضوع هو ابتغاء الأجر في دراسة القرآن الكريم، ومحاولة فهم معانيه وتدبرها؛ فلا أجلّ

ولا أعظم من أن تصرف الجهود والأعمار في طلب مراد الله تعالى، من خلال كتابه العزيز المبارك، الذي قال عنه المولى تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص: 29 ]، ومن دون شكّ الطمع في فضل الله تعالى؛ أن يدخلني و كل دارس أو باحث، في زمرة أولي الألباب إن شاء الله.

وبالإضافة إلى الدوافع الذاتية التي تتبنى عليها علاقة الباحث العاطفية بالبحث، وهي دوافع كثيرا ما ينطلق منها أي باحث في اختيار موضوع بحثه، فإن هناك دوافع موضوعية تظل هي الأساس في تحديد المسوغات العلمية لهذا الاختيار، وأذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1- محاولة ربط الواقع الخارجي بالمقاربة القرآنية؛ فالفساد بمظاهره وصوره المختلفة، بات ظاهرة منتشرة بشكل لافت في عموم المجتمعات البشرية؛ التي أحدثت قطيعة مع القيم الفطرية للإنسان السّوي، مما أدى إلى تهاوي منظومة القيم وتراجعها، والمجتمعات المسلمة ليست بمنأى عن ذلك إن لم تبد تمسكا أكثر، وارتباطا أقوى بتعاليم الدين وأحكامه كما جاءت في القرآن الكريم، الذي نقل لنا ما كان عليه، وما آل إليه حال بعض الأمم السابقة التي سلكت مسلك الفساد والإفساد، ومن ثم يمكن استخلاص الكثير من العبر، التي تندرج ضمن السنن التاريخية، التي ترصد حركة المجتمعات البشرية، وكيف يكون حالها ومآلها مرتبطا بجدل الصلاح أو الفساد فيها.

2- السعي للإحاطة بالنظرية القرآنية في هذا الموضوع، وتحصيل المعرفة بدقائق الموضوع وأبعاده وحقائقه، والإحاطة بكل جوانبه؛ بدءًا من المفاهيم و وصولا إلى الأسباب، ثمّ إلى العواقب المترتبة على المفسدين، بغية الاعتبار، والتحذير من مقاربة الفساد والإفساد.

3- محاولة الإسهام في إثراء الدراسات الموضوعية للقرآن الكريم، باعتبارها منهجا حديثا، وبيان قيمة هذا المنهج التفسيري، وفضله وفوائده، والذي تحس من خلال تسميته، بالحاجة الملحة لفهم كل موضوعات الحياة كما يصورها القرآن الكريم، لأنه لا غنى لأحد عنها في حياة المسلمين اليوم؛ حيث اختلطت الأمور والتبس الحق بالباطل، فكان لزاما العود إلى مصدر الرشاد والهداية، لنستشف منه ما يصحح الرؤى، ويوجه الأفكار والعلاقات، ويربطها بالخالق عزّوجلّ.

4- القناعة الراسخة بأن القرآن كتاب الله الذي يسَّره للذكر؛ ليس تلاوة وحسب، ولكن دراسة وبحثا، وعلى مر الزمن، ومن جيل إلى جيل، يأخذ منه كلٌّ ما يُسّر له؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: 17]. جعلنا الله من المدّكرين لكتابه، المتمثلين لمبادئه ومعانيه.

## المنهج:

بما أن هذا البحث يقوم على **منهج التفسير الموضوعي التجميعي**، فقد اقتضت طبيعة الدراسة استخدام عدة آليات وأدوات:

أولها استقراء القرآن الكريم وجمع الآيات والشواهد القرآنية المتعلقة بالموضوع، التي تعد بمثابة المادة العلمية الأولى، خاصة التي تناولته باللفظ نفسه، ثم تجميعها في مجموعات، تصنف كل مجموعة حسب المعاني المستفادة من الآيات المندرجة ضمنها في فصول أو مباحث أو غير ذلك، ثم يأتي تحليل الآيات، واستنباط ما يتيسّر استنباطه، استنادا إلى التفاسير بمناهجها المختلفة، والاطلاع على ما كتب في الموضوع قديما وحديثا، وعلى ما توصلت إليه الفُهوم البشرية منذ القرون التي تصدى فيها العلماء

والمفسرون لتفسير معاني القرآن الكريم، للوصول بعد ذلك إلى الكليات التي تمثل المعايير والمقاييس لحقيقة الفساد والمفسدين.

إنّ اعتماد هذا المنهج كمنهج حديث لتفسير موضوعات القرآن الكريم، لا يعني بأي حال من الأحوال الاستغناء عن التفاسير الأولى المختلفة؛ لأن اختلاف مناهجها يجعلها متكاملـة، ويخـدم بعضـها بعضـا؛ كالتفاسـير التـي تعتمـد التفسـير اللغـوي، أو التحليلـي الإجمـالي، والتـاريخي وغيرهـا، ليـأتي فـي الختـام تحريـر المـادة العلميـة وصـياغتها وفـق مخطـط البنـاء الكلـي للموضـوع، الـذي تتـرابط فيـه الموضـوعات الفرعيـة والرئيسـية ترابطـا يمكّن من إدراك الكل إدراكا شـامـلا.

## تنفيذ منهج الدراسة:

وأثناء كتابة البحث اعتمدت على عدة أدوات تمثلت فيما يلي:

1- كتبـت الآيـات القرآنيـة بخـط مخـالف لخـط مـتن البحـث وجعلتهـا بـين قوسـين مزخرفين ــ وللأمانـة الآيات منسوخة من مصـحف المدينـة – وأتبعتهـا باسم السورة ورقم الآية بين قوسين معقوفين.

2- أمّا عن الأحاديث النبويـة الشريفة والآثـار، فقد اعتمـدت الأحاديث الصـحيحة الـواردة فـي الصـحيحين فـي أغلـب الأحيـان، إلـى جانـب الأحاديث الـواردة عنـد أصـحاب السـنن أحيانـا، وكتبتهـا بخـط مختلـف عـن خـط المـتن، وقمـت بشـكلها ووضـعها بـين حاضنتين، ثم عزوتها إلى مواضعها من خلال تخريجها في الهامش.

3- حرصت على الأمانة في نقل النصوص كما هي وإن طالت – كلما وجدت ذلك أكثر فائدة – للمحافظة على المعنى الذي يريده صاحبه، واقتبست من أقوال أخرى رأيت

الاقتباس فيها أنجع، وعزوتها إلى مصادرها، كما حرصت قدر المستطاع على إ يراد المفاهيم والأقوال، حسب الأسبقية الزمنية، حتى يعود الفضل لصاحبه، والحقّ لأهله.

4- أمّا ثبت المصادر والمراجع فبنيته على ما اشتهر به المؤلف من كنية أو لقب أو نسبة، وأتبعته بالاسم الكامل، ثم أردفته بعنوان المؤلَّف، فباقي المعلومات الخاصة بالنشر، ثم يليها الجزء من الكتاب إن وجد، مع الصفحة.

5- اجتهدت في إخراج البحث بصورة واضحة من حيث الخط وحجمه، وخاليةٍ من الأخطاء الإملائية والنحوية والتركيبية والمطبعية، اللهم إلا ما وقع سهوا أو غلبة.

6- ذيلت الرسالة بفهارس لعناوين الفصول، والمباحث، والمطالب، التي جاءت في البحث، إلى جانب فهرسة الآيات والأحاديث النبوية، وملخصا باللغة العربية أردفته بملخصين؛ إنجليزي، وآخر فرنسي.

## خطة البحث:

لقد حاولت تأطير المادة العلمية لهذه الدراسة في أربعة فصول تصدرتها مقدمة البحث؛ فكان **الفصل الأول** موسوما بـ : **تعريف الفساد والإفساد وحكمهما**، وقد قسمته إلى مبحثين؛ تناولت في المبحث الأول: تعريف الفساد والإفساد، وفي المبحث الثاني: تناولت حكم الفساد والإفساد، وقد وسمت **الفصل الثاني** بـ: **مجالات الفساد وأنواعه**، وقسمته إلى أربعة مباحث؛ تناولت في المبحث الأول: الفساد العقدي، وفي المبحث الثاني: الفساد الأخلاقي الاجتماعي، وفي الثالث أوردت صورا للفساد الاقتصادي المالي، وفي المبحث الرابع: تناولت الفساد السياسي، وقد جعلت **الفصل الثالث** موسوما بـ: **أسباب الفساد وموانعه**، قسمته إلى مبحثين؛ تناولت في المبحث الأول: أسباب الفساد، وفي المبحث الثاني: موانع الفساد وسبل دفعه، أما **الفصل الرابع** الموسوم بـ: **آثار الفساد**

**وعواقبه**، فقد قسمته هو الآخر إلى مبحثين؛ تناولت في المبحث الأول: آثار الفساد وعواقبه الدنيوية، وفي المبحث الثاني: آثار الفساد وعواقبه الأخروية.

وقد تخللت هذه الفصول الأربعة مجموعة من المطالب، والعناوين الفرعية التي تم تحديدها بحسب ما اقتضته المادة العلمية لكل فصل، ثم تلت هذه الفصول خاتمة البحث، التي حاولت من خلالها ضبط أهم النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة، وبعدها تم ضبط قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في البحث.

## مصادر البحث ومراجعه:

بالنسبة للمصادر والمراجع، فقد حاولت جاهدة الحصول على أكبر قدر منها، للتنويع وإثراء موضوعات البحث، بالعودة إلى مراجع قديمة وحديثة، تمثلت في المعاجم الأولى والقواميس الحديثة، إلى جانب مصادر تفسير القرآن الكريم بمختلف اتجاهاتها؛ القديم منها والحديث، وهي المصادر التي لها حصة الأسد في مثل هذه البحوث، إلى جانب كتب الحديث وأصحاب السنن باعتبارها شارحة ومفسرة للقرآن الكريم.

كما استعنت في كثير من الأحيان، بالمصادر والمراجع التي وردت في المكتبة الإلكترونية الشاملة، والمكتبة الوقفية.

## صعوبات البحث:

تختلف المصاعب التي يواجهها الباحثون في إنجاز أبحاثهم، من باحث إلى آخر، وبحسب طبيعة البحث ومتطلباته وظروفه، لكن في كل الأحوال، الحديث عن هذه الظروف والمصاعب لا يعني أبدا تقديم المبررات التي قد تُسَوِّغ ما لا يقبل التبرير، وإنما ذكرها هو من قبيل الوصف لتجربتي مع هذا البحث وظروفه، وأذكر من ذلك:

1- سعة الموضوع التي تعود إلى طبيعة الظاهرة المدروسة؛ ذلك لأن ظاهرة الفساد والإفساد في الأرض ليست محصورة في سلوك معين، أو في مجال ضيق ومحدد، بل ظاهرة متعددة المظاهر والأشكال، وهي متلونة ومتعددة ومتشابكة في تداخل معقد؛ بحيث

تتداعى المعاني المرتبطة بموضوعات الفساد والإفساد، ويحيلنا بعضها إلى بعض، إلى جانب كون الفساد يستغرق كل السيئات والمعاصي، قلّت أو كثرت، صغرت أو عظمت، مما يؤدي إلى صعوبة التحكم في الموضوع، وضبط مادته وتصنيفها وترتيبها بحسب الأنواع والأسباب والنتائج.

2- الصعوبة الأخرى ترتبط بطبيعة المحاذير التي تلازم الباحث في مجال التفسير؛ إذْ يجد حرجا كبيرا إن هو أورد أو نقل معاني أو تفسيرات لألفاظ القرآن بعيدة عن مراد الله تعالى فيها- ولو عن غير قصد منه- لذلك عليه أن يكون أكثر حيطة و حذرا حتى في النقول والاقتباسات التي يأخذها عن الآخرين، حتى لا يكون سببا في ترويج أفكار مغلوطة من حيث لا يدري، فضلا عن الشروحات والاستنباطات التي يستنبطها ويستنتجها بنفسه، لأنه يتعامل مع كلام الله تعالى، حتى لا يشطن ويبتعد عن مراد المولى عز وجل، فيقع في ما لا يرضيه سبحانه و تعالى.

في الختام: أحمد الله مرة أخرى، و مرات تترى، أن وفقني إلى إتمام هذه الدراسة، ثم لا بد من الاعتراف بفضل ذوي الفضل؛ وأخص بالذكر الأستاذة الدكتورة: نورة بن حسن، التي رافقتني في بداية إعداد هذا البحث مذ كان فكرة ومشروعا؛ و قد كان لها علي فضل التوجيه في عديد من مراحل البحث، لذلك أتقدم لها بخالص الشكر والامتنان على مرافقتها، وأسأل الله أن يمدها بالصحة والعافية، والشكر موصول للدكتور المشرف:

عبد اللطيف بعجي، الذي تولى مواصلة مسيرة الإشراف على البحث؛ بتقديم التعديلات والتصحيحات المناسبة، بكل رحابة صدر، وطيب خاطر، إلى أن استوى بحثا بالصورة التي هو عليها الآن، وأكبر فيه حرصه وتعهده لهذا العمل بالاهتمام والمتابعة. الله أسأل أن يبارك في عمره وعلمه، وينفع به، و يجزل له المثوبة والأجر العظيم.

كما لا يفوتني تقديم واجب الشكر للسادة الأساتذة الأفاضل؛ أعضاء لجنة المناقشة على ما سيتفضلون به من ملاحظات علمية، سأتقبلها بصدر رحب، لثقتي

واقتناعي بأنها ستخدم البحث وتعضده، مع التأكيد على أنني أتحمل بمفردي ما في البحث مِن نقائص أو أخطاء، قد تكون بسبب عجز أو تقصير.

أسأل الله التوفيق والتيسير، وآخر الدعاء أن الحمد لله رب العالمين.

باتنة في: 18 شوال 1445هـ

الموافق لـ: 27 أفريل 2024م

# الفصل الأول:

# تعريف الفساد والإفساد وحكمهما

- ❖ المبحث الأول: تعريف الفساد والإفساد .
- ❖ المبحث الثاني: حكم الفساد والإفساد.

# توطئة:

من خصائص هذا النوع من البحوث في التفسير والتفسير الموضوعي على وجه الخصوص، وجوب الوقوف على المعنى اللغوي المعجمي[1]، ثم المعنى الاصطلاحي للفظة المراد دراستها من خلال القرآن الكريم؛ إذ كثيرًا ما يجتمع ويتفق المعنى اللغوي مع المعنى الاصطلاحي، أو المعنى القرآني للفظة موضوع البحث، وكثيرًا ما يتفق اللغويون وشرّاح المصطلحات وعلماء التفسير في بيان وإظهار معنى اللفظة، كما أنّ دراسة ألفاظ القرآن الكريم، وبيان تعريفهما اللغوي والاصطلاحي، له أهمية كبرى في بناء التصور العام للموضوع، وبيان أحكامه وخصائصه وكلّ متعلقاته؛ لأنها ألفاظ غنية بالدلالات المتنوعة والتأثيرات، التي تجعل كل لفظ في القرآن الكريم يعبّر عن قضية كبرى في هذا الدين، يمكن أن تكون موضوعا أو بحثًا قائما بذاته، يستدعي البحث والتقصّي.

من هذه الألفاظ التي جعلتها موضوع البحث؛ لفظا: الفساد والإفساد.

وسيأتي بيانها في المبحث الآتي:

---

[1]- الصورة المعجمية لأي لفظ في اللغة العربية تمثل المرجعية الأولى لهذا اللفظ في القاموس الخطابي، باعتبار دلالته الأولى، لأن الحالة المعجمية للألفاظ تمثل الصورة الأساسية لمحيطها الدلالي. فايز الدّاية، علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، دار الفكر، دمشق، سورية، (ط2، 2006م)، 41/1.

# المبحث الأول: تعريف الفساد والإفساد.

يستدعي عنوان البحث قبل الغوص في تفاصيله، الوقوف أولا عند لفظ الفساد والإفساد، لبيان معنييهما من خلال معاجم اللغة، ثم إيراد الاستعمال الاصطلاحي الشّرعي للفظتين، ثم بيان أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بين التعريفين والاستعمالين.

## المطلب الأول: تعريف الفساد والإفساد في اللغة.

### أولا: الفساد.

جاء لفظ الفساد في معاجم اللغة بتعريفات كثيرة، تلتقي وتتفق في بيان معنى الفساد، منها مايلي:

ما ورد عند الفراهيدي (100هـ- 175هـ): الفساد من الفعل فَسَدَ، والفساد نقيض الصّلاح، وفسَد يَفْسُدُ، وأفسَدْتُهُ.(1)

والتعريف نفسه عند الأزهري (282هـ - 370هـ): الفساد نقيض الصلاح، والفعل فَسَدَ يفسُد فسادًا.

وأضاف عليه: فَسُدَ فُسودًا لغة أخرى. وقول الله عز وجل﴿ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ ﴾[المائدة: 64 ]، نصب لفظ فسادًا لأنه مفعول له، والمعنى: يسعون في الأرض للفساد.

ويقال: أفسد فلان المال يُفْسِدُه إفسادًا وفسادًا، وفسَّد الشيء إذا أباره.(2)

---

(1)– الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (دط. دت)، باب السين والدّال والفاء، 7/ 231. الفراهيدي: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ( ط1، 1424هـ/ 2003م )، باب الفاء، 2/ 321. الأزدي: محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري، جمهرة اللغة، مطبعة مجلس دائرة المعارف الكائنة ببلدة حيدر آباد الدكن، (ط1، 1344هـ)، 263/2.

(2)– الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، مراجعة: علي محمد البجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (دط، دت) مادة: فسد، كتاب حرف السين والدّال، 12 / 369-

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: البور هو الفاسد، وفي قوله تعالى: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ ﴾[ الفتح: 12]؛ أي قومًا فاسدين.(1)

ونحى الجوهري(ت383هـ) المنحى نفسه في تعريفه فقال: " فسد الشيء يفسُد فسادًا، فهو فاسد...وكذلك فسُد الشيء بالضمِّ، فهو فسيد، ولا يقال انفسد وأفسدته أنا، والاستفساد خلاف الاستصلاح، والمفسدة خلاف المصلحة".(2)

بالنّظر في التعريفات أو المفاهيم السابقة، يظهر أنّ أصحابها قد عرّفوا الفساد ببيان نقيضه، فأجمعوا على أنّ الفساد ضدّ الصلاح؛ وهذا من باب توضيح معنى اللفظ بضدّه.

أمّا الراغب الأصفهاني(ت502هـ) فقد أعطى للفظ الفساد معنًى عامًّا، فعرّف الفساد بقوله: " الفساد خروج الشيء عن الاعتدال قليلا كان الخروج عنه أو كثيرًا، ويضادّه الصلاح، ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة، يقال فسد فسادًا وفُسُودًا، وأفسده غيره ".(3)

وعند الزمخشري (ت538هـ): الفساد ما كان في الدِّين.(4)

وعند ابن الجوزي (ت597هـ): الفساد تغيّر الشيء عمّا كان عليه من الصلاح، ويذكر الفساد في الدّين كما يذكر في الذّات؛ فقد يكون الفساد طارئا على الحج أو العمرة

---

370. ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين بن منظور الإفريقي المصري، تحقيق: عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، (دط، دت)، باب الفاء، 3413/37.

(1)– الفراء: أبو زكريا يحي بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي الفراء، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشبلي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، (ط1، دت)، 66/3.

(2)– الجوهري: اسماعيل بن حماد الجوهري، الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (ط4، 1990م)، باب الدال فصل الفاء، 2 / 519. ابن فارس: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دارالفكر، بيروت، لبنان، (دط، 1399هـ/ 1979م)، كتاب الفاء، 4 / 503.

(3)– الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تم التحقيق والإعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى، الناشر مكتبة نزار مصطفى، (دط، دت)، 2/ 391.

(4)– الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط1، 1419هـ/1998م)، المحتوى: فأد– يهم، 22/2.

أو الصلاة، وقد يقال في العقود إذا لم تستوف شروطها، أو في الأقوال والأفعال إذا لم يعتدّ بها.(1)

وأمّا الفيروز آبادي (ت817هـ)، فأضاف على من سبقه ممن – عرَّفوا الفساد بنقيضه – إضافة جعلت مفهوم الفساد ينسحب ويختصّ أيضا بالأموال، وما يكون فيها من تعاملات فاسدة، فقال: الفساد أخذ المال ظلمًا، وأضاف أيضا: الفساد هو الجَدْبُ.(2)

وصاحب الكليات(1028هـ – 1094هـ) جعل تعريفه للفساد في شقين: (3)

**الأول:** قارن فيه الفساد بالظُّلم؛ بحيث جعل الفساد أعمّ من الظّلم، مبيّنا ذلك بقوله أنّ الظلمَ هو النَّقص، ومن سرق من مال الغير فقد نقص حقَّ الغير، والفساد أعمّ من هذا.

**الثاني:** أطلق الفساد على الابتداع واللهو واللعب.

وأمّا الزبيدي في معجمه (ت1205هـ)، فقد فرق بين الفعل ومصدره، فأعطى مرادفا للفعل فسد فقال: فسد الشيء أي بطل واضمحلَّ وتغيّر، أمّا الفساد فقال عنه: هو أخذ المال ظلما بغير حقّ.

ثمّ أضاف، أن الفساد في قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: 41]؛ يقصد به الجدْبُ في البَرّ والقحط في البحر.(4)

---

(1)– ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، دراسة وتحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، طبع بمساعدة اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري في الجمهورية العراقية، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط3، 1407هـ/1987م)، ص: 469.

(2)– الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، الشيرازي، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (دط، 1301هـ)، باب الدّال، فصل الفاء، 1/ 320.

(3)– الكفوي: أبو البقاء الحسيني الكفوي، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، قابله على نسخة خطية وأعدّه للطبع ووضع فهارسه عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (ط2، 1419هـ /1998م)، ص: 692.

(4)– الزبيدي: السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي هلالي، مراجعة: عبد الله العلايلي وعبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، (ط2، 1407هـ /1987م)، باب الدّال، 8/496.

وفي المعجم الوسيط: فسد اللحم أو اللبن بمعنى أنْتَنَ أو عطب، وفسد العقد ونحوه أي بَطَل، وفسد الرجل جاوز الصّواب والحكمة، وفسدت الأمور اضطربت وأدركها الخلل. وفي قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [ الأنبياء: 22]، الفساد هنا العطب والتّلف والاضطراب والخلل، ومن الفساد أيضا الجدب والقحط، كما هو في قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الروم: 41 ]، ومن الفساد أيضا إلحاق الضّرر، كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ﴾[المائدة: 33].[1]

وإلى هذا الأخير، ذهب صاحب تكملة المعاجم العربية (1820م – 1883م)؛ أي إلحاق الضرر، وأضاف عليه قطع الطريق، وارتكاب القتل والاغتيال، والفجور والفسق، والدّعارة والعهر واللواط.[2]

بالنظر في هذه التعريفات للفظ الفساد، يمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات:

**المجموعة الأولى:** وهي مجموعة المتقدمين من أصحاب المعاجم المذكورة؛ حيث اعتمدوا على تعريف الفساد بمقابلته بخلافه، بمعنى أنّ الفساد خلاف ونقيض الصّلاح.

وأمّا **المجموعة الثانية:** فخصّت الفساد بأمور بعينها؛ أي أنهم قدموا أمثلة وصوّرا مختلفة للفساد؛ بحيث أطلق لفظ الفساد على فساد الدين أو الابتداع فيه، وعلى أخذ المال أو حق الغير ظلما، وعلى القتل والفسق والفجور واللواط، كما أطلقت لفظ الفساد على القحط والجفاف الذي يصيب الأرض، وهو ما يمكن تسميته بالفساد المادي.

**المجموعة الثالثة:** جاء تعريفها للفساد عامًّا شاملا، بحيث يمكن إسقاطه على الأنواع والصور التي أوردها أصحاب المجموعة الثانية، ويمثل هذه المجموعة الراغب الأصفهاني؛ إذ يمكن حمل تعريفه على مختلف المفاسد التي ذكرها الآخرون، ولعلّه اهتدى إلى هذا التعريف اعتمادا على المفاسد التي كان يلاحظها في بيئته وعصره، أو استفادها وجمعها من تعريفات السابقين له في مختلف مناحي الحياة.

---

(1)– شوقي ضيف رئيس مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، (ط4، 1425هـ/2004م)، ص: 688.

(2)– رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلّق عليه: محمد سليم النعيمي، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، (دط، 1970م)، 70/8.

## ثانيا: الإفساد.

الإفساد مصدر الفعل المزيد أفسد؛ يقال أفسَدَ فلانٌ المالَ يفسِده إفسادًا وفسادًا وفسَّد الشيء إذا أباره[1]، أباره بمعنى أهلكه، والبائر الهالك الكاسد، الفاسد الذي لا خير فيه.[2]

كما وردت كلمة أفسد بمعنى فسّد بتشديد السين؛ أي شوّه ومسخ وبدّل الشكل، وأفسد: أغوى، فجر، فسق، أحبط، غيَّر عزمه، أبطل، ألغى، فلّ، قوّض، هزم، كسر، نهب، سلب.[3]

هذه الأفعال تحمل معان سلبية، تفيد في مجملها معنى الفساد والتعدي به إلى الغير، وهذا هو الإفساد. ولعلّ مُوردَ هذه الأفعال تعمّد ذكرها، ليبين أنّ لكل مجالٍ يمكن أنْ يلحقه الفساد والإفساد ألفاظه الخاصّة به؛ بحيث يمكن القول أنّ لفظ فجَر وفسق يتعلق بالدِّين، وأبطل وألغى بالأفعال والتعاملات المختلفة، أمّا نهب وسلب فاستعمالها في الحقوق المالية أنْسَب.

وعند **أبي البقاء**، الإفساد: "هو جعل الشيء فاسدًا خارجًا عما ينبغي أن يكون عليه وعن كونه منتفعًا به. وفي الحقيقة هو إخراج عن حالةٍ محمودةٍ لا لغرضٍ صحيح. ولا يوجد ذلك في فعل الله؛ وما تراه في فعله تعالى فسادًا فهو بالإضافة إلينا، وأما بالنظر إليه فكله صلاح، ولهذا قال بعض الحكماء: يا من إفساده صلاح".[4]

يظهر أنّ تعريف **أبي البقاء** جاء عامّا شاملا؛ وأشار إلى أنّ اللفظ يحمل معنى الجعل الذي أفادته الهمزة، و جعل كلّ إخراج ـ أي بفعل فاعل ـ عن الحالة الصالحة المحمودة، إلى الحالة التي لا يرجى منها نفع إفسادًا، ثمّ أضاف قرينة لا لغرضٍ صحيحٍ، ليدلّ على أنه إذا كان الإفساد لغرض صحيح، وربما يريد لغرض شرعيٍّ؛ فإنه لا يسمى إفسادًا.

---

[1]– الأزهري، تهذيب اللغة، كتاب الثلاثي الصحيح من حرف السين، باب السين والدّال، 12 / 370. الزبيدي، تاج العروس، 8/ 496.

[2]– الفراء، معاني القرآن، 66/3.

[3]– رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، 69/8.

[4]– الكفوي، الكليات، ص: 154.

وكأنّ صاحب **الكليات** استند في قرينته لقوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [البقرة: 194 ]؛ لأنّ مقابلة المعتدي بفعله مأمور به وليس بإفساد، أو أنه استحضر وقتها ما كان من الخَضِر مع سيدنا موسى عليهما السلام؛ من خرق السفينة، وقتل الغلام، التي تعدّ من الإفساد الذي يراد منه الإصلاح، كما أخبر القرآن عنه في سورة الكهف.

وإلى هذا المعنى ذهب **ابن تيمية** في تعليقه على خرق السفينة وقتل الغلام الواردة في سورة الكهف، بقوله: "...فهذه القضية تدلّ على أنه يكون من الأمور ما ظاهره فساد، فيحرِّمه من لم يعرف الحكمة التي لأجلها فعل، وهو مباح في الشّرع باطنًا وظاهرًا، لمن علم ما فيه من الحكمة التي توجب حسنه وإباحته".[(1)]

ويبدو أنّ **الكفوي** انتبه لتعريف **الراغب** للفساد فاستفاد منه؛ فإذا كان الفساد عند الأول خروجا عن الاعتدال والاستقامة؛ أي فساد الشيء في ذاته، فالإفساد عند الكفوي هو جعل الشيء خارجا عن الاعتدال وعن دائرة الانتفاع به، وفي كلمة واحدة هو إخراج الشيء عمّا كان عليه من الصّلاح.

الملاحظ ممَّا سبق ذكره، أنّ أصحاب المعاجم اللغوية لا يُفردون لفظ الإفساد بالشرح إلا قليلا، ولكنهم يوردونه باعتباره أحد اشتقاقات الفعل **فَسَدَ**؛ أي فسد يفسُد فسادا وإفسادا، أو الفعل المتعدي للفعل اللازم فسد.

وعليه يمكن إجمال القول كما يلي: لفظ الفساد مشتق من الفعل الثلاثي المجرّد فسد، ولفظة الإفساد مشتقة من الفعل المزيد أفسد، ولا شكّ أنّ أيّ زيادة في المبنى تعني زيادة في المعنى، وهما كلمتان تناقضان الصلاح والإصلاح، وتنصرفان إلى كل المعاني السلبية الخارجة عن الاستقامة والاعتدال، في مختلف الماهيات والذوات، وفي مختلف نواحي الحياة؛ كالضر والشرور، حسب موقع ومجال استعمالاتها.

---

(1)– ابن تيمية: أبو العباس تقي الدين بن تيمية، التفسير الكبير، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط، دت)، 281/3.

## المطلب الثاني: تعريف الفساد والإفساد في الاصطلاح.

في ظل المعاني اللغوية جاءت التعريفات الاصطلاحية للفساد والإفساد- اصطلاح المفسرين لكتاب الله - فلم تخرج في عمومها عن التعريف اللغوي.

فقد ورد في القرآن الكريم نحو خمسين كلمة من مادة فسد[1]، تتوزّع على مختلف أجزائه، ويظهر فيها أن لفظ أفسد بمختلف تصريفاته واشتقاقاته في آيات القرآن الكريم أكثر، ولهذا سيكون المفهوم الاصطلاحي متراوحا بين اللفظين معًا في الوقت نفسه، على حسب ما يورده أهل الاختصاص.

جاء في تفسير **الطَّبَري**(224هـ- 310هـ) في مقام تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ [البقرة: 11]، أنّ الفساد هو الكفر والعمل بالمعصيَّة، وكلّ من عصى الله في الأرض، أو أمرَ بمعصيّته فقد أفسد في الأرض، لأن إصلاح الأرض والسماء يكون بالطّاعة.[2]

فهنا، ذكر لفظ الفساد مساويا للكفر والعمل بالمعاصي، ثمّ نبّه إلى أنّ الأمر بمعصية الله هو من الإفساد. ويخصّ في موضع آخر من تفسير الآية نفسها، لفظ الإفساد بالبيان والتفصيل؛ حيث يقول: " والإفساد في الأرض؛ العمل فيها بما نهى الله جلّ ثناؤه، وتضييع ما أمر الله بحفظه، فذلك جملة الإفساد، كما قال جلّ ثناؤه في كتابه مخبرًا عن قيل ملائكته:﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ [البقرة: 30]، يعنون بذلك أتجعل في الأرض من يعصيك ويخالف أمركّ؟".[3]

---

[1]- ورد لفظ فسد بصيغة الماضي في ثلاث آيات من سورة البقرة والمؤمنون والأنبياء، و مصدره الفساد في أحد عشر موضعا، أمّا لفظ أفسد بماضيه ومضارعه واسم الفاعل منه، فقد ورد في القرآن الكريم في ستّة وثلاثين موضعًا. محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (ط 4، 1414هـ/1994م)، مادة (ف س د)، ص: 658- 659

[2]- الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (ط1، 1420هـ/2000م)، 288/1.

[3]- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 289/1.

ومعنى الإفساد في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [الأعراف: 56]، أي: " لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها؛ ببعث الرسل، وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله، بل فساد الأرض في الحقيقة، إنّما هو بالشرك به ومخالفة أمره".[1] فالشرك والدعوة إلى غير الله، وإقامة معبود غيره ومطاع متبع غير رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أعظم الفساد في الأرض".[2]

وفي تفسير **ابن زمنين**(324هـ – 399هـ) لقوله تعالى: ﴿ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ [البقرة: 11]؛ يعني: لا تشركوا، فيكون معنى الإفساد في الأرض هو الشرك.[3]

وقريبا من هذا المعنى أورد **البغوي** (ت 510هـ) في تفسيره؛ أنّ قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ ؛ أي بالكفر، وتعويق الناس ومنعهم عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن، فيكون النهي عن الإفساد في الأرض :لا تفسدوا بمعنى لا تكفروا، والكفر أشدُّ فسادًا في الدِّين.[4]

فالفساد أو الإفساد عند **الطبري** هو معصية الله تعالى مطلقا، وعند **ابن زمنين**، و**البغوي** فقد اختص اللفظ بفساد الدِّين بالشرك والكفر.

أمّا **الراغب الأصفهاني**(ت502هـ)، فقد عرّف الإفساد في تفسيره تعريفا يوافق المفهوم الذي أورده للفساد في مفرداته مع بعض التفصيل؛ إذ يقول: " الإفساد في الحقيقة إخراج الشيء من حالة محمودة لا لغرض صحيح، وذلك غير موجود في فعل الله تعالى ".[5]

---

(1)– ابن قيم الجوزية، بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه خرج أحاديثه يسري السيد محمد، راجعه ونسق مادته ورتبها: صالح أحمد الشامي، دار ابن الجوزي، (ط1، 1427هـ)، 122/1.

(2)– ابن قيم الجوزية، بدائع التفسير، 405/1.

(3)– ابن أبي زمنين: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، (ط1، 1423هـ/2002م)، 122/1.

(4)– البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن تفسير البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، (ط4، 1417هـ/1997م)، 66/1.

(5)– الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، الجزء1 المقدمة تفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، (ط1، 1420هـ/1999م) 429/1.

وجمع **الزمخشري**(ت528هـ) بين عدة معانٍ للفساد، ليخرج بمفهوم عام شامل لمختلف صور وأنواع المفاسد، ثمّ أعطى أمثلة عن هذه المفاسد، فقال:

" الفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به، ونقيضه الصلاح؛ وهو الحصول على الحال المستقيمة النافعة، والفساد في الأرض هيج الحروب والفتن؛ لأن في ذلك فساد ما في الأرض، وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس، والزروع، والمنافع الدينية والدنيوية".[1]

فـ**الزمخشري** هنا، جاء بمفهوم شامل للفساد، كونه خروج الشيء عن الاستقامة والاعتدال وعن حال الانتفاع به، وأعطى أكثر أنواع الفساد انتشارا في نظره؛ كالفتن والحروب، لأنها تفضي إلى فساد أحوال الناس الدينية والدنيوية. إلا أنه لم يخصص لفظ الإفساد بالتعريف والإيضاح، ممّا ينبّه على أنهما عنده بمعنى واحد.

أمّا **ابن عطية** (481هـ-541هـ)، فقد أورد في سياق تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ [البقرة: 11]، بأنّ معنى الإفساد في الأرض: هو الكفر وموالاة الكفرة[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [البقرة: 27]؛ يعني الذين يعبدون غير الله؛ أي يشركون ويجُورون في الأفعال.[3]

كما جاء في موضع آخر، أنَّ الفساد في الأرض يكون بارتكاب الزِّنا والارتداد والحرابة.[4]

الملاحظ في مفهوم **ابن عطية**؛ أنه أورد أمثلة، وصورا للمفاسد التي جاء النهي عنها في القرآن الكريم؛ وهي الكفر وموالاة الكفرة، والشرك، والجور في الأفعال، وارتكاب الزنا، والارتداد، والحرابة.

(1)- الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (ط3، 1407هـ)، 62/1.

(2)- ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط1، 1422هـ/2001م)، 93/1.

(3)- ابن عطية، المحررالوجيز، 113/1.

(4)- ابن عطية، المحررالوجيز، 182/1.

وعند **ابن العربي** (ت 543هـ)؛ الفساد هو إخافة السبيل، والإذاية للغير.[1]

فـ**ابن العربي**، جعل الفساد هو التعدّي على الغير في أنفسهم؛ بإخافة السبيل، التي لا تخلو من الإذاية للعابرين؛ و تكون في النفس والمال والعرض، وهذه من الكليات أو الضروريات الخمس التي اتفقت التشريعات السماوية على المحافظة عليها ورعايتها.

وأعطى **فخر الدين الرّازي**(544هـ- 604هـ) في تفسيره تعريفات عديدة للفساد والإفساد، يفهم منها اتحاد اللفظين واشتراكهما في المعنى فقال:

**الفساد:** هو إظهار معصية الله تعالى[2]، ثمّ وضّح هذا في موضع آخر فأخبر: " أنّ إظهار معصية الله تعالى إنما كان **إفسادًا** في الأرض؛ لأنّ الشرائع سنن موضوعة بين العباد، فإذا تمسك الخلق بها زال العدوان ولزم كلُّ أحد شأنه، فحُقنت الدماء وسكنت الفتن وكان فيه صلاح الأرض وصلاح أهلها، أمّا إذا تركوا التمسك بالشرائع، وأقدم كل أحد على ما يهواه، لزم الهرج والمرج والاضطراب".[3]

ثمّ أضاف قوله: ومن الفساد في الأرض الكفر؛ إذ فيه كفران نعمة الله، وإقدام كلّ أحد على ما يهواه، لأنّه إذا كان لا يعتقد وجود الإله ولا يرجو ثواباً ولا عقاباً، تهارج النّاس.[4]

كما بين في موضع آخر، أن الفساد في الأرض يكون بالحراب وقطع الطريق، والكفر بعد الإيمان.[5]

هذه المفاهيم تظهر أنّ **الرازي** قد جعل الفساد والإفساد بمعنى واحد؛ حيث يذكر في موضعٍ لفظ الفساد، وفي موضع آخر لفظ الإفساد، وفي الموضعين كان المعنى نفسه.

---

(1)- ابن العربي: أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه: محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط3، 1424هـ/2003م)، 2/89-90.

(2)- الرازي: محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1، 1401هـ/1981م)، 2/73.

(3)- الرّازي، مفاتيح الغيب، 2/73.

(4)- المرجع نفسه، 2/74.

(5)- الرازي، المرجع السابق، 11/218.

أما صاحب **البحر المحيط** (ت745هـ/1344م)، فيبدو أنه استفاد من تعريف ومفهوم الأصفهاني والزمخشري، مع تغيير كلمة **الخروج** بكلمة **التّغيّر**؛ حيث يقول: "الفساد التغيّر عن حالة الاعتدال والاستقامة... ونقيضه الصّلاح وهو اعتدال الحال واستواؤه على الحالة الحسنة ".[1] ويكون بأنواع الجُور والقتل والنَّهب والسبْي والكفر[2]، ويضيف في موضع آخر أنه من الفساد أيضا الشرك، وقطع الطّريق، وقطع الأشجار، وقتل الدّواب إلا لضرورة، وحرق الزرع وما يجري مجراه.[3]

وفي تفسير **أبي السعود**(ت982هـ): الفساد هو هيج الحروب والفتن، التي تنشب بسبب بُعد و زوال الاستقامة عن أحوال العباد، واختلال أمر المعاش والمعاد.[4]

و فيه إشارة إلى أن المفاسد يجر بعضها بعضا، ومثال ذلك ما يكون جرّاء الحروب؛ من فقدان الأمن، واضطراب أمور المعيشة من قلة الأقوات، وكثرة الوفيات بسبب القتل والجوع والأمراض، التي قد تلهي وتضعف الهمم في الإحجام عن ارتكاب المعاصي والآثام.

ويذكر **ابن الجوزي**(ت597هـ) عدة معان للفساد، نقلها عن بعض المفسرين جمعها في سبعة أوجهٍ[5]:

**أولها**: المعصية، ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [البقرة: 11].

---

[1]- أبو حيان الأندلسي: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط1، 1413هـ/1993م)، 191/1. السيوطي: جلال الدين السيوطي، الدّرّ المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، (ط1، 1424هـ/2003م)، 162/1.

[2]- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 124/2.

[3]- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 483/3.

[4]- أبو السعود: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت،(دط، دت)،43/1.

[5]- ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص: 470-471.

**الثاني**: الهلاك، ومنه قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) ﴾[الأنبياء: 22].

﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [المؤمنون: 71].

**والثالث**: قحط المطر وقلّة النبات، ومنه قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ [الروم: 41].

**والرّابع**: القتل، ومنه قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: 127]، أراد ليقتلوا أهل مصر. وفي سورة الكهف: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الكهف: 94]؛ أي أنهم يقتلون الناس. ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦) ﴾ [غافر: 26].

**والخامس**: الخراب، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) ﴾ [البقرة: 205]، وفي سورة النمل: ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) ﴾ [النمل: 34].

**والسادس**: الكفر، ومنه قوله تعالى في سورة هود: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ﴾ [هود: 116].

**والسابع**: السحر، ومنه قوله تعالى في سورة يونس: ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١) ﴾[ يونس: 81].

إنّ المتأمل في ما أورده **ابن الجوزي**، يرى أنه حصر الفساد في سبعة أوجه ذكرها المفسرون على حدّ قوله، في حين أنّ هناك من ذكر وجوها أخرى؛ كالحروب والفتن، والغش والتطفيف في الموازين، وارتكاب الفواحش، وغيرها كما سبق ذكره؛ أي أنّ عددها يزيد عن السبعة أوجه، إنْ لم يخرج من دائرة الحصر.

ولو قيل أنّ مختلف صور ووجوه الفساد غير المذكورة ضمن الحصر داخلة في المعصية المذكورة أولا، فلِمَ أُخرج السحر والقتل من دائرة المعصية، وهما كبيرتان من عدة كبائر لم تخصص بالذكر؟.

لهذا يمكن القول، أن الفساد والإفساد في الأرض أنواع وأقسام عديدة ومتنوعة، ويأتي تنوعها واختلافها من تعدد وتنوع مجالات وقوعها وحدوثها؛ بدءا من فساد الدين والاعتقاد، إلى الفساد الذي يتسرب إلى مختلف جوانب الحياة؛ الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، إلى المفاسد التي تظهر في البر والبحر بما كسبت أيدي العباد، كما هو ثابت في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

أمّا **عزّ الدين بن عبد السلام**(577هـ- 660هـ)، فقد عبرّ عن المفاسد بالشرّ، والضّرّ، والسيئات وذكر ما يقابلها كالخير والنّفع؛ حيث يقول: " ويعبّر عن المصالح والمفاسد بالخير والشرّ، والنفع والضرّ، والحسنات والسيئات، لأنّ المصالح كلها خيور نافعات، والمفاسد بأسرها شرور مضرات سيئات، وقد غلب في القرآن استعمال الحسنات في المصالح والسيئات في المفاسد".[1]. فخلص إلى أنّ أكثر الألفاظ المستعملة في القرآن، المفيدة لمعنى المفاسد، هي لفظ السيئات.

وقد رأى **ابن عاشور**، (ت1393هـ) أن يبين مفهوم الفساد والإفساد من حيث إيقاعه، فعمد إلى جعلهما في مراتب[2]:

**أولها**: إفساد أنفسهم ـ والضمير هنا عائد على المنافقين ـ بالإصرار على الأدواء القلبية؛ كالنفاق، والكذب، وما يترتب ويتولّد عنها من المفاسد.

**الثانية**: إفسادهم النّاس بالأقوال، ببثّ الصّفات السيئة والدعوة إليها، وإفسادهم الأبناء وغيرهم، كما قال نوح عليه السلام: ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾[ نوح: 27].

---

[1]–عز الدين: أبو محمد عز الدين بن عبد السلام السلمي، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، مراجعة وتعليق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (دط، 1414هـ/1991م)، 5/1.

[2]– ابن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير( تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر، تونس، (دط، 1984م)، 284/1.

**الثّالثة:** إفسادهم بالأفعال التي ينشأ عنها فساد المجتمع، كالنميمة والعداوة وتسعير الفتن وإحداث العقبات في طريق المصلحين.

ويضيف صاحب **التحرير والتنوير** صورا أخرى للإفساد قائلا: " فالإفساد في الأرض منه تصْيير الأشياء الصالحة مضرّة كالغشّ في الأطعمة، ومنه إزالة الأشياء النافعة كالحرق وقتل البرآء، ومنه إفساد الأنظمة كالفتن والجور، ومنه إفساد المساعي؛ كتكثير الجهل وتعليم الدّعارة، وتحسين الكفر ومناوأة الصّالحين".[(1)]

وتعمّد الشيخ **ابن عاشور** التعريف بمفردة من مشتقات الفساد وهي المفسدة؛ حيث يقول: " وأمّا المفسدة فهي ما قابل المصلحة، وهي وصفٌ للفعل يحصل به الفساد؛ أي الضّرّ، دائما أو غالبا، للجمهور أو للآحاد".[(2)]

فـ**ابن عاشور** هنا، استند في تعريفه للفساد والإفساد إلى فساد المنافقين؛ فبيّن فسادهم بسبب فساد قلوبهم، وحرصهم على إفساد غيرهم بالأقوال والأفعال، ثمّ جاء بمفهوم عام للمفسدة عن طريق مقابلتها بلفظ المصلحة، ثم جعل لفظ الضّرّ من الألفاظ الموافقة للمفسدة، وأمّا قوله: دائما أو غالبا، فهو للاحتراز من المفسدة أو الإفساد الذي يكون لغرض الإصلاح، وهو قليل.

بموازنة هذه التعريفات، والمقارنة بينها، يلاحظ أنّ جُلّها أورد الأمثلة المختلفة للمفاسد الحاصلة عبر العصور، وحسب الحالة السياسية أو الاجتماعية التي سادت مختلف العصور التاريخية؛ فاتفقت جميعها على أن الكفر والشرك وإظهار معصية الله تعالى، ومعصية الرسول أشدّ أنواع الفساد، أما الأخرى فهي دونها، وربما كان هذا الحكم مستنبطا من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨ ﴾ [النساء: 48 ]، وقوله أيضا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦ ﴾ [النساء: 116]؛ ممّا ينبّه إلى أنّ الشرك أصل تفشي مختلف المفاسد الأخرى، الأمر الذي يثبت في كل مرة؛ أنّ

---

(1)- ابن عاشور، التحريروالتنوير، 284/1.

(2)- ابن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، (ط2، 1421هـ/2001م)، ص: 279.

فساد أو إفساد علاقة الناس بالخالق، هي الباعث الأول على مختلف المفاسد، التي تلحق الإنسان في نفسه، وماله، وعرضه، وسائر حياته.

أمّا **الزمخشري**، فأعطى مفهوما عامّا كما هو مذكور في موضعه، ليفيد أنّ كلّ خروج عن حال الاستقامة وحال الانتفاع هو فساد، ولم يخُصّ أو يفرد لفظ الإفساد بتعريفٍ أو مفهومٍ، ممّا يعني أنهما بالمعنى نفسه عنده؛ لتعلّقهما ببعض، وأنّ حصول أو وجود أحدهما، مؤدٍّ لحصول الآخر، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [البقرة: 205].

وسبق **الأصفهانيُّ** الزمخشري في إيراد مثل هذا المفهوم، إلا أنه اختص به لفظ الإفساد؛ و أوضح أنّ كليهما هما خروج أو إخراج من دائرة الصلاح، من غير سبب موجب لذلك.

وهنا تجدر الإشارة إلى دقيقة من دقائق القرآن الكريم؛ وهي النقطة التي تجمع بين اللفظين من حيث التركيب؛ وهي تعلُّق الفساد والإفساد بمحلٍّ وهو الأرض؛ حيث علق أحد الباحثين المشاركين في مؤتمرٍ لمكافحة الفساد بملاحظتين[1]:

**الأولى:** التلازم بين لفظي الفساد والإفساد ولفظ الأرض، فيه دلالة على كون الفساد مختصا بالحياة الدنيا، وأنّه لا مكان له في الآخرة، ولعل في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص: 83]، ما يدلّ على أنّ الفساد أو الإفساد لا يكونان إلا على الأرض، كما أنّ في قصة خروج آدم عليه السلام من الجنة ما يؤكّد هذا، لأنه لم يخرج من الجنة إلا بسبب إفساده، الذي تمثل في عصيان أمر ربه، وقربانه من الشجرة التي أُمر بعدم قربانها، وبسبب عدم امتثاله وزوجه لأمر الله تعالى كان الحكم الربّاني: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ ﴾ [البقرة: 38].

---

[1]– مركز الدراسات والبحوث قسم الندوات واللقاءات العلمية، المؤتمر العربي الدولي لمكافحة الفساد، المحور الأول: مكافحة الفساد من منظور إسلامي، موضوع: الفساد مفهومه وأسبابه وأنواعه وسبل القضاء عليه– رؤية قرآنية– إعداد: أ. د.عبد الله محمد الجيوس، الرياض، (10– 1424/8/12هـ / 6– 8 /2003/10م)، ص: 5-6.

**الثانيـة:** فـي الـتلازم بـين اللفظـين أيضـا، إشـارة إلـى دونيـة الفسـاد وخسّـته، ولكونـه لصيق الأرض، فهو عمل دونيّ أرضي.

إلاّ أنّ هـذه الأخيـرة؛ أي الملاحظـة الثانيـة التـي لاحظهـا الباحـث، تحتـاج لتحقيـق وإعـادة تـدقيق؛ لأن القـول بخسـة الفسـاد ودونيتـه، وأنهمـا لحقـا اللفـظ مـن ملازمتـه للفـظ الأرض، فهذا فيه نظر؛ إذ أن الخسة جاءت في اللفظ ذاته، وفي ما ينطوي عليه من المعاني والصور والآثار التي تنجم عنه، وليس من اقترانه بلفظ الأرض، إضافة إلى أنّ الأرض مـن خلـق الله التـي مهـدها الله سبحانه وتعـالى، أقسـم بهـا فـي عديـد مـن الآيـات، وجعـل فيهـا مـن الصّـلاح مـا يعـين الإنسـان علـى القيـام بأعبـاء الاسـتخلاف فيهـا، وهـو المعنـى المسـتفاد مـن قولـه سـبحانه علـى لسـان ملائكتـه: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: 30]، ولا يظهر الفساد أو الإفساد إلا إذا كانا في ذاتٍ صالحة.

الحاصل من المفاهيم السابقة؛ هو اجتماعها على أنَّ الفساد هو: كلُّ خروجٍ أو تغيّرٍ عن حالة الاعتدال والصّلاح والمنفعة التي تنفع الناس في دينهم ودنياهم، وأنّ هذا الفساد الطّارئ على الأشياء الصـالحة في ذاتها، إنما هي بفعل الإنسان، فيكون مـن الأنسب إطلاق لفظ الإفساد على أفعاله وسلوكاته الفاسدة، مصداقا لقوله تعالى حكاية عن قول الملائكـة: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ [البقرة: 30 ]، وهذا هو الإفساد عينه.

وتوضيحه: إذا طرأ تغيُّر وعدم صلاح على شيء ما، قيل هو في حالة فساد لا صـلاح، والفاسد فـي ذاتـه لا محالـة عامـل فاعـل فـي إفسـاد الغيـر؛ وهـذا مـا جعـل **ابـن عاشور** يبني مفهومه للإفساد على مراتب ثلاثة.

إذن، الفساد والإفساد ظاهرتان متلازمتان متزامنتان؛ لأن وجود الفساد في شيء ما، هو طارئ على شيء صالح بدايةً، انطلاقا من وجود الإنسان الذي يولد على الفطرة، لكن حلول الفساد عليه جعله يتحول من صالح إلى فاسدٍ، والفاسد سيؤدي إلـى تعدي هذا الفساد إلـى الغير لا محالـة؛ سواء عن طريق التأثير، أو عن طريق الدعوة إليـه؛ إذْ لا وجود لفساد إلا بتدخل جهة مفسدة.

كما تجدر الإشارة في هذا المقام، إلى أنّ المفهوم الذي يطرحه الإسلام للفساد أوسع بكثير ممّا هو متعارف عليه، أو منحصر في أذهان عموم الناس؛ من عدم الالتزام الشرعي، وخاصة في مجال السلوك الشخصي، كشرب الخمر والزنا...؛ حيث جاء الفساد متنوعا ومختلفا، كما هو ثابت في أقوال المفسرين في التعريفات والمفاهيم المذكورة؛ فما ذُكر من المفاسد، تغلغل في مختلف مجالات الحياة؛ من المجال العقدي إلى السياسي والاقتصادي والأخلاقي على حدّ سواء، الأمر الذي يجعل لفظ الفساد واسع المعنى؛ لاحتوائه على كل خروجٍ للشيء وتغيّره عن حال الصّلاح، وعن وظيفته المنوطة به، وعلى غير النحو الذي أمر به الله سبحانه وتعالى.

وعليه يمكن القول، إن الفساد عام في كل المعاصي التي جاء الإسلام ناهيا عن ارتكابها، ذامًّا للفساد والمفسدين منذ بدء الخليقة، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

كما أن المفاسد بعضها يأخذ برقاب بعض، وبعضها يجر بعضا؛ فما سميت الخمر بأم الخبائث إلا لأن شربها يذهب العقل، فيقع صاحبها في مفاسد أكبر من شربها، كما صورها الحديث النبوي ونصّ على مفاسدها قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١ ﴾ [المائدة: 91]، وما جاء النهي عن سوء الظن، إلا لأنه يوصل إلى البغضاء والقطيعة... والأمثلة في هذا المقام كثيرة، ينبئ عنها ديننا الحنيف، ونعايِنها في أحوال الأفراد والمجتمعات في كل حين.

وخلاصة القول؛ إن الفساد والإفساد – اللفظتان المقصودتان في هذا البحث- كلمتان تنتميان إلى مجال الأخلاقيات والسلوكات التي ترفضها الطبائع السليمة، بل وتنهى عنها، لضمان استمرار صلاح الأرض، واستمرار الحياة الطيبة عليها، مهما اختلفت المجالات والقطاعات التي تسل إليها الفساد.

و لهذا، تجدر الإشارة إلى أنّ إطلاق لفظ الفساد، أو إطلاق لفظ الإفساد خلال البحث، إنما يراد به فساد المنهج والسلوك الذي انحرف وحاد بسالكه عمّا جاء في شريعة ومنهج القرآن الكريم، كما سيأتي بيانه.

كما تجدر الإشارة أيضا، إلى أنّ الإنسان هو سبب كل فساد أو إفساد في هذه الأرض؛ لأنه كلما اتجه الاتجاه الخطأ واتبع السبل أفسد، و عاث فسادا.

وهنا يرسل **الشيخ الشعراوي**، (ت1418هـ) دعوة لهذا الإنسان أينما وجد، للابتعاد وعدم الوقوع في الفساد أو الإفساد حيث يقول: " وأقل ما يطلب منك في الدنيا أيها الإنسان أن تدع الصالح لصلاحه، ولا تتدخل فيه لتفسده، فإن شئت أن ترقى إيمانيا، تأت للصالح وتزد من صلاحه، فإن جئت للصالح فأفسدته فقد أفسدت فسادين، لأن الله سبحانه وتعالى أصلح لك مقومات حياتك في الكون فلم تتركها على الصلاح الذي خلقت عليه، وكان تركها في حد ذاته بعدا عن الفساد، بل جئت إليها وهي صالحة بخلق الله لها فأفسدتها، فأنت لم تستقبل النعمة الممنوحة لك من الله بأن تتركها تؤدي مهمتها في الحياة، ولم تزد في مهمتها صلاحا، ولكنك جئت إلى هذه المهمة فأفسدتها".[1]

وعليه يمكن القول؛ أنَّ الأصل في الأشياء التي خلقها الله عزّوجل الصّلاح، فإذا فسدت فلتدخل الإنسان فيها وإفساده لها؛ بسبب ابتعاده – جهلا أو عنادا ومكابرة – عن الطريق المستقيم الذي رسمه لنا ديننا الحنيف، وعن المنهج الرباني القويم، لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة: 30].

كما أنّ كل التعريفات والمفاهيم، تتفق في إيرادها لضروب وصور من الفساد والإفساد؛ على رأسها الكفر والشرك، وموالاة الكفرة، وإذاية الغير، وقطع الطريق والنفاق، وقتل النفس بغير حق، وهذه داخلة تحت مسمى فساد المنهج والسلوك، وإهلاك الحرث والنسل والنهب والجدب والقحط؛ وهي من الإفساد المادي، الذي ينتج عن الأول بلا ريب.

وتكفي نظرة من مهتمّ، في واقع العالم اليوم، ليرى صورًا شتى للفساد، تمزق وشائج المجتمعات وتقوض أركانها، وتردي بالأفراد؛ الحروب وما تخلفه من دمار وتدمير، والمفاسد الأخلاقية والاقتصادية التي أصبحت فضائح وعلامة على أصحاب المال والسلطان، كلّ هذه المفاسد وغيرها أدّت ولازالت تؤدي إلى التأخر الحضاري الذي يتأفف

[1]– الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، الخواطر، مطابع أخبار اليوم، (دط، 1997م)، 154/1.

ويتذمر منه الجميع، ناهيك عن الزهد والتساهل في تطبيق تعاليم الدين الإسلامي التي جاءت لتحُدّ من ارتكاب ومقاربة الفساد والمفسدين.

## المطلب الثالث: مصطلح الفساد والإفساد في الأحاديث النبوية.

جاء لفظ الفساد في الأحاديث النبوية في عدّة مواضع، ولعلّ ذكر اللفظ كان بسبب الوقائع والأحداث التي كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ممّا يزيد من وضوح المعنى.

من هذه الأحاديث ما روي عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {الحَلالُ بَيِّنٌ، والحَرامُ بيِّنٌ، وبيْنَهما مُشَبَّهاتٌ لا يَعْلَمُها كَثيرٌ مِنَ النّاسِ، فَمَنْ اتَّقى المشبَّهات اِسْتَبْرَأَ لِدينِهِ وعِرْضِهِ، ومَنْ وَقَعَ في الشُّبُهاتِ كَراعٍ يَرْعى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ. أَلَا وإِنّ لِكُلِّ مَلِكٍ حمًى، أَلَا وإِنَّ حِمَى الله في أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وإِنَّ في الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَح الجَسَدُ كُلّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ}.[1]

هذا الحديث من أشهر الأحاديث في هذا الموضوع، وهو كلمة جامعة، فاصلةٌ في صلاح أعمال بني آدم أو فسادها، والشَّاهد فيه هو صلاح القلب وفساده؛ إذْ هو المضغة التي خلقها الله تعالى في جوف ابن آدم، وجعلها مناط صلاحه أو فساده.

يقول الحافظ ابن حجر،(773هـ – 852هـ) في شرح الحديث: "...وخُصَّ القلب بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرّعيّة، وبفساده تفسد. وفيه تنبيهٌ على تعظيم القلب والحثِّ على صلاحه...والمراد المتعلق به: من الفهم الذي ركّبه الله فيه،

[1]– أخرجه البخاري: أبوعبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، شرح وتحقيق: محبّ الدين الخطيب، رقّم كتبه وأبوابه: محمد فؤاد عبد الباقي، أخرجه: قصي محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، (ط1، 1400هـ/1980م)، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، 34/1، برقم(52)، وفي كتاب البيوع، باب الحلال بيّن، والحرام بيّن وبينهما مشتبهات، 74/2، برقم(2051). وأخرجه أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق وتصحيح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، توزيع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(ط1، 1412هـ/1991م)، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، 3/ 1219، برقم(1599).

ويستدلّ به أنّ العقل في القلب، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾ [الحج: 46]، وقوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾[ق: 37]".[1]

ومن الأحاديث النبوية أيضا في هذا المقام، ما روي عن معاوية بن أبي سفيان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {إِنَّمَا الْأَعْمالُ كالْوِعَاءِ إذَا طابَ أَسْفَلُهُ طَابَ أَعْلاَهُ، وإذا فَسَدَ أَسْفَلُهُ فَسَدَ أَعْلاَهُ }.[2]

فقد شبّهت الأعمال، وهي أعمال الإنسان بالوعاء، التي لا تصلح إلا بصلاح نيّته، كما شبّه الأعمال بدلا من الإنسان نفسه، وبدلا عن سائر جوارحه؛ لأن الله لا ينظر إلى الصّور وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال؛ كما جاء في الحديث النبوي الشريف الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: { إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ }.[3]

يقول النووي، (631هـ - 676هـ): " أنّ الأعمال الظّاهرة لا يحْصُل بها التّقوى، وإنما تحصل بما يقع بالقلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته، ومعنى نظر الله هنا مجازاته ومحاسبته؛ أي إنما يكون ذلك على ما في القلب دون الصّور الظاهرة، ونظر الله

---

(1)- العسقلاني:أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تعليق: عبد الرحمن بن ناصر البراك، دار طيبة، (ط1، 1426هـ/2005م)، 231/1. ينظر في صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، (ط1، 1347هـ/1930م)، كتاب المساقاة والمزارعة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، 29/11.

(2)- أخرجه ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجة، سنن ابن ماجة، حكم على أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، (ط1، 1406هـ)، كتاب الزّهد، باب التوقي في العمل، ص: 697، برقم (4199)، صحّحه الألباني. وأخرجه في إهداء الدّيباجة بشرح سنن ابن ماجة، تأليف: صفاء الضوي أحمد العدوي، مكتبة اليقين، (دط، دت)، كتاب الزّهد، باب التوقي على العمل، 528/5- 529، برقم(4199). وقال عنه صحيح.

(3)- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه، وماله، 4/ 1986، برقم(2564). بزيادة قوله صلى الله عليه وسلم: { إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إلى أَجْسَادِكُمْ ولا إلى صُوَرِكُمْ، ولكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ } وأشار بأصابعه إلى صدره. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه، وماله، 4/ 1987، برقم33(...)، وفي رواية أخرى:{ إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكم وأَمْوَالكم ولكن يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكم وأعْمَالِكُم}، ص:1987، برقم 34(...).

رؤيته، محيط بكلّ شيء، ومقصود الحديث أنّ الاعتبار في هذا كله بالقلب"[1]، ويؤيد هذا المعنى حديث: { أَلَا وإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَح الْجَسَدُ كُلّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ }.[2]

وهو المعنى الذي يستفاد من قول الله عزّوجلّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾[الحجرات: 13]، ولا بدّ أنّ كلّ إنسان مخبوء في وعاء أعماله؛ فلمّا كانت القلوب والجوارح تنطوي على الصلاح أو الفساد؛ بسبب أفعالها وأعمالها، خُصّت الأعمال بالذكر؛ لأنه بها يعرف الإنسان الصّالح من الفاسد؛ فالأعمال هي الوعاء، وأسفله هي نيّته ومعتقده وفعله الباطن، أمّا أعلاه فهو ما يظهر منه وينعكس، من أعمال الجوارح الظاهرة، فمن طابت وصلحت سريرته طابت وصلحت علانيته، ومن خبثت وفسدت سريرته خبثت وفسدت فعاله وكلّ ما تكسبه جوارحه.

لذا، كان في سياق هذين الحديثين دلالة واضحة، على أنّ فساد أعمال الجوارح تابع لفساد القلب، الذي استولى عليه اتباع الهوى والشهوة، وعلى قدر الفساد الذي استشرى فيه، تنبعث وتنطلق الجوارح للفساد والإفساد؛ وعليه فإن فساد الظاهر وصلاحه، تابع لفساد الباطن أو صلاحه، كما أن بناء الأعمال السليمة يقتضي الأساس السليم، وهو القلب المشبع بالإخلاص، و باتباع الطريق الحق.

كما ورد لفظ الفساد في أحاديث نبوية أخرى، ليدل على أنواع وصور من الفساد، جاءت الشريعة الإسلامية للنهي عنها.

فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث: {مَا ذِئْبَانِ جائِعانِ أُرْسِلاَ فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ مِنْ حِرْصِ المرْءِ على المالِ والشَّرَفِ لِدينِهِ}.[3]

---

[1]- النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، الطبعة المصرية بالأزهر، (ط1، 1347هـ/1930م)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، 121/16.

[2]- سبق تخريج الحديث، ص: 36.

[3]- أخرجه الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي وهو الجامع المختصر من السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل، المعروف بجامع الترمذي، حكم على أحاديثه وآثاره

وفي لفظ آخر رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: {مَا ذِئْبانِ ضَارِيَانِ جَائِعَانِ بَاتَا فِي زَرِيبَةِ غَنَمٍ أَغْفَلَهَا أَهْلها، يَفْتَرِسَانِ وَيَأْكُلاَنِ بِأَسْرَعَ فيها فَسَادًا مِنْ حُبِّ المَالِ والشَّرَفِ فِي دِينِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ }.[(1)]

فهذا الحديث جاء ليبين خطر الحرص على الجاه والمال، والسعي في طلبهما بشتى الوسائل؛ المباحة وغير المباحة، الأمر الذي يجعل المرء يقبل على الدنيا حتى يغفل قلبه عن الآخرة، يسخّر جوارحه لإشباع شهواته، فيقع في ما نهى الله تعالى عنه.

وشرح **ابن رجب الحنبلي**(736هـ - 795هـ) الحديث بقوله: "هذا مثل عظيم جدا؛ ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لفساد دين المسلم، بالحرص على المال والشرف في الدنيا، وأن فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين، يأتيان في الغنم وقد غاب عنها رعاؤها ليلا، فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها. ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا قليل، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنّ حرص المرء على المال والشرف إفساد لدينه، ليس بأقل من إفساد الذئبين لهذه الغنم؛ بل إمّا أنْ يكون مساويا وإمّا أكثر، يشير إلى أنه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشّرف في الدنيا إلا القليل، كما أنه لا يسلم من الغنم مع إفساد الذئبين المذكورين فيها إلا القليل".[(2)]

فالحديث مثلٌ عظيم المعنى، يحوي تحذيرا صارخًا من خطر وشرّ الحرص على حبّ المال، وشرف المنزلة والجاه في الدنيا، ونسيان العمل للآخرة.

---

وعّق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، (ط1، 1417هـ)، كتاب الشهادات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب رقم43، ص: 535، برقم(2376). صححه الألباني.

(1)- الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، (دط، 1415هـ/1995م)، 1 /236.

(2)- ابن رجب: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، دراسة وتحقيق: أبو مصعب طلعت بن فؤاد حلواني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، (دط، دت)،64/1.

كما ورد لفظ الفساد في حديث آخر، ليفيد معانيَ وصورا من الفساد المذكورة آنفًا؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأرضِ وفَسَادٌ عَرِيضٌ }.[1]

هذا الحديث صريح في حدوث الفتن والفساد الكثير، إذا أحجم الأولياء عن تزويج البنات من ذوي الدِّين والخلق، لأن الدين هو من المعايير الأساسية في التزويج؛ سواء في ذلك الإناث والذكور، ومتى أهمل هذا المرجع في التزويج حلّت الفتن والفواحش، ومختلف المفاسد قبل وبعد التطليق و التفريق بين الزوجين، والحال اليوم في أروقة المحاكم خير شاهد؛ تحكي معاناة الأزواج داخل البيوت، والفساد الذي يلحق الكثير منهم بعد قطع رابطة الزوجية، الذي يفضي إلى البغضاء والقطيعة في أكثر الأحوال.

قال **المباركفوري**(1283هـ - 1353هـ) معقّبا، ومبيّنًا المفاسد التي تنجرُّ عن عدم الامتثال لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلّم في تزويج صاحب الدّين: "...وذلك لأنكم إن لم تزوجوها إلا من ذي مال أو جاه ربما يبقى أكثر نسائكم بلا أزواج وأكثر رجالكم بلا نساء، فيكثر الافتتان بالزنا، وربما يلحق الأولياء عار فتهيج الفتن والفساد، ويترتب عليه قطع النسب وقلَّةُ الصَّلاح والعفَّة".[2]

من هذه الأحاديث يمكن القول أنّ السنة النبوية جاءت للتنبيه إلى المفاسد التي يقع فيها الإنسان، بسبب تعدّيه على حرمات الله تعالى وحدوده، وبعدم الالتفات إليها وإغفالها، والله تعالى يقول محذرا: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾ [البقرة: 229]،

﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾ [الطلاق: 1]، ولا شك في أنّ تعدي وتجاوز ما شرعه دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، من أكبر الإفساد في الأرض، وسيأتي توضيح ذلك في الفصول اللاحقة.

---

[1]- أخرجه الترمذي في سننه، كتاب النكاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوّجوه، ص: 256، برقم(1084). وأخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب النكاح، باب الأكفاء، ص: 341، برقم(1967).

[2]- المباركفوري: أبو العلى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ضبطه وراجع أصوله: عبد الرحمن محمد عثمان، أشرف على تصحيحه: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (دط، دت)، أبواب النكاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في من ترضون دينه فزوجوه، 204/4، برقم(1090).

## المطلب الرابع: العلاقة بين الفساد والإفساد.

لقد وردت لفظتا الفساد والإفساد في القرآن الكريم في خمسين آية؛ بصيغة الفعل الماضي أو المضارع، وبصيغة المصدر أو اسم الفاعل المفرد والجمع.

أما الفعل، فقد ذ كر في ثمانية عشر موضعا من ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [البقرة: 251].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [المؤمنون: 71].

وقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء: 22].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [النمل: 34].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ ﴾ [الإسراء: 4].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [البقرة: 11-12].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: 56].

وقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [محمد: 22].

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [يوسف: 73].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة: 30].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [البقرة: 205].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [الأعراف: 127].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [البقرة: 27].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الرعد: 25].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النحل: 88].

وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [النمل: 48].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾[الشعراء: 152].

وأما المصدر فقد ذكر في أحد عشر موضعاً ومثاله قوله سبحانه:

﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [البقرة: 205].

وقوله تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [المائدة: 32].

وقوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [هود: 116].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنفال: 73].

وقوله تعالى: ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [غافر: 26].

وقوله تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [المائدة: 32-33].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [المائدة: 64].

وقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص: 83].

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾ [الكهف: 94].

وقوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤) ﴾ [الأعراف: 74].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٦) ﴾ [الأعراف: 86].

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) ﴾ [الأعراف: 103].

وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١٤٢) ﴾ [الأعراف: 142].

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١) ﴾ [يونس: 81].

وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) ﴾ [يونس: 91].

وقوله تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) ﴾ [القصص: 77].

وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ [المائدة: 33].

باستقراء الآيات القرآنية يظهر أنها جاءت على ذكر صور كثيرة من الفساد، تارة باستعمال لفظ الفساد، وتارة أخرى باستعمال لفظ الإفساد.

ولعلّ هذا ما دفع **ابن تيمية**(661هـ - 728هـ) إلى القول بأنّ: " الفساد نوعان: لازم وهو مصدر فسَد يفسد فسادا، ومتعدٍ وهو اسم مصدر أفسد يُفْسِد إفسادًا"[1]، مستدلًّا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [البقرة: 205]؛ فالآية فيها ذكر للإفساد والفساد، ويبدو أنّ **ابن تيمية** استند في تقسيمه الفساد إلى نوعين لمستند لغويٍّ صِرف؛ لأنّ اللغويين يقسمون الفعل باعتبار اكتفائه بفاعله، أو حاجته إلى مفعول به؛ فالأول هو الفعل اللازم، و أمّا الثاني فهو الفعل المتعدّي، ومنه كان الفساد لازما لصاحبه، فإذا تعدّى بفساده إلى غيره فقد أفسد، وهو الإفساد.

بالنسبة لاسم الفاعل، فإن أغلب الآيات تورد اسم الفاعل بصيغة الجمع، ولم ترد مفردة بلفظ **المفسد** إلا مرةً واحدة، في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِۚ ﴾ [البقرة: 220].

وكما يظهر ـ من النص القرآني ـ أنَّ المراد باللفظة جنس المفسدين، وليس مفسدًا بعينه، لأن لام التعريف جنسية؛ تستغرق جنس المفسدين جميعا، وإلّا فإنه سبحانه وتعالى يعلم المفسد كما يعلم الصالح.

وجدير بالذكر أن اسم الفاعل في السياق القرآني ورد بصيغة **مُفسد** المشتق من الفعل المتعدي **أفسد**، ولم يأت مطلقا بصيغة **فاسد** المشتق من الفعل **فسد**؛ وهذا ما يبين أن القرآن الكريم حريص على ذمّ المفسدين أكثر، و يعلنها حربًا عليهم، لخطرهم على المجتمعات البشرية من حولهم، لذا فضح السياق القرآني المفسدين العاملين والساعين على نشر الفساد، ولم يذكر الفاسدين بشيء، وهذا يظهر تلطُّف القرآن الكريم مع الناس؛ فمن لم يجاهر بالفساد ولم يسهم في إشاعته ستره الله، لعل ذلك أدعى لصلاح أحواله.[2]

---

[1]- ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس بن عبد الحليم ابن تيمية النميري الحرّاني، الصّارم المسلول على شاتم الرسول، دراسة وتحقيق: محمد بن عبد الله بن عمر الحلواني ومحمد كبير أحمد شودري، رمادي للنشر، المملكة العربية السعودية، (ط1، 1417هـ/1997م)، 734/2.

[2]- عبد السلام حمدان اللوح وضيائي نعمان السوسي، الفساد وأسبابه دراسة قرآنية موضوعية، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية )، يونيو 2007، المجلد 15، العدد2، ص: 176.

ولهذا تجد الشريعة السمحة في كثير من المناسبات، تنهى عن الجهر بالسوء، وعن إشاعة الفاحشة ونشر الرذيلة، وكل أنواع المفاسد؛ يقول الله تعالى: ﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ ﴾ [النساء: 148]، وتوعّد الذين يحبون أن تشيع المفاسد بعذاب أليم في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النور: 19].

وهنا يورد صاحب **التحرير والتنوير** ملمحا دقيقا لتوضيح المعنيين أكثر، فيقول: " الإفساد فعل ما به الفساد، والهمزة فيه للجعل، أي جعل الأشياء فاسدة في الأرض. والفساد أصله استحالة منفعة الشيء النافع إلى مضرة به أو بغيره، وقد يطلق على وجود الشيء مشتملا على مضرة، وإن لم يكن به نفع من قبل، يقال فسد الشيء بعد أن كان صالحا، ويقال فاسد إذا وجد فاسدا من أول وهلة، وكذلك يقال أفسد إذا عمد إلى شيء صالح فأزال صلاحه، ويقال أفسد إذا أوجد فسادا من أول الأمر، والأظهر أنّ الفساد موضوع للقدر المشترك من المعنيين".[1]

ومجمل القول؛ إنّ الفساد والإفساد لفظان يستغرقان كلَّ السلوكات التي جاء القرآن الكريم ناهيًّا عنها، ومتوعدًا المفسدين الذين يسعون ويعيثون في الأرض فسادًا، ويحبون أنْ يشيع الفساد بين الناس، فهؤلاء فسدت أنفسهم فلم يستتروا ولم يستروا فسادهم، بل سرهم أن يجاهروا وينشروا فسادهم في الأرض، فاستحقوا التعريض بهم، والتصريح بإفسادهم، تمهيدا لاستحقاقهم الخزي والعذاب.

---

(1)- ابن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير( تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر، تونس، (دط، 1984م)، 284/1.

## المبحث الثاني: حكم الفساد والإفساد.

لقد خلص المبحث السابق إلى أنّ الفساد والإفساد؛ هما كل خروج أو إخراج عن الاعتدال، سواء أكان الخروج كثيرا أو قليلا، كما أنهما يطلقان على كل عمل بما نهى الله تعالى عنه، وعلى كل تضييع لما أمر الله تعالى بحفظه، وهما عملان متلازمان قلّ أنْ ينفصلا، ولا فساد إلا وللإنسان يد فيه، وهو الإفساد الذي يصدر عن أفعال المكلفين نتيجة مخالفة أمر الخالق جلّ وعلا، يقول الله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الروم: 41]. فهو سلوك بشري على غير ما أمر به سبحانه وتعالى، ومن ثم فقد ذمّ القرآن الكريم الفاسدين والمفسدين، و نهى عن الإفساد والفساد، لما فيهما من ضرر كبير على الإنسان فردا وجماعة.

### المطلب الأول: النهي عن الفساد والإفساد.

إن الإفساد في الأرض من المعاني التي كرر القرآن الكريم ذكرها للتحذير منها، ولبيان عظيم خطرها على الأفراد والمجتمعات.

وقد كان النهي عن الفساد والإفساد مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ فصالحٌ عليه السّلام، نهى قومه عن الإفساد، بعد أن قال مذكّرا إيّاهم بأنعم وآلاء الله عليهم: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأعراف: 74].

وقال شعيبٌ: ﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [هود: 85].

ولوطٌ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[العنكبوت: 30].

هكذا نهى المرسلون أقوامهم عن الفساد، وهتكوا أستار المفسدين، وبينوا لهم فساد أفعالهم التي اتخذوها منهجا وسبيلا يسلكونه في معاشهم، وبسبب إصرارهم وتماديهم فيها، أوجب عليهم المولى عزوجل الجزاء المستحق.

وفي مقابل جماعات المفسدين، هناك فئة من الذين استقاموا على منهج الله، وهم الناهون عن الفساد، يدافعون الفساد والمفسدين، يقول الحق تبارك وتعالى مشيدا بخصالهم، مبيّنا فضلهم: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾[هود: 116].

أمّا المفسدون، فلهم اللعنة ولهم سوء الدار بنص القرآن: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الرعد: 25]، وزادهم عذابًا فوق العذاب بما كانوا يفسدون: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النحل: 88]، فلا يمكن بأي حال أن يستوي حال أهل الإصلاح وأهل الإفساد: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [ص: 28].

قال تعالى في مقام النهي عن الإفساد في الأرض:

﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [البقرة: 60].

وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأعراف: 74].

وقال تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [هود: 85].

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [الشعراء: 183].

قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [العنكبوت: 36].

لقد تكرّر النهي عن الفساد بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾في مواضع عديدة من القرآن الكريم، ليدلّ دلالة واضحة على فساد وعدم شرعية المنهي عنه؛ لأن النهي هنا نهي عن الأمور الفاسدة في أصلها، لا بسبب وصف من أوصافها؛ كالكفر والشرك، وإلحاق الضرر بالغير، والزّنا، واللواط، والرشوة وغيرها، مما ذُكر آنفا في أقوال المفسرين.

يقول **الفخر الرازي**(544هـ - 604هـ): إنّ الأصل في المضار الحرمة والمنع على الإطلاق، ولو وجد نصٌّ خاصٌّ دلَّ على جواز الإقدام على بعض المضار، لكان القضاء به تقديمًا للخاصّ على العام، وإلاَّ بقي على التحريم الذي دلَّ عليه هذا النصُّ القرآني.[1]

ومن هنا يمكن القول، أنّ النهي هنا يقتضي فساد المنهي عنه مطلقا، لأنّ الفساد ـ كما سبق هو كلّ خروج عن الاستقامة والاعتدال والصلاح لا لغرض صحيح أو شرعيّ ـ تعلّق بالمنهي عنه عقلًا وشرعًا، فكان اقتضاء النهي اجتناب المنهي عنه قطعا.

و تكفي هنا قراءة واعية للآية التي جاء فيها النهي عن الإفساد، لتظهر شدة النهي من وقع اللفظ القرآني في النفس.

فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ﴾ يعني: لا تطغوا ولا تسعوا في الأرض مفسدين، لأن أصل العَثَا: شدة الإفساد، بل هو أشد الإفساد.[2]

و العثى بالألف المقصورة أيضا أشد الفساد، والنهي هنا لقوم موسى عليه السلام بأنْ لا يتمادوا في الفساد ولا يبالغوا فيه[3]، وألّا يقابلوا النعم بالعصيان فيسلبوها.[4]

---

[1]- الرّازي: محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1، 1401هـ/1981م)، 139/14.

[2]- الطبري، تفسير الطبري، 123/2. وجاء في تفسير الطبري: يقال: عَثِيَ فلان في الأرض إذا تجاوز في الإفساد إلى غايته و يعثى عثا مقصور، وللجماعة: هم يعثون. و"عثا يعثو عُثُوّا "، ومن قرأها بهذه اللغة، فإنه ينبغي له أن يضم الثاء من"يعثو". وجاء في هامش الصفحة نفسها تعليق للمحقق بيّن فيه أنّ لفظ العثا: مصدر: عثى يعثى، كرضى يرضى، وأنها من لغة أهل الحجاز .وأضاف أنه لم يعثر على هذا المصدر إلا في تاج العروس. ورجّح فتح العين على كسرها.

[3]- الرازي، مفاتيح الغيب، 105/3.

[4]- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، (ط2، 1420هـ/1999م)، 278/1.

وجمع **الماوردي** (ت450هـ) في تفسيره بين هذه التأويلات فقال[1]:

**أحدها:** معناه لا تطغوا، وهو قول ابن زيد.

**الثاني:** معناه لا تسعوا في الأرض مفسدين، وهو قول ابن عباس وأبي العالية. والعيث شدة الفساد.

ولعلّ تكرار النهي عن الإفساد في الأرض، وتكرار التذكير بمآل المفسدين، عاملان مهمان في بيان حرمة الإفساد في الأرض؛ لأن المفسدين لم تُجد فيهم النواهي والعبر، فأصروا على إفساد كل ماهو صالح، وعاثوا فيه فسادا، فكان صلاح الأرض بداية سببا في نهيهم وزجرهم عن الإفساد فيها، كما جاء في قوله تعالى: وفي قوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف: 85].

ففي الآية نهي ومنع عن الإفساد في الأرض الذي، " يدخل فيه المنع عن إفساد النفوس بالقتل وإفساد الأموال بالغصب والسرقة ووجوه الحيل، وإفساد الأديان بالكفر والبدعة، وإفساد الأنساب بسبب الإقدام على الزنا واللواط وسبب القذف، وإفساد العقول بسبب شرب المسكرات، وذلك لأنّ المصالح المعتبرة في الدنيا هي هذه الخمسة: النفوس والأموال والأنساب والأديان والعقول، فقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟﴾ منع عن إدخال الماهية في الوجود، والمنع من إدخال الماهية في الوجود يقتضي المنع من جميع أنواعه وأصنافه، فيتناول المنع من الإفساد في هذه الأقسام الخمسة"[2]، التي جاءت المقاصد الشرعية للمحافظة عليها.

ورأى **ابن عطية** النهي عموما، دون الحاجة إلى ذكر أمثلة أو صور للمفاسد المنهي عنها، فأخبر أنها " عامة تتضمن كل إفساد قلّ أو كثر، بعد إصلاح قل أو كثر، والقصد

---

(1)- الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي، النّكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط، دت)،128/1.

(2)- الرازي، مفاتيح الغيب ، 139/14.

بالنهي هو على العموم, وتخصيص شيء دون شيء في هذا تحكُّم إلا أن يقال على وجه المثال". [1]

من هنا، يكون النهي عن الإفساد نهيا عاما، يلحق كل فساد؛ كثيرا كان أو قليلا، صغيرا أو كبيرا، لأنه عمل يخالف الصّلاح، ويصيّر الصّالح فاسدا، فيخرجه عن مجموع ما ينتفع به.

## المطلب الثاني: ذمُّ المفسدين وفضحُهم.

لم يأت النهي عن الفساد والإفساد بصيغة النهي الصّريح فحسب، ولكن السياق القرآني زاد الفساد والمفسدين قبحًا وشناعة، فكان التقريع بالمفسدين، والتقرير بنفي حُبِّ الله تعالى عنهم، لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [البقرة: 205].

وقوله سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [المائدة: 64].

ويؤكد سبحانه عدم حبه للمفسدين في قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص: 77]؛ فبعد النهي عن السعي للفساد، أكّد المولى عزوجل نفي حبه للمفسدين الذين يبغون ويصرون على الفساد في الأرض، ويأمر بعدم اتباعهم. وإن كان النهي في الآية في حق قارون، وهو علم من أعلام المفسدين في الأرض، فهو في حق كلّ من كان على شاكلته: ﴿ وَلَا تَبْغِ ﴾، بمعنى: لا تطلب الفساد في الأرض بعمل المعاصي، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ بمعنى أنه يعاقبهم[2]، ولا يحبّ المفسدين لسوء أفعالهم.[3]

[1]– ابن عطية، المحرر الوجيز، 711/2.

[2]–جلال الدين محمد بن أحمد المحلى، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، (ط1، د ت)، ص: 518.

[3]– البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن مرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط1، 1418هـ)، 185/4. أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 25/7.أبو الفداء: اسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي الخلوتي المولى أبو الفداء، روح البيان، دار الفكر، بيروت، (دط، د ت)، 431/6.

وعند **الماوردي** (ت450هـ) في قوله تعالى﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ وجهان[1]:

**الأول:** أنّه لا يحبّ عمل المفسدين، وهو قول ابن عباس.

**الثاني:** لا يقرّب المفسدين، قاله ابن قتيبة.

وأيّا كانت التأويلات هنا، في حق المفسدين، فهي لائقة بهم لسوء فعالهم، فهو سبحانه يعاملهم بما يكافئ أعمالهم، ونفي حبه عزوجل عن المفسدين، وإبعادهم عنه، ينمّ عن عظيم عصيانهم، و تنكبهم للمنهج الذي أمرهم باتباعه.

ويسترسل القرآن الكريم بفضح ادعائهم الصلاح والإصلاح، وهم الذين يسعون في الأرض فسادا وإفسادا.

يذكر القرآن مقالتهم إذا هم نُهوا عن الإفساد، في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [البقرة: 11-12].

ثمّ ينبه بكل وضوح؛ أن المفسدين في الأرض دائما ما ينظرون إلى كل إنسان مُصلح مؤمن داعية للحق والتنوير على أنه مفسد، وأنهم هم فقط أصحاب الصلاح والإصلاح، وهذا ما ينمّ عن نفسية غريبة مضطربة، تحتاج إلى تحليل نفسي ودراسة مختصين في علم النفس والاجتماع، خاصة وأن المولى تعالى يخبر في مناسبات عديدة أنهم لا يشعرون بما هم عليه.

روى **الطّبري** في تفسيره، أنّ الآية نزلت في المنافقين الذين كانوا على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، لتفضحهم وتبيّن قبح سرائرهم.

فالله تعالى قد فرض عليهم عداوة اليهود، وألزمهم التصديق بنبوّة الرسول صلى الله عليه وسلّم، وبما جاء به من عند الله كالذي ألزم به المؤمنين، فكان لقاؤهم لليهود على وجه الولاية لهم، وتشكيكهم في نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وفي ما جاء به، من أعظم الفساد، وإن كان عندهم إصلاحا، فجاء قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا

[1]- الماوردي، النكت والعيون، 268/4.

﴿ يَشۡعُرُونَ ﴾لتكذيبهم في دعواهم، وكذب قيلهم، لأنهم المخالفون أمر الله عزّوجل المتعدّون حدوده، الراكبون معصيته، التاركون فروضه وهم لا يشعرون ولا يدرون.[1]

فذمّ الله تعالى هؤلاء الذين يجتهدون في نشر الفساد، وأكد عزوجل على بغضه لأفعالهم، ولذلك لن يجدوا من أفعاله تعالى في الدنيا والآخرة، مقتضيات المحبة من الرحمة والإكرام، بل سيصيبهم أضداد ذلك جزاءً على إفسادهم.[2]

وهؤلاء الذين يحسبون أنهم بفعلهم ذلك، هم مصلحون في الأرض، لم يسقط الله جلّ ثناؤه عنهم عقوبته، ولا خفف عنهم أليم ما أعدّ من عقابه لأهل معصيته ـ بسبب ادعائهم الإصلاح ـ بل أوجب لهم الدرك الأسفل من ناره، والأليم من عذابه، والعار العاجل؛ لأنه علم كذبهم وخبثهم، ففضح نواياهم، بقوله: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴾.[3]

وهذه حقيقة مطردة في المنافقين في أي مكان وفي أيّ زمان، ينشرون الكفر ويكذبون بآيات الله، يرون في أنفسهم الصّلاح وفي من يعادونهم الفساد، بل وينظرون إلى المصلحين ومن يدافعون عن الحق وعن آيات لله جل وعلا أنهم هم المفسدون، ويصل بهم الحال أن يصفوا المخلصين والمؤمنين بأنهم سفهاء إذا دعوهم إلى ما يصلح أحوالهم.

هذا حكم الله تعالى على هذا الصنف من البشر، وذم شديد في حقهم، فهم المفسدون وهم السفهاء، ولكنهم لا يعلمون ولا يشعرون بنصّ القرآن الكريم: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴾.

وإلى جانب السفاهة التي نعتهم بها القرآن الكريم، فقد وصفهم بالكذب والافتراء على الله تعالى؛ إذ يشهِدون الله على نقاء سرائرهم، وهو الذي يعلم فساد قلوبهم، وخبث طواياهم وضمائرهم؛ فصور القرآن ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ

---

[1]- الطبري، جامع البيان، 291/1.

[2]- أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 43/1.

[3]– الطبري، جامع البيان ، 290/1.

ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [البقرة: 204 –206]، وهذه من أخبث وأخطر الصور التي يظهر عليها المفسدون في الأرض، إذ أنهم يظهرون من الأقوال ما يوهمون به غيرهم بأنهم من المصلحين الجادّين، ولكن أفعالهم تحكي خبث نفوسهم وفساد ما تنطوي عليه، فاستحقوا من الله العذاب الذي أعدّه الله سبحانه لأمثالهم.

ويواصل القرآن الكريم التشنيع بالمفسدين، لتنكبهم طريق الحق؛ فيدعو في كل مرة يأتي فيها عرض قصص المفسدين، إلى النظر في عواقب الإفساد وعاقبة المفسدين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الأعراف: 86].

وقوله أيضا: ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأعراف: 103].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [النمل: 14].

فالعاقبة كانت الإهلاك والتدمير؛ بألوان من العذاب؛ كالإغراق بالطوفان، والرجم بالحجارة، والصيحة وغيرها.

عاقب الله تعالى المفسدين من الأمم الغابرة، وسيعاقب المفسدين في كل زمان ومكان، متى تحققت فيهم موجبات العقاب والإهلاك.

وإذا كان الله عزوجل يبغض الفساد والمفسدين، فهو في المقابل يحب الصلاح والمصلحين، ويتولاهم، ومن كان الله وليه، سلم وغنم وهذا هو الفوز العظيم.

ومن عرف المعطي وعظمة عطائه، عرف قيمة وقدر المحرومين من محبة الله عز وجل، ومن حرم محبة الله تعالى فقد حُرم الخير كله.[1]

ومجمل القول، فإن الفساد أو الإفساد في شريعة الإسلام، من كبائر المعاصي أو الذنوب، التي جاء الإسلام لمحاربتها والقضاء عليها بشتى الوسائل؛ حيث جاء النهي

---

(1)– قصاص: عبد الرحمن جميل قصاص، مفهوم الفساد والإفساد في ضوء القرآن الكريم، المحور الأول: مكافحة الفساد من منظور إسلامي، المؤتمر العربي لمكافحة الفساد، الرياض، (دط، 1424هـ/2003م)، ص: 18.

قاطعا صريحا باجتناب المفاسد ظاهرة وباطنة، وذمّ المفسدين منذ العهود الأولى للبشرية، وفضحهم، وحرّم كل أفعالهم التي خالفت ما جاء به الأنبياء والرسل.

## المطلب الثالث: المفسدون وتعدّد مسمياتهم في القرآن الكريم.

لقد استرسل القرآن الكريم في نعت المفسدين بأوصاف عديدة، مواكبة لوصفهم بالمفسدين؛ للدلالة على جسامة المعاصي التي يقترفونها في حق الله تعالى، وفي حق أنفسهم وحق غيرهم، فاستحقوا أبشع النعوت والمسميات؛ فهم الظالمون، وهم المسرفون، الفاسقون، المجرمون وكلها مسميات موافقة، و مناسبة لأفعالهم وأقوالهم.

### أولا: هم الظالمون.

الظالمون اسم فاعل من الفعل ظَلَمَ، والاسم المصدر منه ظُلْم، وأصل الظلم وضْع الشيء في غير موضعه[1]، وهذا المعنى قريب من معنى الفساد الذي يعني الخروج عن طريق الاستقامة والاعتدال، وبهذا الخروج يكون وضع الأشياء في غير موضعها.

قال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يونس: 39-40].

يخبر القرآن الكريم عن الأقوام الذين كذّبوا به ولم يفهموه، ولم يحصّلوا ما فيه من الهدى و الحق جهلاً، وسفهاً، وظلماً، وعلواً، فاستحقوا العذاب، كما كذبت الأمم التي خلت بوعيد الله تعالى، وتكذيب الرسل ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾وكذلك فإن عاقبة هؤلاء الذين يكذبونك - يا محمد- ويجحدون بآياتي من كفار قومك كالتي كانت

[1]- الفيومي، أبو العباس أحمد بم محمد بن علي الفيومي المقري، المصباح المنير، معجم عربي-عربي، دار الحديث، القاهرة، مصر،(دط، 1424هـ/ 2003م)، ص:230.

عاقبة من قبلهم إن لم ينيبوا ويسارعوا إلى ربهم، وهو العالم بالمفسدين[1]، هؤلاء القوم المكذبون سماهم بالظالمين، كما أطلق عليهم اسم المفسدين في الموضع نفسه.

كما فصّل القرآن الكريم في جزاء وعاقبة الأقوام الذين سبقوا، وبيّن أنّ عقابهم كان بسبب ظلمهم وإفسادهم؛ حيث يقول الله تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: 40].

فالمذكورون في الآية هم؛ قوم لوط، وثمود وفرعون وقارون وقوم نوح، وهؤلاء أخبر القرآن الكريم عن فسادهم وإفسادهم في الأرض في مختلف الوقائع والمناسبات، فمنهم من أخذ بالريح وهم قوم لوط، ومنهم من أخذتهم الصيحة كمدين وثمود، ومنهم من خسفت به الأرض كقارون، ومنهم من قضى بالغرق كقوم نوح وفرعون، فبسبب إفسادهم وظلمهم لأنفسهم، حقّ عليهم قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[العنكبوت: 40].

فالأقوام البائدة سماهم ظالمين لأنهم كذبوا بآيات الله وكفروا بها، وهم مفسدون لأنهم لم يؤمنوا بالله أيضا، فكان كفرهم بالله وبآياته، سببا لوسمهم بالظالمين وبالمفسدين.

يصف القرآن الكريم آل لوط بالمفسدين تارة، وبالظالمين تارة أخرى؛ حيث يخبر عن نبي الله لوط عليه السلام، أنه أنكر على قومه سوء صنيعهم، وما كانوا يفعلونه من قبيح الأفعال في إتيانهم الذكران من العالمين، ولم يسبقهم إلى هذه الفعلة أحد من بني آدم قبلهم، وكانوا إلى هذا يكفرون بالله ويكذبون الرسول ويقطعون السبيل.[2]

ولهذا نادى نبي الله ربه مستنصرا﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [العنكبوت: 30]، فأرسل الله تعالى لهم من يهلكهم فقال تعالى:

﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [العنكبوت: 31].

---

[1]– الطبري، جامع البيان، 3/15، ابن كثير، تفسير ابن كثير، 8/4

[2]– ابن كثير، تفسير ابن كثير، 6/6.

فهم القوم المفسدون الظالمون بصريح الآيات الكريمة، بسبب ما كانوا يأتونه من قبيح الأفعال وأشنعها، ناهيك عن الكفر بالله وتكذيب الرسل.

كما جمع فرعون وقومه بين الظلم والإفساد، فنعتهم القرآن بالظالمين والمفسدين معا، في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأعراف: 103].

وقال تعالى في موضع آخر مبينا ظلم وإفساد فرعون وملئه؛ باستعلائهم وجحودهم لآيات الله:

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النمل: 13 – 14].

يقول **الرازي**(544هـ– 604هـ) في تفسيره: " وأيّ ظلم أفحش من ظلم من استيقن أنها آيات بينة من عند الله تعالى ثم كابر بتسميتها سحرًا بيّنًا".[1]

فكفر فرعون كفر جحود واستكبار، لأنه حين وصف آيات الله الدالة عليه، وأخرجها من دلائل الألوهية، ثم نعتها بالسحر، فقد أقرّ بها، ثم جحدها، وهو بذلك ظالم عندما وضعها في غير موضعها، ولم يقدر آيات الله حقّ قدرها.

من هذا يتبين أن الأقوام البائدة، قد اجتمع فيهم الظلم والإفساد في الأرض، فكانوا من المفسدين في الأرض، ومن الظالمين؛ عاثوا فسادا بكفرهم وتكذيبهم الرسل، وإتيان الفواحش مع أنهم نهوا عنها.

## ثانيا: هم الفاسقون.

كما أطلق القرآن الكريم على هؤلاء المفسدين الظالمين، تسمية الفاسقين أيضا، الذين أنزل عليهم العذاب بسبب فسقهم، وفصّل في المفاسد التي كان قوم لوط يأتونها حتى استحقوا العذاب، فقال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ

[1]– الرازي، مفاتيح الغيب، 184/24.

وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [العنكبوت: 27 – 30].

لقد سعى لوط عليه السّلام في ثني أهل قريته عن ارتكاب هذه الفاحشة، التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين[1]؛ وفي ارتكابهم لتلكم الفاحشة خروج عن الفطرة، وعن الغريزة التي أودعها الله سبحانه في هذا الإنسان، وتمرّد على سنة من سنن الله في خلقه، التي لا يحيد عنها إلا هالك، كما يخبر القرآن الكريم أنّ أهل هذه القرية كانوا يقطعون الطريق، ويأتون في مجالسهم ونواديهم المنكر.

و كان قوم لوط قطّاع طرقٍ؛ حيث كانوا من الذين يخرجون على النّاس في أسفارهم وحركتهم، فيسطون على أموالهم وينهبون ما معهم، وإن تأبّوا قتلوهم، أمّا في مجالسهم ونواديهم فهم لا يتورعون عن فعل وقول القبيح، فيستهزئون بالمارة ويؤذونهم، وفي هذا خروج عن استقامة القول والفعل، و كلّها من الفساد والإفساد في الأرض.[2]

وبلغ من إفسادهم وفسادهم، ما رواه معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { إِنَّ قَوْمَ لوطٍ كَانُوا يَجْلِسُونَ فِي مَجَالِسِهِم وعنْدَ كُلِّ رَجُلٍ قَصْعَةٌ منَ الْحَصَى، فَإِذَا مَرَّ بِهِمْ عَابِرٌ قَذَفُوهُ، فَأَيُّهُم أصَابَهُ كانَ أَوْلَى بِهِ }.[3]

---

[1]– يرى الشيخ الشعراوي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ أنّ الآية لا تعني أنّ أحدا لم يفعلها قبلهم، لكنها إن فعلت فهي فردية ليست وباء منتشرا كما هي في قوم لوط. الشعراوي، تفسير الشعراوي الخواطر، 11141/18. والسؤال الذي يتبادر إلى الأذهان: ما المانع أن يكون المعنى المستفاد من الآية هو ما يفهم من منطوقها الظاهر؟ وهو أسبقية قوم لوط في ارتكاب هذه المفسدة، كما كانت أسبقية ابن آدم قابيل في قتل أخيه هابيل.

[2]– الشعراوي، تفسير الشعراوي، 11144/18.

[3]– أورده البغوي في تفسيره دون تخريج. البغوي، معالم التنزيل، 240/6.

وعن أمّ هانئ رضي الله عنها أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ﴾ فقال: { كَانُوا يَحْذِفُونَ أَهْلَ الطَّرِيقِ، وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ فَذَاكَ الْمُنْكَرِ الذي كانُوا يأْتُونَ }.[1]

هذه التصرفات من القوم، تدلّ على فسقهم، كما تنمّ عن تعنتهم، وصدوفهم عن آيات الله، وتكذيبهم للوط ولرسالته، رغم دعوته المتكررة لهم، فلما لم يجد لوط عليه السلام منهم قبولا لدعوته، دعا ربه: ﴿ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾[ العنكبوت: 30].

دعا ربه أن ينصره عليهم بإنزال العذاب عليهم، فهم المفسدون بابتداع الفاحشة وحمل الناس عليها، وسَنّها لمن بعدهم.[2]

فكانت تلك المفاسد علة إهلاكهم، كما أخبر القرآن الكريم﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [العنكبوت: 34]، أي بما كانوا يأتون من معصية الله ويرتكبون الفاحشة[3]، ويخرجون في كلّ وقت من دائرة العقل والحياء[4]، وكلّ ما سبق ذكره من المفاسد جعل القرآن ينعتهم بالفاسقين، فاستحقوا العذاب الذي نزل بهم.

ويبيّن القرآن أيضا، أن فرعون وقومه كانوا من الفاسقين أيضا، كماهو في قوله سبحانه مخاطبا سيدنا موسى عليه السلام: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [النمل: 12].

و فاسقين هنا؛ أي: خارجين عن الطاعة، مارقين عن الدين.[5]

---

[1]– أخرجه الترمذي في سنن الترمذي بأحكام الألباني، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة العنكبوت، ص: 720، برقم(3190).

[2]– ابن عجيبة: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الفاسي الصوفي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، (دط، 1419هـ)، 299/4.

[3]– الطبري، جامع البيان، 33/20.

[4]– البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن بن علي بن أبي بكر البقاعي، نظم الدّررفي تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (دط، دت)، 434/14.

[5]– ابن عادل: أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، شارك في تحقيقه برسالته الجامعية: د. محمد سعد رمضان حسن، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1، 1419هـ/1998م)، 244/9.

وهنا ذكر القرآن الكريم فرعون وقومه ونعتهم بالفاسقين، كما هي حال قوم لوط، بسبب اشتراكهم في معصية الله وتكذيب رسوله إليهم؛ فموسى عليه السلام بعثه الله إلى فرعون وقومه فكذبوه، ولوط كذلك أرسله إلى قوم خاصة، ولكن كلٌّ كذبوا الرّسل فوصفهم الله سبحانه بالمفسدين والفاسقين، واستحقّوا معها عذاب الاستئصال، كما أخبر القرآن الكريم عنهم.

## ثالثا: هم المسرفون.

و يطلق القرآن لفظ أو اسم **المسرفين** على المفسدين كما في قوله تعالى:

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (150) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (152) ﴾ [الشعراء: 150- 152].

والإسراف هو تجاوز الحدّ في كل فعل يفعله الإنسان، وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر، والمراد به هاهنا زيادة الإفساد والمبالغة فيه.[1]

وقوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (150) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) ﴾قال ابن عباس: المسرفون هم المشركون، وقال مقاتل: هم التسعة الذين عقروا الناقة، واستمروا في إفسادهم في الأرض بالمعاصي، فلا يطيعون الله في شيء أمرهم به.[2]

وأخذ **صاحب روح المعاني** بالتفسير الذي جعل الخِطاب في الآية موجّها إلى قوم سيدنا صالح عليه السلام؛ من كبراء وأعلام الكفر والإضلال؛ وكانوا تسعة رهط عصوا أمر ربهم وعقروا الناقة.[3]

كما قال تعالى في شأن فرعون وقومه، وهو الذي جمع بين الإفساد والظلم والإسراف والفسوق: ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (83) ﴾ [يونس: 83].

---

[1]- الألوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط1، 1415هـ)، 10 /112.

[2]- البغوي، معالم التنزيل، 125/6.

[3]- الألوسي، روح المعاني، 112/10.

أي من المسرفين في الظلم والفساد، وفي الكبر والعتوّ بادعائه الربوبية.[1]

ويؤكد القرآن الكريم في آيات عديدة فساد أعمال فرعون، وإفساده في قومه باستضعافهم وتقتيلهم: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾[القصص: 4].

هذه الآيات تبيّن إفساد فرعون في الأرض، باعتباره فردًا، وباعتباره الحاكم الأول على قومه؛ حيث مكنته المكانة التي يحوزها من التسلّط على رقاب قومه، واستضعافهم، واستعبادهم؛ فهو يجسد صورة الحاكم الفاسد، وكيف يكون للإنسان فردا أن يفسد في الأرض، خاصة إذا أتيحت له الوسائل والأدوات التي تلهي وتشغل الإنسان عن مغالبة الأهواء.

ويتعدى الفساد حتى يشمل أمما وأقواما، و يصبح الإفساد في الأرض شريعة ومنهجا لهم، يظهر جليّا في أقوالهم وأفعالهم، وإن توالت عليهم رسل الهداية من ربّ العالمين.

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [المائدة: 32].

القوم المقصودون في الآية هم بنو إسرائيل؛ فالآية تبيّن أن بني إسرائيل رغم ما جاءهم من البينات ومن الرسل، إلا أنهم استمروا في إعراضهم وإفسادهم في الأرض بشتى صور الفساد، بل وأفسدوا أيّما إفساد.

وفي هذه الآية جاء لفظ المسرفين متصلا بقرينة الأرض، كما هو الاستعمال القرآني في لفظ الإفساد الذي ارتبط بلفظ الأرض في آيات كثيرة، لتصوير هذا الإسراف عند السامع وتفظيعه[2]، ولعلّ اشتراك الإفساد وإسراف بني إسرائيل في القتل العمد، وفي كل الأفعال والسلوكات الخارجة عن الاعتدال والاستقامة، وإضرارها بالغير، يجعل ارتباطها واتصالها بالأرض ارتباطا مناسبا، فتكون الأرض مسرحا مفتوحا شاهدا ومشهودا، يشهد عليه الزمان والمكان والأشهاد على مرّ الزمن.

---

[1]- الزمخشري، الكشّاف، 44/3.

[2]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 179/6- 180.

كما أضيف مسمى المسرفين إلى المفسدين، والظالمين، والفاسقين الذي أطلق على قوم لوط، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الأعراف: 81]، والسبب الأول في ذلك دائما هو تعاطيهم الفواحش، وتجاوزهم لحدود الفطرة البشرية، وتكذيبهم لنبيهم ولما جاء به عن ربه.

من هنا يكون الإسراف ومجاوزة حدود الاستقامة؛ بالقتل أو اقتراف فاحشة اللواط من أعظم الإفساد في الأرض.

## رابعا: هم المجرمون.

من إطلاقات القرآن الكريم على المفسدين أيضا اسم المجرمين؛ فقد أطلق على قارون بسبب ما كان من جحوده وتبجحه واستعلائه بالأموال التي أوتيها، قال تعالى:

﴿ ۞ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص: 76 – 77].

فالآية صرحت بأن قارون من المفسدين؛ حيث بغى وتكبر بكثرة ماله وولده؛ فظلم وأنفق المال في المعاصي، وزاد في بغيه حين قال استعلاء: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ ﴾ وزاد بغيا وجحودا لقدرة الله عزوجل، حتى جعله الله مثلا في إهلاك كل باغ، أو جاحد لفضل الله ونعمه عليه، ولم تمنع عنه العذاب شدة قوته، ولا جميع أمواله؛ حيث جاء في حقه قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[القصص: 78].

فكان من زمرة الفاسدين والمجرمين في آن واحد؛ لأنه اغترّ بماله وقوته، والله تعالى إذا أراد إهلاكه لم ينفعه كل ذلك، ولا حاجة إلى أن يسأل المجرمين عن ماهية ذنوبهم وكميتها، لأنه عالم بكل المعلومات [1]، ولا يسألون سؤال استعلام وإنما يسألون سؤال

[1]– الرازي، مفاتيح الغيب، 25 /17.

التقريع والتوبيخ [1]، الذي يلام به المفسدون المجرمون على ما كان منهم، وما قد يكون ممن كان على شاكلتهم، ولينبه على استحقاقهم العذاب الذي خصهم به المولى عزوجل العالم بما كان منهم.

ومن إفساد المجرمين؛ تكذيبهم لآيات الله تعالى، والافتراء عليه سبحانه وتعالى فجمعوا بين الظلم والإجرام الذي ينفي عنهم الفلاح، لقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [ يونس: 17]؛ فدلّت الآية على عظم جرم المفتري على الله.

وقولُه تعالى: "﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ ﴾استفهام وتقرير؛ أي لا أحد أظلم ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾أو ممن ﴿كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ﴾بعد بيانها، وذلك أعظم جرم على الله وأكثر استشراف إلى عذابه".[2]والمجرم هنا هو الكافر.[3]

وجملة القول هنا، أن المسميات التي أطلقها القرآن الكريم: الظالمون، الفاسقون، المسرفون وكذا لفظ المجرمين، كثيرا ما اجتمعت بلفظ المفسدين لتنطبق على أفراد وأقوام فضح الله كل المفاسد التي اقترفوها؛ الكفر بالله وبأنعمه، والتكذيب بآياته، القتل وإتيان الفواحش... وجميعها تعني الخروج عن طريق الاستقامة والخروج عن الفطرة، ومجاوزة الحدود التي رسمها وبينها الشارع الحكيم، وكلها توجب الجزاء والعقاب الذي رتبه المولى عزوجل عليهم وعلى أمثالهم.

---

[1]- البغوي، معالم التنزيل، 6 /3

[2]- ابن عطية، المحررالوجيز، 111/3.

[3]- ابن عطية، المحررالوجيز، 253/10.

## المطلب الرابع: الفساد وتعدّد مسمياته في القرآن الكريم.

مثلما تعددت مسميات المفسدين، فقد وردت في القرآن الكريم ألفاظ عديدة وقصد منها معاني للفساد والإفساد، من هذه الألفاظ:

### أولًا: البغي.

ورد لفظ البغي في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ ﴾ [يونس: 23].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ [الشورى: 42].

ومعنى **يبغون**؛ أي يفسدون ويكفرون، والبغي هو: التعدّي والأعمال الفاسدة.(1)

وقال ابن عباس: إنهم يبغون بالدعاء إلى عبادة غير الله تعالى، والعمل بالمعاصي والأعمال الفاسدة، وعند الزجاج البغي الترقي في الفساد.(2)

﴿ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾أي " يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون، وقيل ويظلمون الناس أي يضعون الأشياء في غير مواضعها من القتل وأخذ المال، والأذى باليد واللسان، والبغي بغير الحق: فهو نوع من أنواع الظلم خصه بالذكر تنبيها على شدته وسوء حال صاحبه".(3)

وجاء عند **المناوي** (ت1031هـ) في فيض القدير أنّ البغْي: هو مجاوزة الحدّ في الطغيان، كما يعني التعدّي بغير حقّ.(4)

وكل هذه المعاني؛ عامة كانت أو خاصّة، تدلّ دلالة واضحة على المعاني والصّور التي جاءت في تعريفات الفساد.

---

(1)– ابن عطية، المحررالوجيز، 113/3.

(2)– أبوحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 143/5.

(3)– المرجع نفسه، 500/7.

(4)– المناوي: زين العابدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن زين العابدين الحدّادي ثم المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصّغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، (ط1، 1356هـ)، 1/ 151.

وهناك من فسّر البغي في الأرض بالشرك، إلا أنه لا يرى تفسيره بالفساد أو الإفساد، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ ﴾فيبغون في الأرض هنابمعنى يشركون، وهو ما ذهب إليه **ابن عاشور** في تفسيره حيث يقول:

البغي هنا هو الاعتداء...والمراد به هنا الشّرك أو الإشراك، كما جاء صريحا في نظيرها في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [العنكبوت: 65]، وسمي الشرك بغيًا لأنه اعتداء وتعدٍّ على حق الخالق في الوحدانية والألوهية، وهو أعظم اعتداء، ولا يحسن تفسير البغي هنا بالفساد في الأرض.[1]

لقد فسّر **ابن عاشور** البغي في هذه الآية بالشرك، اعتبارا بتفسير القرآن بالقرآن، وهو المعتمد، وهو الذي لا يمكن القول بعده. إلّا أنّ هناك سؤالًا يطرح نفسه؛ أليس الشرك فسادا؟ فسادًا لفطرة الإنسان التي يولد عليها المرء، وفطرة المرء هي عقيدة التوحيد التي يفطر عليه كما نصت عليه الأحاديث النبوية، حتى إذا خرجت وحادت عن مسارها فسدت، وعليه فلا يكون سيئا إرادة الفساد من لفظ البغي هنا بطريق التعدّي؛ بمعنى أنه إذا كان البغي هنا هو الشرك، وسبق أن الشرك صورة من صور الفساد، جاز أن يطلق لفظ البغي على الفساد دون تحكّم.

كما جاء لفظ البغي في القرآن الكريم، ليدل على مفسدة الترف والإسراف حين بسْط الرزق، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الشورى: 27].

فقد فسّر المفسرون قوله تعالى﴿ لَبَغَوۡاْ ﴾ بغوا من كثرة البذخ والكبر، وتكبروا في الأرض، ففعلوا ما يتبع الكبر مع الغنى كما فعل قارون.[2]

ولا شكّ أنّ البغي والطغيان بسبب الغنى، من أكبر المفاسد التي تسيطر على المترفين والمرفهين، وهي حقيقة أقرها القرآن الكريم وأكّدها ـ بإنّ الدالة على التوكيد مع

---

[1]- ابن عاشور،التحرير والتنوير، 139/11.

[2]- أبوحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 495/7.

الجملة الاسمية ـ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ [العلق: 6 – 7].

وجدير بالذكر في هذا المقام، أنّ لفظ الفساد أو الإفساد، مع لفظ البغي يشتركان في اقترانهما بالقرينة نفسها في كثير من الآيات، وهي قرينة في الأرض. وقد مر أن الفساد مرتبط في كثير من الآيات بالأرض، وكذلك البغي تجده في أغلب الآيات مرتبطا بالأرض، هذا الاشتراك في القرينة يعزّز القول باشتراكهما في المفهوم والمعنى، ولعلّ اقتران لفظ البغي بالأرض إنما كان ليفيد معنى " الاعتداء على ما وضعه الله في الأرض من الحق الشامل لمنافع الأرض التي خلقت للناس...والبغي عليها بمثل الكبرياء والصلف وتحقير الناس المؤمنين، وطردهم عن مجامع القوم بغي في الأرض بغير الحق، والأرض أرض مكة أو جميع الكرة الأرضية وهو الأليق بعموم الآية، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا ﴾ وقال: ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾ فكل فساد وظلم يقع في جزء من الأرض فهو بغي مظروف في الأرض".[1]

ومن دلالات اقتران لفظي الإفساد والبغي بلفظ الأرض أيضا، دلالة استغراقهما لمختلف الجوانب الحياتية التي تخص الناس على هذه الأرض؛ من العقيدة التي يدينون بها إلى المعاملات التي تدير وتدبّر تعاملاتهم اليومية، فمتى خرجت عما جاءت به الشرائع السماوية، فقد فسدت و اختارت سبل البغي والإفساد في الأرض.

## ثانيا: الإهلاك.

ومن الألفاظ التي دلت على معاني الإفساد أيضا: الإهلاك كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [البقرة: 205].

اختلف أهل التأويل في وجه إهلاك هذا المنافق الذي نزلت في حقّه هذه الآية؛ حيث يظهر أن إفساده كان بإهلاك الحرث والنسل مباشرة؛ حيث قال بعضهم: كان ذلك منه إحراقا لزروع قوم من المسلمين، وعقرا لحمرهم.

[1]–أبوحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 121/25.

وقال آخرون: إنّ السعي في الأرض بالعدوان والظلم، يحبس الله بسببه القطر، فيهلك الحرث والنسل[1]. وهذا من الفساد المادي الذي يؤثر في معاش الناس، بسبب فساد أفعالهم وما كسبته أيديهم، قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[الروم: 41].

وتفصيل الآية؛ أنها نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي[2]، الذي أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مظهرا له الإسلام، فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منه، وقال: إنما جئت أريد الإسلام والله يعلم أني صادق، وذلك قوله: ﴿ وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ ﴾ ثم خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم فمرّ بزرع القوم من المسلمين وحمر، فأحرق الزرع وعقر الحمر، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ﴾. [3]

وقال آخرون: بل نزلت في قوم من أهل النفاق، تكلموا في السرية التي أصيبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجيع – بين مكة والمدينة –[4]

وقال آخرون: بل عنى بذلك جميع المنافقين، وعنى بقوله:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ [البقرة: 204] اختلاف سريرته وعلانيته.[5]

---

(1)– الطبري، جامع البيان، 4/239–240.

(2)– واسمه أبيّ بن شريق ويعرف بالأخنس بن شريق بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غِيَرة بن عوف بن ثقيف الثقفي يكنى أبا ثعلبة، وكان الأخنس حليفا لبني زهرة، ومقدما فيهم، فلما خرجت قريش إلى بدر، وأتاهم الخبر عن أبي سفيان بن حرب أنه قد نجا من النبي صلى الله عليه وسلم وأجمعت قريش على إتيان بدر، أشار الأخنس على بني زهرة بالرجوع إلى مكة، وقال لهم: قد نجى الله عيركم التي مع أبي سفيان، فلا حاجة لكم في عيرها فعادوا، ولم يقتل منهم أحد، فلقب بالأخنس. ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن عبد الواحد الشيباني الجزري عزّ الدين ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، (ط1، 1415هـ/1994م)، 1/166، رقم 29 ترتيب الأخنس في المرجع.

(3)– الطبري، جامع البيان، 4/229–230.

(4)– المرجع نفسه، 4/230.

(5)– الطبري، جامع البيان، 4/231.

أمّا **الماتريدي**(ت 333هـ) فذهب في تأويل الآية إلى تأويلين[1]:

**الأول:** أنّ الآية نزلت في رجل من الكفار دون أن يذكر اسما بعينه، وأخبر عنه أنه كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبره أنه يحبه، ويحلف له على ذلك، وفي قلبه خلافه.

إنّ القول بأن المقصود في الآية رجل من الكفار يظهر خلاف ما يبطن، يعني أنه من المنافقين، لأن الكافر يظهر العداوة لله ورسوله سرا وعلانية، أمّا إذا أظهر الحب والاتباع لدين الله، وأبطن العداوة والبغضاء كان من المنافقين.

**الثاني:** أنها نزلت في المنافقين الذين يظهرون أنهم على دين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى مذهبه، وهم يضمرون العداوة والسوء لهذا الدين.

ويبدو أنّ تأويلات هذه الآية وإن تعدّدت، فإنها تتفق في مجموعها على أن المقصود بالآية عموم الذين يظهرون المحبة والاتباع لدين الله تعالى، ولكن ضمائرهم تستعر حقدا وعداوة لله ولرسوله، فيسعون في الأرض إفسادا.

وهذا ما حدا **بالرازي**(ت604هـ)، إلى القول بأنّ حمل الآية على العموم أكثر فائدة؛ ليكون زجرا وردعا للمكلفين عن الاتصاف بتلك الأوصاف المذمومة.[2]

ومن هنا يكون معنى الآية عاما في وصف كل منافق ـ المعنى يعم جنس المنافقين ـ بأنه إذا تولى مدبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل في أرض الله بالفساد بجميع المعاصي، فلم يخصص الله وصفه ببعض معاني الإفساد دون بعض، وجائز أن يكون ذلك الإفساد منه بمعنى قطع الطريق، وجائز أن يكون غير ذلك...

إلّا أنّ الأشبه بظاهر التنزيل أنه كان يقطع الطريق، ويخيف السبيل؛ لأن الله تعالى ذكر وصفه في سياق الآية؛ بأنه سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، وذلك كفعل مخيف السبيل، وأقرب إليه وأشبه به فعل قاطع الرحم.[3]

---

[1]- الماتريدي: محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي، تفسير الماتريدي تأويل أهل السنة، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط1، 1426هـ/2005م)، 100/2.

[2]- الرازي: أبوعبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت،(ط3،1420هـ)، 344/5.

[3]- الطبري، جامع البيان، 239/4.

فإذا كان المعنى إهلاك الحرث والنسل بالحرق مثلا، فهو من الإفساد المادي؛ الذي كثيرا ما يكون نتيجة عن فساد الأخلاق، والخروج عن المنهج الإلهي.

والمعنى الآخر الذي أفاده معنى التولي في الآية، هو تولية الحكم والولاية، جاء في تفسير **الألوسي**: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ ﴾ أي أدبر وأعرض، أو إذا غلب وصار والياً. ﴿سَعَىٰ ﴾أي أسرع في المشي أو عمل في الأرض لِيُفْسِدَ فِيهَا ما أمكنه، ﴿ وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ﴾، قال: إذا تولى سعى في الأرض بالعدوان والظلم، كما فعله الأخنس، إذ أن المنافق لا همة له إلا الفساد في الأرض، وإهلاك الحرث: وهو محل نماء الزرع والثمار، والنسل: وهو نتاج الحيوانات؛ وفي ذلك إهلاك للناس، لأنه لا قوام للناس إلا بهما، أو كما يفعله ولاة السوء بالقتل والإتلاف. أو يظهر الظلم الذي يمنع الله تعالى بشؤمه القطر، فيهلك الحرث الزرع والنسل.[1]

**وللماتريدي**(ت333هـ) قول آخر في إهلاك الحرث؛ حيث يرى فيه معنى قتل النساء، وهن الحرْثُ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾[البقرة: 223]، ويحتمل أن يكون المراد بالحرث قتل ولد آدم، لأن في إهلاكهم إهلاك كلّ حرث، لأنهم هم الذين يحرثون ويتناسلون.[2]

أمّا **القشيري**(ت465هـ)، ففسر الآية على وجه العموم؛ حيث ذهب إلى أنّ الآية إشارة " لمن سعيه مقصور على استجلاب حظوظه، فهو لا يبالي بما ينحلّ من عرى الدّين ويلهي عن أسباب الإسلام، بعدما تشتدّ حبال دنياهم، وتنتظم أسباب مناهم من حرام جمعوه، وحطام حصّلوه، فإذا خلوا إلى وساوسهم وقصودهم الردية سعوا بالفساد بأحكام أسباب الدنيا، واستعمالهم من يستعينون بهم في تمشية أمورهم من القوم، الذين نزع الله البصيرة من قلوبهم".[3]

[1]- الألوسي، روح المعاني، 491/1. سعيد حوى، الأساس في التفسير، دارالسلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، (ط6، 1424هـ/2003م )، 478/1.

[2]- الماتريدي، تفسير الماتريدي، 101/2.

[3]- القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، تفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (ط3، دت)، 170/1.

وهنا يمكن القول، بأن تفسير **القُشيْري** يشير إلى صورة من صور الإفساد، الذي يصطلح عليه اليوم بالفساد الإداري، أو فساد أصحاب النفوذ الذي حصَّلوه بالأموال، والأعمال التي حصلوها من طرق غير مشروعة، فاستسهلت عليهم شتى المفاسد كالرشوة والاختلاس والخيانة وغيرها الكثير، وكلها مفاسد تكرس الرداءة والتأخر، بل والانحراف عن سبيل التقدم، والبناء الحضاري، الذي لا يمكن له أن يقوم إلا على الاستقامة، وتبنّي مقومات المجتمع الحضاري المسلم.

خلاصة الكلام هنا، أنّ الإهلاك في كلا التأويلين يعني الفساد؛ سواء أكان التولي من الولاية أو من الإدبار والإعراض، وسواء أكان الإهلاك بإحراق زروع القوم وعقر حُمرهم، أو هلاك الحرث والنسل الذي كان نتيجة حبس القطر، بسبب المعاصي والمظالم التي تجترحها أيادي الناس، فكلها فساد يخرج الأشياء عن حال الاستقامة والاعتدال والصلاح التي يستفاد منها، إلى حال الفساد التي يبغضها الله تعالى، ولا يرضى عنها؛ فالأول إفساد مباشر من عبد فاسد في ذاته، فكانت شيمته الإفساد في الأرض؛ بالحرق وقتل النسل، والثاني إفساد غير مباشر، نجمَ عن فساد طويته وسريرته، وفساد أفعاله سببا في ما أصاب من القحط ومنع القطر والغيث، الذي يؤدي إلى جفاف الزروع والضروع ونفوق المواشي، ومن ثم هلاك الإنسان.

# الفصل الثاني:

# مجالات الفساد وأنواعه.

- ❖ المبحث الأول: المجال العقدي.
- ❖ المبحث الثاني: المجال الأخلاقي الاجتماعي.
- ❖ المبحث الثالث: المجال الاقتصادي المالي.
- ❖ المبحث الرابع: المجال السياسي.

## توطئـة:

لقد وُجد الفساد في الأمم منذ بدء الخليقة، واستخلاف الإنسان على هذه الأرض، فوجوده قائم منذ قيام الإنسان بأعباء الخلافة، ثمّ استشرى أكثر وطال مختلف نواحي ومجالات الحياة التي يحياها الإنسان، سواء علاقته بربه أو علاقته بغيره من بني جنسه.

لذلك اعتنى الإسلام عناية عظيمة بترتيب وتنظيم علاقة العبودية بين العبد وربّه، حتى يحيا حياة طيبة مطمئنة؛ إذ أن طبيعة العلاقة بن العبد وربه هي التي تلقي بظلالها على السلوك الإنساني سلبا أو إيجابا، وعلى حياته فردا أو مجتمعا، فجاء الإسلام لإرساء أصول وقواعد هذا الدين، حتى يكون منهج حياة.

ومن هنا يكون الخروج عن هذه الأصول والقواعد فسادا، تصدّت له الشرائع السماوية، والدين الإسلامي على وجه الخصوص، باعتباره خاتم الرسالات.

وعليه، بيّن القرآن الكريم مختلف المفاسد التي تصيب حياة البشر، أو تطرأ على حياتهم لأي سبب من الأسباب، وفي مجالات كثيرة ودقيقة، يمكن إجمالها كما يلي:

المجال العقدي؛ ولعلّه المحور الذي تدور حوله باقي المجالات؛ المجال الاجتماعي الأخلاقي، المجال الاقتصادي والمجال السياسي. وسيأتي بيانها جميعا في مباحث هذا الفصل.

# المبحث الأول: المجال العقدي.

العقيدة الصحيحة السليمة هي أهم القواعد أو الأركان التي جاء هذا الدين لإرسائها، وتثبيت قواعدها، لهذا يعتبر أي خلل فيها بمثابة الفساد الأول والأولى بالإصلاح، وفق ما أرشدت إليه تعاليم الدين الإسلامي، باعتباره خاتم الرسالات السماوية.

والفساد العقدي، هو كل ما تعلق بعقيدة المسلم، التي تعني كل ما يتعلق بحق الله تعالى على العباد؛ الذي قد يخرج عن الاستقامة، فينحرف إلى صور وأشكال فاسدة؛ كالكفر أو الشرك أو النفاق، وتلحق بها أشكال أخرى تفسد عقيدة المسلم؛ كتكذيب الرسل، والتكذيب باليوم الآخر، والصد عن سبيل الله أو اللجوء إلى غير الله تعالى، وهذا مما يشيع الفساد بشتى أنواعه.

فما المفهوم العميق للفظ العقيدة التي انبثق منها عنوان هذا المبحث؟ وما صور الفساد فيها؟

وهنا أعرض البعد المفاهيمي للفظ العقيدة.

## أولا: في اللغة.

كلمة الْعَقَدِي الواردة في عنوان المبحث نسبة أو صفة؛ هي اسم مشتقّ من الفعل الثلاثي عَقَدَ.

يقال عَقَدَ الحبل والبيع والعهد يَعْقِدُهُ عقدًا فانعقد: شَدَّهُ. والعقد نقيض الحَلِّ. ثمّ استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم.(1)

واعتقد فلان الأمر: صدّقه وعقد عليه قلبه وضميره.(2)

(1)- الزبيدي، تاج العروس، 394/8.

(2)- مدكور: إبراهيم مدكور، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، (ط1، 1400هـ/ 1980م)، ص: 426

## ثانيا: في الاصطلاح.

العقيدة هي: الحكم الذي لا يُقبل الشكُّ فيه لدى معتقده. وتطلق في الدين على ما يؤمن به الإنسان ويعتقده. [1]

وعرفها آخر بأنها: " ما يعقد الإنسان قلبه عليه، ثم أصبحت تطلق على ما يدين به الإنسان من الأفكار والآراء التي يؤمن بها، والتي تحل في قلبه وضميره وتنعكس على تصرفاته وسلوكاته".[2]

يظهر من المفهومين أنهما عامان، لا يقيدان هذه العقيدة، بل ويجعلانها عامة في كل ما يراه الإنسان من آراء نفسية، وأفكار قد تستند إلى آراء أو تشريعات وضعية بعيدة عن الصحة.

وإطلاق لفظ العقيدة على ديننا الإسلامي جاء من الاعتقاد الجازم الذي لا يداخله شكّ في صحّة هذا الدين، وهو الدين الذي ارتضاه الله سبحانه لعباده في كلّ زمان ومكان، وهو الدين الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكُلّف بتبليغه، وارتضاه ربنا سبحانه وتعالى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، لقوله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة: 3]، وجب أن يكون التعريف أكثر تخصيصا وتقييدا.

ومن ذلك، المفهوم الذي يجعل الإسلام لصيقا بلفظ العقيدة، حتى أنه إذا ذكر لفظ العقيدة انصرفت الأذهان إلى العقيدة الإسلامية دون سواها.

فالعقيدة الإسلامية هي: " مجموعة من قضايا الحق البديهية، بالعقل والسمع والفطرة، يعقد عليها الإنسان قلبه ويثني عليها صدره، جازما بصحتها، قاطعا بوجودها وثبوتها،لا يرى خلافها أن يصحّ أو يكون أبدا، وذلك كاعتقاد الإنسان بوجود خالقه،

---

[1]- مدكور: إبراهيم مدكور، المعجم الوسيط، الدار الهندسية، (ط3، 1985م)، ص: 614.

[2]- الخن: مصطفى سعيد الخن، مبادئ العقيدة الإسلامية، مديرية الكتب الجامعية، دمشق، (د ط، 1983م)، ص: 14.

وعلمه به، وقدرته عليه، ولقائه بعد موته، ونهاية حياته، ومجازاته إياه على كسبه الاختياري".[1]

بالنظر في هذا المفهوم، يتبين أنه استند إلى عنصر واحد من عناصر العقيدة الحقة، وإن كان عنصرا مهما، فقد غابت عنه عناصر العقيدة التي بينها القرآن الكريم؛ متمثلة في الإيمان بالله، واليوم الآخر، والملائكة، والكتب المنزلة، والنبيين؛ لقوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾[ البقرة: 285].

وفي مفهوم آخر، أضاف صاحبه الاعتقاد ببعث الرسل؛ وهو عنصر مهم من عناصر العقيدة الإسلامية؛ حيث جاء فيه، أن العقيدة: هي ما يقصد به الاعتقاد دون العمل، كعقيدة وجود الله وبعثة الرسل، والجمع عقائد.[2]

من خلال هذه المفاهيم يمكن أن نستخلص، أن العقيدة الإسلامية هي الإيمان الذي يتجسد في خاتمة العقائد السماوية، كما بينها القرآن الكريم وهدي الرسول العظيم، متمثلة في الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين.[3]

وهذه هي العقيدة الإسلامية التي كان العلماء يعبرون عنها بـ: **الإيمان**، أو **الفقه الأكبر** [4]، وأحيانا **التّوحيد**[5] أو**أصول الدين**، وكلها تعنى بجانب التوحيد؛ توحيد الخالق عز وجل.

---

[1]– أبوبكر الجزائري، عقيدة المؤمن، دارالعقيدة، القاهرة، (د ط، د ت )، ص: 15.

[2]– إبراهيم مدكور: المعجم الوسيط، ص: 614.

[3]– القرضاوي: يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، (دط، 1987م)، ص: 24.

[4]– يعدّ الإمام أبو حنيفة أول من أطلق على علم العقيدة علم الفقه الأكبر، والسبب في هذه التسمية يعود إلى أن علم التوحيد هو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع.أبو العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، دار ابن رجب، المنصورة، (ط2، دت)، ص: 17.

[5]– أصل معنى التوحيد اعتقاد أن الله واحد لا شريك له– وهذا أصل من أصول هذا الدين– وسمي هذا العلم بتسمية أهم أجزائه، وهو إثبات الوحدانية لله تعالى في الذات والفعل في خلقه الأكوان، وأنه وحده مرجع كل كون، ومنتهى كل قصد، وهذا المطلب كان الغاية العظمى من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم.

وعلى هذا عرّف **ابن القيم** العقيدة أو الإيمان، بقوله:

" هو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم علما، والتصديق به عقدا، والإقرار به نطقا، والانقياد له محبة وخضوعًا، والعمل به باطنا وظاهرا، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان، وكماله في الحب في الله والبغض في الله، والعطاء لله والمنع لله، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده، والطريق إليه تجريد متابعة رسوله ظاهرًا وباطنًا، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى سوى الله ورسوله".[(1)]

ويعرف الإمام **حسن البنّا** العقيدة بأنها: " الأمور التي يجب أن يصدق بها قلبك وتطمئن إليها نفسك، وتكون عندك يقينًا لا يمازجه ريب ولا يخالطه شكٌّ".[(2)]

ولا شكّ أنّ الأمور التي يجب أن تُصدق ويطمئن لها القلب هي توحيد الله تعالى، والاطمئنان لألوهيته، ووحدانيته، وصفاته تعالى، حتى تصل إلى درجة اليقين الجازم المطابق للواقع لا يشوبه شكٌّ ولا ظن، لأنه متى " كان الاعتقاد غير مطابق للواقع والحق الثابت، ولا يقوم على دليل فهو ليس عقيدة صحيحة سليمة، وإنما هو عقيدة فاسدة كاعتقاد النصارى بألوهية عيسى عليه السلام وبالتثليث".[(3)]

وفي حديث يخبر فيه النبي صلى الله عليه وسلم عن حقيقة الإيمان، فيما روي عن عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يوما بارزًا للنّاس، فأتاه رجل فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: { أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ ومَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ ولِقَائِهِ ورُسُلِهِ ونُؤْمِنُ بِالبَعْثِ الآخِرِ }.[(4)]

---

(1)– ابن القيم، الفوائد، دارالنفائس، بيروت، لبنان، (ط7، 1986م)، ص: 140.

(2)– حسن البنا، مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، ص: 379.

(3)– عثمان بن جمعة ضميرية، أثر العقيدة الإسلامية في اختفاء الجريمة، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، (ط1، 1421هـ/2000م)، ص: 24.

(4)– أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام و وجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان التبرّي ممن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقّه، ص: 39/1، برقم (9). وفي لفظ آخر عند مسلم أيضا: عن عبد الله بن عمر عن أبيه قال في حديث طويل: {أَنْ تُؤْمِنَ بالله ومَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليَوْمِ الآخِرِ وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ}، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام، والقدر، وعلامة الساعة، ص:37/1، برقم(8).وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة، وبيان النبي صلى الله عليه وسلم.ثم قال: جاء جبريل عليه السلام يعلمكم دينكم، فجعل ذلك كله دينا. وما

وعلى هذا جرت العادة وسرى العرف، أنه كلما أطلقت كلمة العقيدة إلا وانصرفت العقول إلى العقيدة الإسلامية التي من مرادفاتها الإيمان الذي يرتبط بالله تعالى، لذلك قال الطبري في تفسيره معرفا الإيمان بأنه: " كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله وتصديق الإقرار بالفعل".[1]

وكان **الحسن البصري** يقول: ليس الإيمان بالتمني والتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدّقه العمل. وهذا يبيّن أنّ القلب هو الوعاء الذي يحتوي ويتحلى بهذه الصفات المعنوية، لتنعكس بعد ذلك على مختلف الجوارح قولا وعملا.

وفي الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم: { أَلَا وإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَح الْجَسَدُ كُلّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ }.[2]

ولا يصلح هذا القلب إلا إذا استقرّ فيه الإيمان الصادق، الجازم بوحدانية الله تعالى وبجميع صفاته، وهذا يؤدي إلى صلاح واستقامة الأخلاق والسلوكات التي يصلح بها الفرد والمجتمع، إذْ أنّ الإيمان الصادق لا يجتمع إلا والأعمال الصالحة.

إنّ العقيدة الإسلامية الحقة هي التي جاء بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وعمل جاهدا على إرساء قواعدها وتثبيتها في النفوس المؤمنة؛ حيث تجدها تتخلل جميع سور القرآن الكريم، وتتخلل جميع الأحكام، والأخلاق، والتشريع...

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ ﴾ [الأنعام: 102 – 103].

هذا الإدراك العقلي، الذي ينتهي إلى اطمئنان القلب، إذا بلغ حدّ الجزم، بعث على العمل بمقتضيات هذه العقيدة، وعلى الالتزام بمبادئها الخلقية والسلوكية؛ يقول عزّمن

---

بيّن النبيّ صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس من الإيمان. وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾ [آل عمران: 85]، 33/1، برقم(50)، وفي كتاب تفسير القرآن، باب إنّ الله عنده علم الساعة، 275/3، برقم(4777). مع اختلاف طفيف في اللفظ بين التخريجين.

[1]– الطبري، جامع البيان، 101/1.

[2]– سبق تخريج الحديث، ص: 36.

قائـــل: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: 2 – 4].

ويقول سبحانه: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [المؤمنـــون: 1 – 5].

وعلى هذا يمكن القول بأنّ للعقيدة – الإسلامية– تأثيرا كبيرا في الحياة البشرية؛ الفردية والجماعية، وهي تتخلل جميع سور القرآن بلا استثناء، وتتخلل جميع أحكام الإسلام الأخلاقية والتشريعية، فإننا لا نستطيع مثلاً أن نعزل قواعد النظام الاجتماعي التي أرساها القرآن الكريم عن هذا العنصر الإيماني، ولا نستطيع أن نعزل قواعد النظام الاقتصادي أو السياسي أو غيرها من النظم الإسلامية عن هذه العقيدة...فهي تكوّن كلاّ منسقا متكاملا مترابطا؛ فإذا صلحت العقيدة واستقامت صلحت النظم والأعمال على كثرتها وتنوعها، لأنه لا يمكن في أيّ حال من الأحوال أن يستقيم الظلُّ والعود أعوج.

" إنّ الإسلام أرسى التوحيد أولاً في القلوب وجعله يمتدّ بعدئذ في دروب الحياة دون عائق، ودور الشريعة بعد رسوخ العقيدة صوغ القوالب التي يتمّ فيها العمل الصالح وتحديد ما نزل من أمر ونهي وحلال وحرام، ولا قيام للشريعة إلا على مهاد راسخ من الإيمان بالله الواحد".[1]

بعد هذا، يكون مناسبا توضيح وبيان الأمور التي تؤثر في صلاح هذه العقيدة سلباً، وعلى الأصح الأمور التي تنقض الإيمان وتخرجه من حدود دائرة الصلاح، وهي ما يدخل تحت عنوان: نواقض الإيمان أو نواقض العقيدة الإسلامية ومفسداتها، لأنها تخرج العقيدة من دائرة الصلاح التي قامت عليه، إلى عقيدة فاسدة.

---

[1]– الغزالي: محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار السلام للنشر والتوزيع، (دط، دت)، ص: 50

وقد أحصى العلماء هذه المفاسد، ووجدوا أنها عشر مفاسد أو نواقض هامة[1]، إلا أنه سيأتي تفصيل لأهم هذه المفاسد حسب ما يقتضيه المقام، على اعتبار أنّ بعضها يشمل ويحتوي بعضها الآخر.

## المطلب الأول: الشرك بالله.

### أولا: في اللغة.

الشّرك من شرَك، الشِّركة والشَّركةُ سواء: مخالطة الشريكين. يقال: اشتركنا بمعنى تشاركنا، وتشاركا وشارك أحدهما الآخر...والشريك: المشارك، والشرك كالشريك، والجمع أشراك وشركاء.[2]

وأشرك بالله: جعل له شريكا في ملكه، تعالى الله عن ذلك، والاسم الشِّرك.

قال الله تعالى حكاية عن عبده لقمان أنه قال لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ ﴾ [ لقمان: 13 ].

والشرك أن تجعل لله شريكا في ربوبيته تعالى الله عن الشركاء والأنداد.[3]

ويضيف صاحب لسان العرب قائلا: ...و إنما دخلت الباء في قوله تعالى: ﴿لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ ﴾ لتفيد معنى ألّا تعدل به غيره، فتجعله شريكا له، كما هو النهي في قوله تعالى: ﴿ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا ﴾ لأنهم أشركوا حين عدلوا به غيره من الخلق؛ وهذا من الكفر والشرك، عدل به شيئا من خلقه فهو كافر مشرك، لأن الله وحده لا شريك له ولا ندّ.[4]

---

[1]– القحطاني: محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف، دار طيبة، الرياض، السعودية، (ط1، دت)، ص: 75- 76.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، باب الشين، 2248/4.

[3]– المرجع نفسه، 2249/4.

[4]– المرجع السابق، الصفحة نفسها.

"وفي حديث تلبية الجاهلية: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك، يعنون بالشريك الصنم، يريدون أنّ الصنم وما يملكه ويختص به من الآلات التي تكون عنده وحوله والنذور التي كانوا يتقربون بها إليه كلها ملك لله عزّ وجلّ فذلك معنى قولهم تملكه وما ملك".(1)

هذا الكلام الذي كان من أهل الجاهلية، يرددونه أثناء طوافهم وحجهم؛ ينفي عن الله تعالى الشريك من مخلوقاته، وفي الوقت ذاته يثبت له الشريك ممّا صنعته أيديهم؛ وهذا يعني أنّ الشريك عندهم لا يكون مخلوقا من خلق الله تعالى، ولكن يمكن أن يكون صنما ممّا تصنعه أيديهم.

## ثانيا: في الاصطلاح.

ورد في روح المعاني في مقام تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: 48]؛ أنّ "الشرك يكون بمعنى اعتقاد أنّ لله تعالى شأنه شريكا، إمّا في الألوهية أو في الربوبية، وبمعنى الكفر مطلقاً وهو المراد هنا ".(2)

وجاء في تفسير **الشّعراوي** أنّ: " من المشركين بالله هؤلاء الذين لا يجادلون في ألوهية الحق ولكنهم يجعلون لله شركاء، وهناك بعض المشركين ينكرون الألوهية كلها وهذا هو الكفر، فهناك إذن مشرك يؤمن بالله ولكن يجعل له شركاء، ولذلك نجد أنّ المشركين على عهد رسول الله يقولون عن الأصنام: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر: 3]. ولو قالوا: لا نذبح لهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى مثلا لكان من الجائز أن يدخلوا في عبادة الله، ولكنهم يثبتون العبادة للأصنام، لذلك لا مفر من دخولهم في الشرك، ويقول سيدنا إبراهيم عن الأصنام: ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ

(1)- ابن منظور، لسان العرب، باب الشين، 2249/4.

(2)- الألوسي، روح المعاني، 50/3.

ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الشعراء: 70- 77]."[1]

فمن فساد العقيدة في الله تعالى: " الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين بربّ العالمين، ولهذا قالوا لآلهتهم: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الشعراء: 97 - 99 ] مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت " [2]، كما دلت على ذلك الكثير من الآيات القرآنية، بأنهم كلما سئلوا: من الخالق، من الرازق؟ يقولون: الله، لقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [الزخرف: 9].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [العنكبوت: 61- 63]، ومع إقرارهم هذا إلا أنّ القرآن الكريم سمّاهم مشركين، لأنهم أفسدوا عقيدتهم باتخاذ الشريك من الأساس، إلى جانب تسويته بالله تعالى.

## ثالثا: لوازم اتخاذ الشريك.

من المعاني التي يتضمنها معنى الشركة والشركاء في واقع الناس، الاشتراك في الصفات والأفعال، ما يعني أن حضور الواحد يغني عند غياب الآخر، والامتثال للواحد يعني الامتثال والطاعة للآخر، فيكون من لوازم هذا الاشتراك السمع والطاعة وحسن الانقياد والاتباع، هذا المعنى تمثله المشركون حين سووا آلهتهم بربّ العالمين، فخصّوا آلهتهم بالمحبة، والتعظيم، والخوف، والرجاء، والانصياع، والاتباع.

---

[1]- الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص: 603.

[2]- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق أحمد فخري الرفاعي، عصام فارس الحرستاني، دار الجيل، بيروت، (دط، دت)، 379/1.

وهو الحال عند أكثر المشركين عبر العالم مع معبوداتهم من دون الله تعالى؛ حيث أنّ أكثرهم يحبون آلهتهم، ويستبشرون بذكرها، ويغضبون لمنتقصها، ومنتهك حرماتها، أكثر من محبة الله والاستبشار بذكره، والغضب لانتهاك حرماته[1]، لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: 165].

والمراد من الآية هنا" إنكار محبتهم الأنداد من أصلها، لا إنكار تسويتها بحب الله تعالى، وإنما قيدت بمماثلة محبة الله لتشويهها، وللنداء على انحطاط عقول أصحابها. وفيه إيقاظ لعيون معظم المشركين، وهم الذين زعموا أنّ الأصنام شفعاء لهم كما كثرت حكاية ذلك عنهم في القرآن، فنُبّهوا إلى أنهم سووا بين محبة التّابع ومحبة المتبوع، ومحبة المخلوق ومحبة الخالق لعلهم يستفيقون، فإذا ذهبوا يبحثون عما تستحقه الأصنام من المحبة وتطلبوا أسباب المحبة وجدوها مفقودة، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾ [مريم: 42]".[2]

فالمشركون أفسدوا عقيدتهم بالله حين عظموا معبوداتهم، وعندما انتبهوا لعجزها وافتقادها لموجبات العبودية، اتخذوا من لفظ الوسطاء والشفعاء مخرجا لشركهم، لكنهم يصرون على عبادتها، وإحاطتها بالتقديس، وإن ادّعوا غير ذلك.

لقد اعتقدوا الأنداد وسطاء، وشفعاء لهم عند الله عز وجلّ، يقضون حاجاتهم، أو يقضونها هم لأجلهم، ويحتجون لذلك بأنّ المقصرين في حاجة إلى وسائط؛ لتعذر الوصول إلى الله عّز وجلّ بأنفسهم، قياسا على المعهود من الرعايا الضعفاء مع عظماء الملوك، لاسيما المستبدين منهم[3]؛ لقوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[يونس: 18]، وقوله تعالى أيضا: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[الزمر: 3 ].

---

[1]- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 380/1.

[2]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 91/1.

[3]- محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير باسم تفسير المنار، دار المنار، القاهرة، (ط2، 1366هـ/1947م )، 65/2.

وقد أبطل المولى سبحانه هذا الاعتقاد، من خلال بيان أنّ الله عزّ وجلّ لا يحتاج إلى وسائط؛ عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: 186].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: 60]، فدلت الآيات على أنّ العبد لا يحتاج إلى شفيع أو وسيط يوصله بربه، ومنه أنّ الله لا يحتاج إلى شريك أو وسيط بينه وبين عباده؛ لأنّ اتخاذ الوسيط أو الشريك يعني اتصاف الشريك بالنِّدية لله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

والحقيقة أنّ الأنداد لا تملك النفع ولا الضّر، وأنّ النفع والضر يتعلقان بإرادة الله تعالى، كما بيّنه في قوله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ﴾[الزمر: 38].

كما نفى سبحانه عن هذه الأنداد التي تعلق بها المشركون؛ الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة، منتقلا من الأعلى إلى الأدنى؛ لأنّ النفع الذي يرجوه المفسدون بشركهم من الأنداد لا يكون إلا ممن كان مالكا لمراد عابده، فإن لم يكن مالكا كان شريكا للمالك، فإن لم يكن شريكا له كان معينا وظهيرا، فإن لم يكن معينا ولا ظهيرا كان شفيعا عنده[1]؛ لقوله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ ﴾[سبأ: 22- 23].

[1]- ابن القيم، مدارج السالكين، 383/1.

ويجعل صاحب **زهرة التفاسير** الإشراك بالله على نوعين[1]:

**الأول:** إشراك في الإنشاء والتكوين أو العبادة؛ كأولئك الذين يعتقدون أنّ الكواكب لها دخل في الإنشاء، وأولئك الذين يعبدون غير الله، وإن كانوا يعتقدون أنّ الله تعالى وحده هو الذي خلق وأنشأ وكون، ويعبدون الأوثان لأنها في زعمهم تقربهم إلى الله زلفى.

**الثاني:** أن يتركوا كتب الله تعالى ويعرضوا عنها، ويأخذوا دينهم من الأحبار، ولو غيروا فيه وبدّلوا، زاعمين أنهم لا يتكلمون إلا عن علم أخذوه عن الله تعالى، وإن كان الكتاب يخالف قولهم، ومن هؤلاء من أشار الله تعالى إليهم بقوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ ﴾ [التوبة: 31].

و هذا النوع من الشرك لا يقل خطرًا عن الشرك في العبادة، لأنّ الله وحده هو الذي أنشأ الكون، وهو وحده الذي يشرع لعباده، ويبين لهم أوامره ونواهيه، وليس لأحد أن يبلغ عنه إلا أن يكون رسولا منه إلى العالمين؛ فمن اتخذ غير الرسول طريقا لمعرفة شرع الله من غير كتاب الله فقد أشرك.[2]

وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم اتخاذ النِّدِ لله تعالى من أعظم الذّنوبِ؛ جاء في الحديث: {عن عبد الله بن عمر قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ الذّنب أعظم ؟ قال: { أَنْ تَجْعَلَ لِلهِ نِدًّا وهُوَ خَلَقَكَ}.قلت: ثم أيّ ؟ قال: { أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ}. قلت: ثم أيّ ؟ قال: { أَنْ تُزَانِي حَلِيلَةَ جَارِكَ}. وأنزل الله تصديق قول النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ [الفرقان: 68]}.[3] و وجه الشاهد هنا: {...أيُّ الذّنب أعظم ؟ قال: أَنْ تَجْعَلَ لِلهِ نِدًّا وهُوَ خَلَقَكَ}؛ حيث جعل اتخاذ النّد للخالق من أعظم الذنوب.

[1]- أبو زهرة: محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، (دط، دت)، 1708/3.

[2]- أبو زهرة، زهرة التفاسير، 1709/3

[3]- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قتل الولد خشية أن يأكل معه، 92/4، برقم (6001).

وذهب قسم من العلماء إلى تقسيم الشرك إلى ثلاثة أقسام؛ أعظمها اعتقاد شريك لله في الذات، ويليه اعتقاد شريك لله في الفعل؛ كقول من يقول بأنّ العباد خالقون لأفعالهم الاختيارية، ويليه الشرك في العبادة وهو الرياء.[1]

ممّا سبق، يظهر أن الشرك بالله عموما هو اتخاذ الندّ لله تعالى؛ سواء في الذات الإلهية، أو في الصفات والأفعال؛ كأن يتخذوا معه تعالى شريكا من خلقه من البشر، أو سائر المخلوقات، من شمس أو قمر ونحوهما، أو من الأصنام التي صنعوها بأيديهم، وادعوا أنها تقربهم من الله تعالى.

وأعظم الشرك أن يجعل العبد لله ندّا يدعوه كما يدعو الله، ويسأله الشفاعة كما يسأل الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويحبه كما يحب الله، ويخشاه كما يخشى الله، وهذا هو معنى النّد.[2]

هذه المشاعر والتوصيفات التي يتلبس بها العبد، توقعه في الشرك لا محالة، وإن خفي أمرها عن الكثير، فهي تدخل في الشرك الخفي، الذي يطلق عليه لفظ الرّياء.

ويذكر **القرطبي** في تفسيره الرّياء كنوع من أنواع الشرك الذي يتلبس بالعبد أثناء عباداته القولية أو الفعلية؛ حيث يقول: الإشراك في العبادة هو الرياء، وهو أن يفعل شيئا من العبادات التي أمر الله بفعلها له لا لغيره، وهذا هو الذي سيقت الأحاديث النبوية لأجله؛ لتبين أنه من الشرك الخفي، لا ينتبه له كثير من الناس، فبينت أنه خفيّ مبطل للأعمال ومحرم.[3]

ومن هذه الأحاديث، ما رواه الصحابي أبو سعيد بن أبي فضالة الأنصاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه قال: { إذا جَمَعَ الله الأوَّلينَ والآخِرينَ يوْمَ القِيّامةِ ليومٍ لا

---

[1]– الخلوتي: اسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبوالفداء، روح البيان، دار الفكر، بيروت، (دط، دت)، 7/ 43.

[2]– عبد العزيز بن ناصر الجليل، وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، دار طيبه للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، (ط1، 1419هـ /1999م )، 52/4

[3]– القرطبي، الجامع أحكام القرآن، 5/ 181.

رَيْبَ فيه، نادى مُنادٍ؛ مَنْ كانَ أَشْرَكَ فِي عملٍ عَمِلَهُ لله، فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ }.[1]

وما رواه أبو سعيد الخدري قال: خَرَجَ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نَتَذَاكَرُ المَسِيحَ الدِّجَّالَ فقال: { أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدّجّالِ؟ قُلْنَا: بَلَى، فقالَ: الشِّرْكُ الخَفِيُّ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلاَتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ }.[2]

وقوله صلى الله عليه وسلم: { إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي الإِشْرَاكُ بِاللهِ أَمَا إِنِّي لسْتُ أَقُولُ يَعْبُدُونَ شَمْسًا ولاَ قَمَرًا ولَا وَثَنًا ولَكِنْ أَعْمَالًا لِغَيْرِ اللهِ وشَهْوَةً خَفِيَّةً }.[3]

وورد عن الصحابي شداد بن أوس رضي الله عنه: { كُنّا نَعُدُّ الرِّياءَ على عَهْد رَسُول الله صلى الله عليه وسلم الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ }.[4]

دلّت هذه الأحاديث والآثار، على أن الشرك المنهي عنه ليس اتخاذ الشريك والند[5] لله تعالى من البشر أو غيرهم من المخلوقات فحسب، وإنما هو أيضا الرياء في العبادات، والأعمال، التي يتقرب بها إلى الله تعالى، وعدم الإخلاص فيها لله تعالى هي من الإشراك بالله تعالى؛ حيث سماها النّبيُّ صلّى الله عليه وسلم: الشِّرك الخَفِيّ؛ كالتّصنُّع أمام الخلقِ،

---

[1]– أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة الكهف، ص874، برقم (3168)، قال: "هذا حديث حسن غريب".

[2]– أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة، 1406/2، برقم (4204) ؛ وأحمد في مسنده، 354/17–، 355 برقم (11252). وأبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، مشكل الآثار، دار صادر، بيروت، لبنان، (ط1، دت) باب بيان مشكل ما روي عن الرسول: في النجوى من نهى من أباحه، 313/2– 314.

[3]– أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة، 1406/2، برقم (4205).

[4]– أخرجه أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، طبعة متضمنة انتقادات الذهبي، وبذيله تتبع أوهام الحاكم التي سكت عليها الذهبي لأبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (ط1، 1417هـ/1997م)، كتاب الرقائق، باب الرياء الشرك الأصغر، 4 /475، برقم (8018).

[5]– والندّ قد يكون كوكبا كالشمس والقمر، أو جمادا كالأصنام والحجر أو حيواناً كالعجل والبقر، أو بشرا سواء ادعى الألوهية كفرعون، أو ادعيت له كعيسى عليه السلام، أوقد يكون من المخلوقات الغيبية كالجن والملائكة والشيطان، وكلها شرك خفي أو ظاهر إذا ذكرت إلى جانب اسم الله، وإذا أشركها المرء مع حب الله، فكيف إذا نزع حب الله من قلبه وأفرد هذه الأنداد بالحب الذي يختصّ به المولى سبحانه وحده. رجب محمود إبراهيم بخيت، تأمل الفرق بين مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، دار الإيمان، الإسكندرية، مصر، (دط، دت )، ص: 77.

وتزيين الأعمال ابتغاء رضاهم، أو طلبًا لمنصبٍ، أو ثناء، أو سمعة، أو تقربًا من أحدٍ من خلق الله، وغيرها.

ولمّا كانت الأعمال التي يتقرب بها العبد لله تعالى كثيرة؛ سواء كانت من العبادات القلبية أو اللسانية أو البدنية أو المالية؛ كالدعاء والصلاة والإنفاق والنذر والحلف...كان الإخلاص فيها لله تعالى شرطا لازما؛ فالعبادات إن لم تكن خالصة لله تعالى، وخالطها رياء، وطلبُ سمعة، كانت نوعا من الشرك الخفي، الذي حذرنا منه النبي صلى الله عليه وسلم؛ بسبب خفائه على كثير من الناس.

ومن المحاذير التي تتبع اتخاذ الشريك، ما ورد عن ابن عباس – رضي الله عنهما– ؛ حيث جاء في تفسيره لقوله قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾[البقرة: 22]؛ قوله: { الْأَنْدادُ هُوَ الشّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبيب النّمْل عل صفاة سَوْداء، تَقُولَ: والله وحَياتكَ يا فلان وحياتي، وتَقُولُ لَوْلاَ كُلَيْبَةَ هذا لَأَتَانا اللّصُوصُ، ويَقُولُ الرَّجُلُ لصَاحبه، ماشَاء الله وشئْتَ، وقول الرجُل لوْلا اللهُ وفَلَان، لا تجْعَلْ فيها فلانًا هذا كلهُ به شرْكٌ}.(1)

فبيّن رضي الله عنه، أنّ من الشرك ما قد يتلفظ به الإنسان؛ حيث أن تلفظه وتعوّد لسانه على نطق جملة: لولا فلان لحدث كذا، أو لولا الله ولولا فلان لكان كذا وكذا، وإن كانت من العبارات التي جرت على ألسنة الناس، إلا أن ذلك قد يمكن لمعانيها البعيدة في النفس، وإرجاع الفضل في قضية ما لأيّ واحد من المخلوقات، وهذا من الشرك الخفي، الذي قد يفسد على المسلم عقيدته.

ويلحق هذا النوع من الشرك تسمية الأشخاص بأسماء خاصة بالله تعالى، أو بأسماء تدلّ على العبودية لغيره تعالى؛ كعبد النبي، وعبد الرسول، وعبد الحسين، وعبد الكعبة...ونحوها.(2)

---

(1)– ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد إدريس الرازي بن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، تحقيق أسعد محمد الطيب، إعداد مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، الرياض، (ط1، 1417هـ/1997م)، ص: 62، برقم(229).

(2)– الحكمي: محمد بن عبد الله علي الحكمي، الظلم وأثره على الفرد والمجتمع، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، (ط2، 1415هـ/ 1995م)، ص: 53.

وبسبب هذه الدقائق التي لا يعلمها كثير من الناس، كانت مسألة التوحيد أو عقيدة التوحيد، ونفي الشريك عنه تعالى، من أهم المسائل التي جاء بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الشيء الذي نلمسه في كل آيات القرآن الكريم، لتؤكد على أن استقامة العقيدة وصلاحها مما يورث رضا الله تعالى، في حين أنه متى كانت العقيدة فاسدة؛ بأن يشرك الذين عصوا مع الله أحدا، فهذا هو الضلال.

لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ [النساء: 116].

وخلاصة القول، إنّ الشرك بجميع مراتبه وصوره، فساد وإفساد لعقيدة التوحيد؛ التي أرست قواعدها الشرائع السماوية جميعها؛ لأن هذه الصور الخاطئة تؤدي إلى انتشار الفساد والإفساد في الأرض دون أيّ رادع ديني، ولا أخلاقي، فجاء الحكم الرباني الفصل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾[النساء: 116].

والحكمة في عدم مغفرة الشرك، هي أنّ الدين إنما شرع لتزكية نفوس الناس وتطهير أرواحهم وترقية عقولهم، والشرك هو منتهى ما تهبط إليه عقول البشر، وأفكارهم ونفوسهم، ومنه تتولد جميع الرذائل والمفاسد التي تفسد البشر أفرادا وجماعات؛ لأنها عبارة عن رفعهم لأفراد منهم أو لبعض المخلوقات التي هي دونهم أو مثلهم إلى مرتبة يقدسونها، ويخضعون لها، بدافع الشعور بأنها ذات سلطة عليا، وأنّ إرضاءها وطاعتها هو من طاعة الله تعالى، وهذا ما كان سببا لاستبداد الرؤساء، وأصحاب السلطة بالأقوام واستعبادهم إياهم، وتصرفهم في أنفسهم، وأموالهم، ومصالحهم، تصرف السيد المالك بالعبد الذليل، ناهيك بما كان لذلك من الأخلاق الفاسدة الفاشية من الكذب، والنفاق، والقتل، ونحوها.[1]

وخلاصة القول: إنّ الشرك بكل مراتبه هو فساد في العقيدة، وانحراف عن الطريق المستقيم، وخطأ في التصورات، ينجر عنه فساد في السلوكات والعادات التي ستنتشر وينتشر معها الإفساد والجهل الذي يستولي على العقول، ويمنعها من رؤية الحقائق، ولا يقف هذا عند جيل أو زمان معين، بل ستتناقلها الأجيال ضلالات مسلمات، فتنتهك

[1]– محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 149/5.

الحرمات، ويعمّ الفساد والإفساد. ومن هنا جاءت حرمة الإشراك بالله، وحرمة الإفساد في الأرض، ولأنه على رأس كل المفاسد، نفى الله تعالى أن يغفر شرك المشرك، ولكنه يغفر ما دونه من المعاصي والمفاسد.

## المطلب الثاني: الكفر.

### أولا: في اللغة.

الكفر في اللغة من السَّتر والتغطية، وكَفَر النعمة أي غطاها، ومنه وصف كلّ من الليل والزارع بالكافر؛ فالأول لستره الأشياء بظلمته، والثاني لستره البذر بالتراب. وكفَر بالله يكفُر كُفْرًا وكفرانًا، وكَفَرَ النعمة جحدها، وكفر بكذا تبرأ منه.(1)

الكُفر بالضم ضد الإيمان، وكَفَرَ نعمة الله وبها كفورا وكُفرا بمعنى جحدها وسترها، وكافره حقَّه جحده، والمكفَّرُ كمعظمٍ؛ المجحود النعمة مع إحسانه، وكافٌر جاحدٌ لأنعم الله تعالى، وجمعه كفار بالضم وكفرة محركة.(2)

وفي **تهذيب اللغة**: الكفر نقيض الإيمان، والكفر أيضا كفر النعمة، وهو نقيض الشكر.(3)

وعليه، يكون معنى الكفر في اللغة منوطا بالسياق الذي ورد فيه اللفظ؛ فإن جاء السياق في معرض الكفر بالله أفاد نقيض الإيمان، وإن اقترن بالنعم فهو الجحود والنكران، وبعيدا عن سياق العقيدة أفاد الستر والتغطية، إلّا أنّ اللافت في المعنى الأخير، أن التغطية والستر لا يكونان إلّا لشيء أو حقيقة موجودة فعلا، والكفر بلا ريب تغطية لحقيقة وجود الله سبحانه وتعالى، جحودا و نكرانا وعنادا.

---

(1)– الفيومي: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي أبو العباس، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، (دط، دت)، 535/2.

(2)– الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب الراء، فصل الكاف، 2/ 126.

(3)– الأزهري، تهذيب اللغة، كتاب الثلاثي الصحيح من حرف الكاف، باب الكاف والراء، 193/10.

## ثانيا: في الاصطلاح.

الكفر في الاصطلاح: إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به.[1]

قال **الراغب:** " الكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانية، أو النبوة أو الشريعة أو ثلاثتها".[2]

وفي **المعجم الوسيط:** كفر الرجل كفرًا وكفرانًا لم يؤمن بالوحدانية، أو النبوة، أو الشريعة أو بثلاثتها. ويقال كفر بالله، أو بنعمة الله.[3]

لقوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [البقرة: 28].

وقوله تعالى: ﴿ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [النحل: 72]؛ في الأولى كفر بالله، وفي الثانية كفر بنعم الله.

التعريفان؛ اللغوي والاصطلاحي متقاربان، إلى الحدّ الذي يمكن القول بتماثلهما، ويزيد التعريف الاصطلاحي باختصاصه بذات الله تعالى وبأنعمه؛ إذ لا يخرج الكفر في الاصطلاح عن معنى الستر والتغطية والجحود؛ لأن الكفر تغطية لوجود و وحدانية الخالق، وللنعم التي أنعم بها على عباده، من بعث الأنبياء والرسل، والشرائع التي كلفوا بتبليغها لخير الناس جميعا، وليس الكفر بها إلا جحودا و نكرانا. ونقيض الكفر الإيمان بالله وبرسله وبالكتب التي أنزل.

و قسم بعض أهل العلم ومنهم **البَغَوِي** الكفر إلى أربعة أقسام: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر معاندة، وكفر نفاق[4].

---

[1]– القوجوي: محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي، حاشية محيي الدين زاده على تفسير القاضي البيضاوي، ضبطه وصححه وخرج آياته محمد عبد القادر شاهين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، (ط1، 1419هـ/1999م )، 218/1.

[2]– الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص: 485,

[3]– إبراهيم مدكور، المعجم الوسيط، ص: 791.

[4]– البغوي: معالم التنزيل، 64/1، ، الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق علي حسن هلالي، مراجعة محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، القاهرة، (د ط ، د ت )، كتاب الثلاثي الصحيح من حرف الكاف، باب الكاف والراء، ج 10 / 193–194.

فأما **كفر الإنكار**[وهو الإلحاد]؛ فهو أن ينكر بقلبه ولسانه وجود الخالق، ولا يعترف بما يختصّ به، فهو لا يعرف الله ولا يعترف به، ولا يؤمن بالحياة الآخرة، ولا بيوم الجزاء، فالحياة عنده هي الحياة الدنيوية، تموت أجيال وتخلفها أجيال أخرى، وما يهلكهم إلا الدهر على حدّ قولهم. لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٢٩ ﴾ [الأنعام: 29]، وقوله تعالى أيضا: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ ﴾ [الجاثية: 24]؛ أي أن جنس الحياة انحصر في حياتهم الدنيا، ولا حياة بعد الموت، كما أن أحياءهم يصيرون إلى الموت بتأثير الزمان، أي حدثانه من طول مدة يعقبها الموت بسبب الشيخوخة، أو لأيّ سبب من أسباب تفضي إلى الهلاك.[1]

وأما **كفر الجحود**، فأن يعرف بقلبه ولا يقر بلسانه، فهذا كافر جاحد ككفر إبليس، وكفر أمية بن أبي الصلت، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [العنكبوت: 48]، ومنه قوله سبحانه: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ ٨٩ ﴾ [البقرة: 89 ]، يعني أنهم عرفوا الحق في أنفسهم، لكنهم كفروا به جحودًا.

قال الله تعالى: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [النمل: 14].

قال **ابن عطية** عن الجحود: " حقيقته في كلام العرب الإنكار بعد معرفةٍ، وهو ضد الإقرار."[2]

وقال **البغوي** في مفهومه: " كفر الجحود هو: أن يعرف الله تعالى بقلبه ولا يقر بلسانه".[3]

فالجاحدون عرفوا الحق في قلوبهم واستيقنته أنفسهم، لكنهم جحدوه بألسنتهم بسبب فساد فطرتهم وفساد قلوبهم، لذلك هناك من يرى أنّ كفر إبليس ليس كفر جحود، ولكنه كفر إباء واستكبار؛ وهذا قسم أو نوع آخر من أنواع الكفر.

---

[1]–ابن عاشور، التحرير والتنوير، 187/7، و362/25.

[2]– ابن عطية، المحرر الوجيز، 2/ 286.

[3]– البغوي، معالم التنزيل، 64/1.

وفي هذا النوع، ورد عن **ابن القيم** قوله: " وأمّا كفر الإباء والاستكبار: فنحو كفر إبليس، فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار "[1]. فإبليس لم ينكر صفة الخلق حين أخبر القرآن عن قوله: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [ الأعراف: 12]، ولم ينكر البعث؛ حيث يخبر القرآن عنه: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الأعراف: 14].

و" لأن إبليس أقرّ بلسانه: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[الحجر: 36]، وهذا اعتراف منه بالربوبية، وبتوفي الله للأنفس، وبالبعث يوم القيامة، فدلّ على أنّ كفر إبليس ليس عن جحود؛ لأن الجاحد مكذب بلسانه؛ وإنما كفره ناتج عن إباء واستكبار ".[2]

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة: 34].

وقال: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ ﴾ [طه: 116].

وقال أيضا: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [ص: 73 – 74].

وقال تعالى على لسان إبليس: ﴿ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء: 61].

وفي هذه الآية إقرار منه بصفة من صفات المولى عز وجل وهي الخلق. ومنه دلّت هذه الآيات مجتمعة على كفر إبليس، بسبب استكباره وإبائه، رغم اعترافه بخيرية آدم عليه السلام عليه، وما امتناعه إلا عن تأبٍّ واستكبار.

ومن أمثلة جحود الجاحدين؛ جحود الألوهية أو النبوة أو جحود شيء مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وما علم من الدين بالضرورة.[3]

---

(1)– ابن القيم، مدارج السالكين، 378/1.

(2)– إبراهيم بن عامر الرحيلي، التكفير وضوابطه، دار الإمام أحمد، (ط2، 1429هـ/ 2000م)، ص: 100

(3)– محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 20/3.

وعلى هذا قُسم كفر الجحود إلى قسمين [1]:

كفر مطلق: وهو أن يجحد جملة ما أنزله الله، وما أرسل من رسل.

كفر مقيّد: وهو أن يجحد فرضا من فروض الإسلام، أو صفة من الصفات التي وصف الله تعالى بها نفسه.

ومن قبيل هذا الكفر كفر فرعون وقومه؛ لقوله تعالى: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النمل: 14].

فقد كفروا بآيات الله وجحدوها بعد أن استيقنتها أنفسهم وبواطنهم، وهذا بسبب تعنتهم وفساد عقيدتهم في الله تعالى، فكان جزاؤهم أن أهلكهم الله بذنوبهم ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ ﴾ [الأنفال: 54].

ومن الذين كفروا جحودًا أيضا اليهود؛ حيث يقول المولى عزوجل في حقهم﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ ﴾ [البقرة: 89]، ويقول: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [البقرة: 146].

لقد ثبت عندهم صحة نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وأنّ " ما جاء به حق وصدق، وتيقنوا ذلك، كما تيقنوا أبناءهم بحيث لا يشتبهون عليهم بغيرهم، فمعرفتهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وصلت إلى حدّ لا يشكّون فيه ولا يمترون، ولكن فريقا منهم– وهم أكثرهم– الذين كفروا به، كتموا هذه الشهادة مع تيقنها، وهم يعلمون".[2]

وأما **كفر المعاندة** فهو أن يعرف الحق بقلبه ويقرّ بلسانه ويأبى أن يقبل عليه، يمنعه من ذلك تمسكه بما كان عليه آباؤه وأجداده، ومنه كفر أبي طالب[3]؛حيث كان يقول: ولَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ البَرِيَةِ دينَا

---

(1)– محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 379/1.

(2)– السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (د.ط، 1420هـ/ 2000م)، ص: 72.

(3)– عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: " لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أي عَمِّ، قُلْ لا إله إلّا الله، أحاجُ لك بها عند الله،

لولاَ المَلاَمَةُ أو حَذَار مسبَّة لوَجَدْتَنِي سَمْحًا بذاك مُبِينًا

وأما **كفر النفاق**؛ فأن يكفر بقلبه ويقر بلسانه(1). وهذا هو حال المنافقين منذ عهد النبوة؛ يظهرون الإسلام أمام المسلمين ويبطنون الكفر استهزاء.

قال الله تعالى في حقهم: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥ ﴾ [البقرة: 14 – 15].

فهؤلاء يحسبون اللؤم قوة، والمكر السيئ براعة، وهو في حقيقته ضعف وخسة. فالقوي ليس لئيما ولا خبيثا، ولا خادعا ولا متآمرا ولا غمازا في الخفاء لمازا، هؤلاء المنافقون الذين كانوا يجبُنون عن المواجهة، ويتظاهرون بالإيمان عند لقاء المؤمنين، ليتخذوا هذا الستار وسيلة للأذى..هؤلاء كانوا ﴿ وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴾؛ أي مستهزئين بالمؤمنين، بما يظهرونه من الإيمان والتصديق الكاذب.(2)

وعلى هذا يثبت الكفر بصور شتى؛ على رأسها الكفر بالله تعالى، فقد روي عن سعيد بن جُبيْر أنه سئل عن الكفر، فقال: الكفر على وجوهٍ؛ فكفرُ هو شرك يتخذ مع الله إلها آخر، وكفر بكتاب الله ورسوله، وكفر بادعاء ولدٍ لله، وكفر مدَّعي الإسلام، وهو أن يعمل أعمالاً بغير ما أنزل الله: يسعى في الأرض فسادا، ويقتل نفسا محرمة بغير حقّ، ثم نحو ذلك من الأعمال.(3)

يفهم من هذا القول، أنّ الإفساد في الأرض من سمات الكافرين؛ لأن الإفساد من جملة ما نهى الله عنه، فإذا تجرأ العبد على إتيان ما نهى الله عنه، فقد كفر بما جاء في الكتاب، وبما بلغه النبي عن ربه.

---

فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أميه: يا أبا طالب، أترغب عن ملةِ عبد المطلب ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لأَسْتَغْفِرن لك ما لم أنهَ عنك، فنزلت: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣ ﴾[التوبة: 113]، أخرجه البخاري في صحيحه، الجامع الصحيح، كتاب تفسير القرآن الكريم، باب ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾، 239/3، برقم (4675).

(1)– الأزهري، تهذيب اللغة، كتاب الثلاثي الصحيح من حرف الكاف، باب الكاف والراء، ج 10 / 193– 194.

(2)– سيد قطب، في ظلال القرآن، 1 /44– 45.

(3)– الأزهري، تهذيب اللغة، كتاب الثلاثي الصحيح من حرف الكاف، باب الكاف والراء، ج 10 / 195.

## ثالثا: الفرق بين الشرك والكفر.

لقد مرّ في المطلبين السابقين، أن الشرك لفظ قرآني يعني المشاركة والتسوية؛ أي تسوية أحد من المخلوقات بالله تعالى؛ في ألوهيته أوفي صفة من الصفات الخاصة به تعالى، وأن الكفر ستر وتغطية عناصر الإيمان التي دلت عليها الأدلة القاطعة، وتناقلتها الشرائع السماوية الصحيحة، كوحدانية الله تعالى، وصدق النبوة، ويوم البعث والجزاء، فكل من أنكر أو جحد هذه الأمور المعلومة من الدين بالضرورة فهو كافر، وكل من أشرك مع الله أحدا في العبادة، أو في الدعاء ونحوهما فهو مشرك؛ وربما خص هذا الفعل بلفظ مشرك ليدل على قبح وعظم هذا الذنب في حق الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [ لقمان: 13 ].

قال الإمام النووي: الشرك والكفر قد يطلقان بمعنى واحد، وقد يفرق بينهما فيخص الشرك بعبدة الأوثان وغيرها من المخلوقات، مع اعترافهم بالله تعالى ككفار قريش، فيكون الكفر أعم من الشرك.

وقد يجتمع الشرك مع الكفر في شخص أو طائفة من البشر كحال أهل الكتاب؛ الذين جمعوا بين الكفر بجحدهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وبين الشرك وبعبادة عيسى عليه السلام وجعله ابنا لله، تعالى الله عن ذلك علوا عبيرا، وكاليهود أيضا حين قالوا إن عزيرا هو ابن الله، وعليه فهم كفار مشركون، حق عليهم قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة: 6].

فأهل الكتاب كفار مشركون، كفروا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وجعلوا العبادة لمن ليس أهلا لها، فاشتركوا في المآل والعقاب، وهو الخلود في النار وبئس القرار.

فالكفر هنا، شمل كل جاحد لوحدانية الله تعالى، ولكل جاحد منكر لنبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم، أو لأمر من أمور عقيدة الإسلام، وعليه فالكفر هنا أعم من الشرك، لأنّ الشرك خاص بالذات العلية التي تتفرد في ألوهيتها وفي وحدانيتها وفي صفاتها، وأما

الكفر فخاص بكل جحود، أو إنكار، أو تكذيب لعنصر من العناصر التي تقوم عليها عقيدة الإسلام.

وهناك مواضع في القرآن الكريم تفيد اجتماع اللفظين في المعنى، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون: 117 ].

وقوله تعالى أيضا: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [التوبة: 17].

وقد استند صاحب **التحرير والتنوير** إلى هذه الآية الأخيرة، ليبيّن أنّ اللفظين مترادفين؛ حيث يقول: " المراد بالكفر: الكفر بالله، أي بوحدانيته، فالكفر مرادف للشرك، فالكفر في حد ذاته موجب للحرمان من عمارة أصحابه مساجد الله، لأنها مساجد الله فلا حقّ لغير الله فيها، ثم هي قد أقيمت لعبادة الله لا لغيره. وشهادتهم على أنفسهم بالكفر حاصلة في كثير من أقوالهم وأعمالهم بحيث لا يستطيعون إنكار ذلك، مثل قولهم في التلبية: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك، ومثل سجودهم للأصنام، وطوافهم بها، ووضعهم إياها في جوف الكعبة وحولها وعلى سطحها".[1]

وكأنه ينبّه إلى أنّه مادامت المساجد مساجد لله، لا يعبد فيها سواه، مستندا في ذلك لقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن: 18]، فليس لهؤلاء عمارتها وعبادة الله فيها، فقد شهدوا على أنفسهم بالكفر بأحقية الله بالطاعة والعبادة، وفي الوقت ذاته هم يسجدون للأصنام، ويجعلونها في المكان الذي تعبد فيه، فتساوى فيهم الكفر والشرك.

ويحكي القرآن الكريم في كثير من الآيات، ما كان من أمر اليهود والنصارى، الذين اجتمعت عقائدهم كفرا وشركا، ليطفئوا عقيدة التوحيد، لكنهم عبثا يحاولون؛ حيث قال المولى عزوجلّ في حقهم: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ

[1]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 10/ 140.

يُؤۡفَكُونَ ٣٠ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣ ﴾ [التوبة: 30 – 33]، الشاهد هنا هو اجتماع الكفر والشرك وإطلاقهما على اليهود والنصارى معا، وهم من أهل الكتاب الذين حرفوا الكلم عن مواضعه، واتبعوا أحبارهم ورهبانهم فأضلوهم.

ومنه يمكن الخُلوص إلى أن الكفر والشرك من أخطر المفاسد لعقيدة الإسلام، وهما في ذلك بالدرجة نفسها؛ حيث أنهما يشتملان معا على معنى الإفساد، وإطلاق أحدهما أو كليهما يأخذ الحكم نفسه، إلّا أنّ إطلاق لفظ الشرك يصرف الفهم إلى اتخاذ شريك، وإطلاق الكفر يفهم منه العموم ودخول الشرك فيه، ومنه يكون الكفر أعمّ في الإطلاق من الشرك؛ إذ أنّ الكفر يطلق على كل من لم يؤمن بوجود خالق لهذا الكون، ولا بوحدانيته إن ثبت عنده وجوده، ولا بألوهيته وصفاته، ولا بالأنعم التي أنعم بها على عباده، ولا باليوم الآخر، ولا بيوم الحساب، ولا بكل ماهو من خلق الله تعالى، في حين أنّ المشرك من البداية يتخذ شريكا لله، وهذا يعني أنه لا ينكر وجود خالق لهذا الكون، ولكنه يجعل له شريكا في ألوهيته وربوبته وصفاته، ممّا ينسب إليه ضمنيا النقص والعجز تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا؛ فالشرك يتعلق بالذات الإلهية، أما الكفر فمتعلق بالله، وبكل متعلقات الإيمان؛ من بعث الرسل، والكتب والملائكة وغيرها مما شرحته، وفصلت فيه كتب الشريعة، والعقيدة الإسلامية.

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن تسمية إحدى سور القرآن بسورة **الكافرون**، دون تسمية سورة أخرى بسورة الشرك أو المشركون، فيه دلالة على عموم لفظ الكفر، واشتماله على الشرك، و خاصة إذا رجعنا إلى المعاني التي أفادتها السورة.

## المطلب الثالث: النفاق.

### أولا: في اللغة.

النِّفاق مشتق من الفعل نَفَقَ، يقال: نفق الفرس والدابة وسائر البهائم، ينفُقُ نفوقًا؛ أي مات.

والنُّفقة والنافقاء جحر الضّب واليربوع، وقيل النُّفَقَةُ والنَّافِقاء: موضع يُرقِقُه اليربوع من جُحْرِهِ حتى إذا طُلب خرج منه...، وسمي المنافق مُنافقا؛ لأنه نافق كاليربوع، وهو دخوله نافقاءه، يقال: قد نفق به ونافق، وله جحر آخر يقال له القاصعاء، فإذا طُلب قصع فخرج من القاصعاء، فيقال هكذا يفعل المنافق، يدخل في الإسلام، ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه، والنِّفاق بالكسر فعل المنافق.[1]

وأصاب علماء اللغة إلى حدّ بعيد، عندما شبهوا فعل المنافق بالضبّ أو اليربوع في جحره الملتوي المظلم، فلا يعرف الطريق فيه غيره، كذلك هي أساليب المنافقين خَفية مظلمة ليس فيها وضوح ولا صراحة.[2]

والثّابت أنّ النفاق اسم عرف إبّان بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، و لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به من قبل؛ وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه؛ حيث أنه ظهر بظهور الإسلام، وظهور المدّعين الذين ادّعوا انتسابهم للإسلام ظاهرا، ولمّا تؤمن قلوبهم، ثم صار ينعت به كل من يضمر العداوة ويظهر الصداقة، وأطلق عموما على كل من يظهر خلاف ما يبطن.[3]

---

(1)- ابن منظور، لسان العرب، 4508/6- 4509.

(2)- عبد الرحمن الدوسري، النفاق: آثاره ومفاهيمه، مكتبة دار الأرقم للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، (1402هـ/ 1982م)، ص: 107.

(3)- ابن منظور، لسان العرب، 4509/6، إبراهيم مدكور: المعجم الوسيط، ص: 942.

## ثانيا: في الاصطلاح.

يعرف الحافظ **ابن كثير** النفاق بقوله: النفاق هو إظهار الخير وإسرار الشر، والمنافق يخالف قوله فعله، وسره علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبته، وهو على قسمين: اعتقاديّ، وعملي.[1]

يبدو من هذا المفهوم أنه إلى المعنى اللغوي العامّ أقرب؛ إذ جعله **الحافظ ابن كثير** عاما حين استعماله للفظي الخير والشر، واختلاف السرّ عن العَلَن، لكنه عندما قسّمه إلى قسمين: قسم خاص بالاعتقاد، وقسم خاص بالأفعال والأعمال، فقد جعله بهذا التقسيم أكثر اختصاصا و وضوحا.

أمّا التعريف الذي جاء في كتاب التعريفات، فقد ورد مخصّصا مبيّنا أن النفاق: إظهار الإيمان باللسان، وكتمان الكفر بالقلب.[2] وهذا بلا ريب فساد ظاهر للعقيدة الإسلامية على وجه الخصوص.

وقد جعل **ابن قيم الجوزية** النفاق من أنواع الكفر الأكبر؛ حيث يقول: " وأما الكفر الأكبر فخمسة أنواع، كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق".[3]

وكأنّ **ابن القيم** قد جعل النفاق قسما من أقسام الكفر، مما يدلّ على أنّ النفاق صفة لصيقة بالجانب الاعتقادي للإنسان؛ فمتى أظهر الإنسان الإيمان بالله، وبرسله، وكتبه، وبكل متعلقات العقيدة الصحيحة، ثمّ هو في الوقت ذاته يبطن الكفر وعدم التصديق بها جحودا أو استكبارا أو إنكارا فهذا هو المنافق؛ فصفة النفاق هاته متعلقة بإظهار التصديق، وهو خلاف ما يبطن من كفر وتكذيب لكل أركان وقواعد عقيدة الإسلام.

---

[1]- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، (ط 1، 1419هـ)، 1/ 87.

[2]- الجرجاني، التعريفات، ص: 192.

[3]- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، تحقيق محمد الفقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط الأخيرة، (1408هـ/ 1988م)، 1/ 347.

## ثالثا: مراتب النفاق.

قسّم **ابن كثير** في تفسيره النفاق باعتبار متعلقه، إلى قسمين: نفاق اعتقادي، ونفاق عملي.

أمّا النفاق الاعتقادي فهو المتعلق بالعقيدة، وهو الذي يخلُد صاحبه في النار، وأمّا العملي فهو المتعلق بالأقوال والأفعال وهو من أكبر الذنوب. ولعله استنبط هذا القسم الأخير من حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: { آيَةُ المنافِقِ ثَلاثٌ: إِذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ }.[1]

وفي رواية أخرى، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيه كان مُنَافِقًا خَالِصًا، ومَنْ كانَت فيه خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا عَاهدَ غَدَرَ، وإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ }.[2]

فالنفاق الاعتقادي كما مرّ يقصد منه الكفر والشرك اللذان يخلِّدان صاحبهما في النار، أمّا النفاق العملي فعلاماته؛ كذب الحديث، وإخلاف الوعد والغدر، وخيانة الأمانة، وفجور الخصومة... فهذه العلامات وإن كانت من الصفات التي قد توجد في خصال من ينتسبون للإسلام، بل ومن يعتقدون في الله العقيدة الحقة؛ من الإقرار بالوحدانية، وتصديق النبوة، والإيمان بالكتب، والملائكة، والإيمان بالبعث والجزاء، والتسليم بالقضاء خيره وشرّه، إلا أن استحواذ الشيطان عليهم، ومغالبته لهم، وغلبة الأهواء في نفوسهم، كل هذا جعلهم يقعون في مثل هذه الذنوب، التي عدّها النبي صلى الله عليه وسلم من خصال المنافقين حتى يدَعوها.

---

[1]- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، 1/ 27، برقم(33)، وفي كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد، 1/ 262، برقم(2682)، وفي كتاب الوصايا، باب قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾ 1/ 289، برقم(2749)، وفي كتاب الأدب، باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، 3/ 1138، برقم(6095)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، 1/ 78، برقم(59).

[2]- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان خصال النفاق، 1/ 78، برقم(58).

و تجدر الإشارة إلى أنّ مسألة النفاق تعد مرضًا من أمراض القلوب[1]، كما أخبر عن ذلك القرآن الكريم في العديد من السور والآيات؛ حيث يقول الله تعالى في معرض الحديث عن المنافقين: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [البقرة: 10-11].

والمرض في اللغة يطلق على الضعف والفتور، والمرض في القلب الفتور عن الحق، وفي البدن فتور الأعضاء، وفي العين فتور النظر، ويطلق أحيانا ويراد به الظلمة، والمرض في القلب الفساد.[2]

وفي تفسير **ابن عطية**: " المرض عبارة مستعارة للفساد الذي في عقائد هؤلاء المنافقين، وذلك إمّا أن يكون شكّا، وإما جحداً بسبب حسدهم مع علمهم بصحّة ما يجحدون".[3]

وفي اللباب: المرض هو الشك والنفاق.[4]

وهناك قول بأن المرض المقصود في الآية هو الغمّ الذي أصاب القوم بظهور أمر رسول الله صلى الله عليه وسلّم.[5]

و ذهب **أبو حيّان التوحيدي**، إلى إمكانية تحميل لفظ المرض في الآية المعنيين؛ الحقيقي والمجازي، فقال: " يحتمل أن يراد بالمرض الحقيقة، وأنّ المرض الذي هو الفساد أو الظلمة أو الضعف أو الألم كائن في قلوبهم حقيقة، وسبب إيجاده في قلوبهم هو بعثة الرسول صلى الله عليه وسلّم، وتزايد أتباعه، وفشوّ الإسلام ونصر أهله، ويحتمل أن يراد به المجاز فيكون قد كنى به عما حلّ بالقلب من الشكّ، أو عن الحسد والغل كما كان

---

[1]- ذكر القرآن الكريم معاني كثيرة عدّها العلماء من أمراض القلوب، وعددها سبعة وعشرون مرضا وهي: الرّين، والزّيغ، والطبع، والصرف، والضيق، والحرج، والختم، والإقفال، والإشراب، والقساوة، والإصرار، وعدم التطهير، والنفور، والاشمئزاز والإنكار، والشكوك، والعمى، والإبعاد بصيغة اللعن، والتأبي، والحمية، والبغضاء، والغفلة، والغمزة، واللهو، والارتياب، والنفاق. ينظر: أبو حيان التوحيدي، البحر المحيط، 188/1.

[2]- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 181/1.

[3]- ابن عطية، المحرر الوجيز، 1/|92.

[4]- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط 1، 1419هـ/ 1998م)، 344/1.

[5]- ابن عطية، المحرر الوجيز، 92/1.

عبد الله بن أبيّ بن سلول، أو عن الضعف والخور لِما رأوا من نصر دين الله، وإظهاره على سائر الأديان".[1]

واختار صاحب **البحر المحيط** حمل المرض على المجاز فقط؛ معللا أنه لو كان في قلوبهم المرض حقيقة، لكانت أجسامهم مريضة مثقلة بالآلام والأوجاع بسبب مرض قلوبهم، وهي ليست كذلك[2]، دليله في ذلك ما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: {...أَلاَ وَإِنَّ فِي الجسدِ مُضْغةً، إذا صَلَحتْ صلح الجسدُ كلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسدُ كلُّه، أَلاَ وهي القَلْبُ}.[3]

وهو الرأي الذي ذهب إليه صاحب **تفسير المنار**؛ حيث ذكر أن المرض " يطلق مجازا على اختلال مزاج النفس، وما يخلّ بكمالها من نفاق وجهلٍ، وارتيابٍ وشكٍّ، وغير ذلك من فساد الاعتقاد، واضطراب حكم العقل، وفساد الخلقِ".[4]

أما صاحب **اللّباب** فقد حمل المرض على ألم القلب، وحجته أن المبتلى بالحسد والنفاق، عند مشاهدته ما يكره؛ من عزة الإسلام والمسلمين يتغير مِزاجه، ويتألم قلبه.[5]

والظاهر أنه على أي محمل- المجازي أو الحقيقي – حملت الآية: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أدت المعنى الذي لا يمكن معه التقول على مراد الله تعالى؛ إذ أنّ المرض المعنوي؛ من شك ونفاق أو حسد، كلها تؤدي إلى أمراض حسية عضوية، قد تصيب القلب، وقد تصيب سائر الجسد، ومتى أصيب الجسد أصيبت أداة من أدوات الإدراك، وخاصة إصابة القلب، " لأنّ المرض صفة توجب وقوع الضرر في الأفعال الصادرة عن موضع تلك الصفة. ولمّا كان الأثر الخاص بالقلب إنما معرفة الله تعالى وطاعته وعبوديته، فإذا وقع في القلب من الصفات ما صار مانعا من هذه الآثار كانت تلك الصفات أمراضا للقلب".[6]

---

[1]- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 187/1

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- سبق تخريج الحديث، ص: 36.

[4]- محمد رضا، تفسير المنار، 154/1.

[5]- ا بن عادل، اللباب في علوم الكتاب، 346/1

[6]- الرازي، التفسير الكبير، 58/2.

وعليه فإن مرض القلوب هنا " عام في الحسي والمعنوي، ففي قلوبهم مرض الشكوك والشبهات المفسدة لعقيدتهم وأخلاقهم، وفيها أمراض [معنوية]؛ من الغل والحقد والحسد الملتهب، والغيظ المستعر ونحوه مما يسرع في هلاكهم بإحداث أمراض فاتكة يشهد لها المنقول والمحسوس من تقرير الأطباء".[1]

فعندما تمكن المرض من قلوب المنافقين، زادهم الله مرضا ورجسا، وتعطلت عندهم أدوات الإدراك، بل وانقلبت عندهم المفاهيم، لأن بواطنهم خالفت ظاهرهم، ولأن حالهم مبنية على الخداع، فكانوا يرون إفسادهم إصلاحا، قال عزّ وجلّ في حقهم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة: 11].

يسعون في الأرض إفسادا، فإذا نُهوا عن ذلك، أجابوا بأنهم مصلحون، وفي إصلاحهم المزعوم ثلاثة تأويلات[2]:

**أحدها:** جحد إفسادهم، وهذا استمرار منهم على النفاق.

**الثاني:** إقرارهم بموالاة الكفار وادعاؤهم بأنها من الإصلاح؛ من حيث أنها قرابة تُوصل.

**الثالث:** أنهم يصلحون بين الكفار والمؤمنين.

وكلها تأويلات تدل على نفاقهم وخداعهم واستهزائهم بالمؤمنين، ومع ذلك يقْصرون أعمالهم على الصلاح وينفون عنها كل فساد؛ وأشدّ فساد الفاسد أن يغترّ بحاله، ويزعم أنه ليس بفاسد، فهو معكوس النفس مركوس، قد انقلبت الحقائق في عقله، فلا يعرف الخير من الشرّ، ولا الفساد من الصلاح، وهكذا المنافقون تنكس عليهم الأمور فجميعها منكوس...فيرون ما يفعلونه إصلاحا، ولا يعدونه فسادا، وهكذا زين لهم سوء عملهم فرأوه حسنا، وذلك الغرور لا يكون إلا ممن أحاطت به خطيئته، فأصبح لا يرى إلا ما يكون في دائرتها، وقد سدت عنه كلّ منافذ الخير.[3]

---

[1]– الدوسري، النفاق، ص: 14.

[2]– الثعالبي: عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، حقق أصوله وخرج آياته علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، (ط1، 1418هـ/1997م)، 188/1.

[3]– أبو زهرة، زهرة التفاسير، ص: 130.

لكن الله تعالى العالم بسرائرهم وبكل ما تخفي صدورهم أخبر عن فسادهم، وفضحهم بين الخلائق، وأكد إفسادهم تأكيدا صريحا واضحا: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: 12].

ومجمل القول، إنّ النفاق فساد بائن في العقيدة؛ لأن المنافقين مضطربون في عقيدتهم، ومن ثم في سلوكاتهم متذبذبين في أقوالهم، لا يدرون إلى أي فريق ينتمون، ولا أي فريق يناصرون، ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ [ النساء: 143].

يستهزئون بالمؤمنين، يخادعون الله وهو خادعهم، ولكن لا يشعرون،﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [البقرة: 14- 15 ].

وكل ذلك بسبب المرض الذي في قلوبهم؛ من الشك والريبة في الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة: 45].

وصيغة الفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ لإفادة التجدد والاستمرار في نفي إيمانهم، وفي قوله تعالى﴿ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾صيغة الفعل الماضي للدلالة على أن هذا الارتياب قديم في قلوبهم، وقد تمكن منها واستفحل؛ فكان أثره استمرار انتفاء الإيمان عنهم.[1]

وقد شبههم النبي صلى الله عليه وسلم بالشاة العائرة المتردّدة بين الغنمين؛ فقال: { مَثَلُ المنافق كَمَثَلِ الشَّاةِ العائِرةِ بين الغنمين تَعِيرُ إلى هذه مرةً وإلى هذه مرةً }.[2]وهنا يكمن فساد عقيدتهم، كما يظهر خطر الإفساد الذي سيكرسه ترددهم و نفاقهم، في بث الفساد ونشره.

---

[1]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 213/10.

[2]- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، دون عنوان الباب، 4/ 2146، برقم (2784) . وأخرجه أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن سنان النسائي، سنن النسائي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، (ط1،

ولهذا يعد النفاق أكبر خطرا من الكفر، لأن الكفر ظاهر لا يخفيه صاحبه، أمّا النفاق فهو كفر خفي، يتفنّن صاحبه في إخفائه بشتى الوسائل؛ بحيث أنه يظهر خلاف ما يبطن من الأقوال والفعال، خاصة وأنّ المؤمن مطالب بأخذ ما ظهر من سلوكات وأقوال المحيطين به دون البحث في نواياهم وسرائرهم، التي لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى.

ولذلك قال أحدهم عن النفاق وقد أطلق عليه اسم **حركة** على اعتبار أنّ لها هدفا تسعى لبلوغه؛ حيث يقول: " أخطر حركة على الإسلام هي النفاق، فهو جاسوسية تعايش المسلمين في المساجد والحروب، وفي الأسواق وفي دور العلم وفي المنازل".[1] يريد أنّ النفاق اليوم، صار وسيلة يتخذها المغرضون للاندساس بين جموع المسلمين؛ لنشر مبادئهم ومعتقداتهم الفاسدة.

من هنا كان النفاق مفسدة كبيرة ممتدة النطاق؛ مفسدة للعقيدة في ذاتها، كما أنها مفسدة لغيرها، بما تنشره من المفاسد والشرور بين الأفراد، لبث معتقداتهم الفاسدة في أوساط المجتمع المسلم، فكان أن أطلق عليهم المولى عزّ وجل اسم الفاسقين في عدة مواضع، كما هو في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝٥٣﴾[التوبة: 53]، وقوله عزوجلّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٦٧﴾[ التوبة: 67 ].

ويكفي في حقهم، تسمية سورة من سور القرآن الكريم **بسورة المنافقين؛** تفضح نواياهم، وتبين أحوالهم وصفاتهم، وتؤكّد على عداوتهم للمؤمنين، وتحذّر منهم.

---

1420هـ / 1999م )، كتاب الإيمان وشرائعه، باب مثل المنافق، ص: 720، برقم (5039)، مع زيادة لفظ: { لا تدري أيها تتبع}، كلاهما من طريق نافع عن ابن عمر.

[1]– رؤوف شلبي، الدعوة الإسلامية في عهدها المدني، دار القلم، الكويت، (ط1، 1403هـ/ 1983م)، ص: 326.

## المطلب الرابع: الصّدّ والصّدوف عن آيات الله.

بعد الوقوف على أهمّ عوامل الفساد التي تخص الإنسان في عقيدته تجاه ربه، يأتي هذا المطلب كنتيجة لما سبق من المفاسد؛ إذ أن أصحاب العقائد الفاسدة بالكفر أو النفاق أو الشرك، لا يطمئنون بفساد أنفسهم فحسب، بل سيعمدون إلى نشر عقائدهم بكل ما أتيح لهم؛ فجاء التعبير القرآني عن فعلهم بلفظ الصدّ. فما المقصود بالصّدّ؟ وما أبعاده في هذا المقام؟

### أولاً: في اللغة.

الصّدُّ هو الإعراض، يقال صَدَّ يَصُدُّ وهو ميلٌ لأحد الجانبين، وتقول: صَدَدْتُ فلانًا عن الأمر إذا عدَلْتَهُ عنه.(1)

والصَّدُّ الإعراض والصُّدوفُ. وفعله صدَّ عنه يَصِدُّ ويَصُدُّ صَدًّا صُدُودا أَعْرَضَ.

ويقال: صَدَّهُ عن الأمر يصدّه صَدّا منعه وصرفه عنه(2). قال الله تعالى: ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٤٣ ﴾ [النمل: 43].

والصُّدوفُ: الميْلُ عن الشيء، صَدَفَ عن الشيء صُدوفا: أعرض عنه، ومال و ولّى ذاهبا، وصدفَ عني أي أعرض، وقوله عزوجلّ: ﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ١٥٧ ﴾ [ الأنعام: 157]؛ أي يعرضون.(3)

من خلال هذه التعريفات اللغوية، يظهر أنّ من الألفاظ المقاربة للصّدِّ لفظًا ومعنًى: الصَّدَف، التي تعني الإعراض، والميل.

---

(1)– ابن فارس، مقاييس اللغة، 282/3.

(2)– ابن منظور، لسان العرب، ص:2409

(3)– المرجع نفسه، ص:2416. ابن فارس، مقاييس اللغة، 338/3. الزمخشري، أساس البلاغة، 541/1.

إلا أنّ لفظ **صَدَفَ** لم يرد في القرآن الكريم إلا في آيتين من سورة الأنعام وهي: قوله تعـــــالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنعام: 46].

وقوله تعالى أيضا: ﴿ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأنعام: 157].وكأنّ الصدف والإعراض يكون من داخل النفس ذاتها، دون عامل خارجي، ويكون بعد تصريف الآيات وتبيانها.

## ثانيا: في الاصطلاح.

وردت لفظة الصّد في القرآن الكريم بعدة اشتقاقات؛ أسماء وأفعال بصيغتي الماضي والمضارع، جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: 217].

وقوله تعالى: ﴿ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾أي منع عن صراط الله وكفر به.[1]

أما فعل الصّدف فأكثر ارتباطه هو بآيات الله، كما تبينه آيات القرآن الكريم، في قولـــه تعـــالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ يصـدفون معنـاه يعرضـون وينفرون[2]. ينفرون ويبتعدون بأنفسهم.

و في قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأنعام: 157].

والصدف هنا الإعراض عن آيات الله؛ أي " بعد مجيء البينة والهدى والنور، لا يكون أحد أشد ظلما من المكذب بالأمر الواضح النير الذي لا شبهة فيه، والمعرض عنه بعدما لاحت له صحته وصدقه وعرفه أو تمكن من معرفته".[3]

[1]- سعيد حوى، الأساس في التفسير، 504/1.

[2]- ابن عطية، المحرر الوجيز، 366/2.

[3]- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 258/4.

فاللفظان يفيدان معنى الإعراض والمنع والإبعاد، عن الطريق المستقيم، وعن تقبل الآيات الموصلة إليه.

## ثالثا: الاتفاق والاختلاف بين اللفظين.

يتفق لفظ الصدّ مع لفظ الصّدف في معنى الإعراض والميل؛ سواء في اللغة، أو في الاصطلاح الشرعي.

إلا أنّ لفظ **الصدّ** يرتبط في كثير من الآيات بـلفظ: السبيل المعرف بـ الـ التعريف، أو بالمركب الإضافي: سبيل الله، أو عبارة :المسجد الحرام، من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ ﴾ [النساء: 167]، وقوله تعالى: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النمل: 24]، وقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [البقرة: 217].

ذهب المفسرون إلى أن الصّد عن سبيل الله في الآية فيه وجوه[1]:

**أحدها:** أنه صدّ عن الإيمان بالله، وبمحمد عليه الصلاة والسلام.

**ثانيها:** صدّ للمسلمين من أن يهاجروا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

**ثالثها:** صدّ المسلمين عام الحديبية عن عمرة البيت.[2]

---

(1)- الرازي، مفاتيح الغيب، 25/6- 26.

(2)- أضاف صاحب التفسير: لقائل أن يقول: الرواية دلت على أن هذه الآية نزلت قبل غزوة بدر في قصة عبد الرحمن بن جحش- وهو واحد من الكفار- وقصة الحديبية كانت بعد غزوة بدر بمدة طويلة، ويمكن أن يجاب عنه بأن ما كان في معلوم الله تعالى كان كالواقع، وأما الكفر فهو الكفر بكونه تعالى مرسلا للرسل، مستحقا للعبادة، قادرا على البعث، وأما قوله ﴿ والمسجد الحرام ﴾ فإن عطفناه على الضمير في به كان المعنى: وكفر بالمسجد الحرام، ومعناه منع الناس عن الصلاة والطواف به، فقد كفروا بما هو السبب في فضيلته التي بها يتميز عن سائر البقاع، ومن قال: إنه معطوف على سبيل الله كان المعنى: وصد عن المسجد الحرام؛ وذلك لأنهم صدوا عنه الطائفين والعاكفين والركع السجود. الرازي، مفاتيح الغيب، 6/ 25- 26.

وعند صاحب **التحرير والتنوير**، المقصود بسبيل الله هو الإسلام، والمراد بالصَّد عن سبيل الله؛ أي المنع من السبيل الموصلة إلى الله.[1]

هذه الوجوه التي أوردها أصحابها وإن تعددت، فهي تفيد معنى واحدا؛ وهو طريق الحق والاستقامة، وكل ما يوصل إلى الله تعالى هو منهج الإسلام. ولهذا يتفنن الكافرون في الأساليب التي ينتهجونها لصدّ أصحاب الحق من المؤمنين ومنعهم من الاستمرار في طريقهم.

ذكر صاحب **الدّر المنثور**، أنّ صدّ المؤمنين عن سبيل الله يكون بالسجن، والتعذيب، وحبسهم عن الهجرة إلى الرسول، وإخراج المسلمين من المسجد الحرام، ومنعهم من الصلاة فيه، والحج إليه.[2]

كما كان الصد عن سبيل الله بإلقاء الشُّبه في قلوب ضعاف المسلمين[3]، لردّهم عن الدين الإسلامي، وكلها من الإفساد، لما فيها من إلحاق الضرر بالأنفس، وصدّها عن دينها.

أمّا لفظ **الصّدف** فقد ارتبط بلفظ **آيات الله** في سورة الأنعام المذكورة أعلاه، فأفاد الصّدف معنى الإعراض والميل عن الآيات التي بينها وأظهرها الله لمخلوقاته، قال تعالى: ﴿ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأنعام: 157].

فالتكذيب بآيات الله تبعه الصدوف والإعراض، وهذا من فساد العقيدة أصلا، لأن العقيدة السليمة تفرض، بل تؤدي حتما إلى التسليم والتصديق بكل الآيات والعلامات الدالة على الخالق عزوجلّ. وما جاء الإعراض عقب التكذيب بالآيات، إلا بعد ظهورها؛ لأن الإعراض لا يكون إلا بعد ظهور الشيء و رؤيته.

والآيات التي بينها الله لعباده كثيرة متنوعة، تدل في كل دقيقة من دقائقها على وحدانيته تعالى، يبينها الله تعالى لعباده حججا وبراهين على استحقاقه تعالى الطاعة

---

[1]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 249/14.

[2]– السيوطي، الدر المنثور، 701/3.

[3]– ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، 421/5.

المطلقة، والعبودية الكاملة، ورغم ذلك يعرض الإنسان ويحيد عن السبيل، لقوله تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴾ [الأنعام: 46].

والمقصود بتصريف الآيات؛ "اختلاف أنواعها، بأن تأتي مرة بحجج من مشاهدات في السماوات والأرض، وأخرى بحجج من دلائل في نفوس الناس، ومرة من أحوال الأمم الخالية التي أنشأها الله، فالآيات هنا هي دلائل الوحدانية، فهي متحدة في الغاية مختلفة الأساليب متفاوتة في الاقتراب من تناول الأفهام عامها وخاصها، وهي أيضا مختلفة في تركيب دلائلها من جهتي المقدمات العقلية وغيرها، ومن جهتي الترغيب والترهيب ومن التنبيه والتذكير، بحيث تستوعب الإحاطة بالأفهام على اختلاف مدارك العقول."[1]

ومن هنا يكون الصّدف ميلا وإعراضا بالنفس، عن الأخذ بآيات الله، وتصديقها، واتخاذها سبيلا إلى الإيمان بالله، فكان تكذيبهم سببا لصدوفهم وإعراضهم.

أما الصّد فيحتمل معنيين؛ معنى الإعراض بالنفس، ومعنى التعدّي إلى إعراض ومنع الغير عن سبيل الله، ولعله السبب في زيادة عذابهم، يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ﴾ [النحل: 88].

وهذا ما ذهب إليه **الشيخ الشعراوي** في تفسيره؛ حيث بيّن أن المولى عزوجل جاء بهذا اللفظ **صدُّوا** لأنه يصلح لأن يفيد غرضين:

**الأول:** أن يكون فعلا لازما بمعنى أعرض وانصرف عن السبيل فضَلَّ في ذاته، **والثاني:** أن يكون متعديا فيدل على منع وصرف غيره فيضله عن السبيل، فيقع عليه وزران؛ وزر ضلال نفسه ووزر إضلال غيره، وبذلك يعذبه الله عذابين.[2]

وأضاف على هذا صاحب **التحرير والتنوير**؛ أنّ زيادة العذاب ومضاعفته تكون كذلك على الذين صدفوا عن آيات الله بسبب تكذيب آيات الله البيّنة؛ فقال مفصلا: " قوله تعالى: ﴿عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ﴾هو مضاعفة العذاب أي شدّته، ويحتمل أنه أريد به عذاب الدنيا بالقتل والذلّ، وعذاب الآخرة، وإنما كان ذلك جزاء لهم، لأنهم لم يكذبوا تكذيبا عن

[1]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 7/ 235-236.

[2]-الشعراوي، تفسير الشعراوي، 4011/7

دعوة مجردة، بل كذبوا بعد أن جاءتهم الآيات البينات. و﴿ ما ﴾ مصدرية: أي بصدفهم وإعراضهم عن الآيات إعراضا مستمرا".[1]

وهنا يتجدد القول، بأن الفساد يبقى فسادا يعاقب عليه صاحبه، ولكنه يكون أخطر عندما يكون الفساد عقيدة عنده، يجتهد في نشرها، أو في صدّ الغير عن اتباع سبيل الصلاح والإصلاح، وهذا هو الإفساد الذي جاء النهي عنه أكثر، ولعله السبب في كون ألفاظ الصّد أكثر ورودا في القرآن من ألفاظ الصّدف. فهؤلاء فاسدون في أنفسهم، ومفسدون لغيرهم وهذا أشد الفساد في الأرض حين تعرض عن سبيل الله وتمنع غيرك من اتباع السبيل؛ سبيل الحق والهداية، وهو انحراف خطير، ووسيلة المفسدين في الأرض، في الماضي والحاضر، يبذلون لأجلها ما يملكون، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأنفال: 36 ].

كما أن الصدّ عن سبيل الله هو من صفات المنافقين، كما صرّح به القرآن الكريم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء: 61]؛ بمعنى يعرضون عنك إعراضا شديدا، ولم يأت التأكيد على الصدود بهذه الصيغة إلا في حق المنافقين، بسبب الأمراض القلبية التي تميّزوا بها، وقد لا ينتبه لها أحد، لولا أن القرآن فضحهم وفضح أخلاقهم.

هذا هو الفساد والإفساد في الأرض؛ " حين يصد الناس عن سبيل الله؛ وحين يصد المؤمنون عن منهج الله، فإن الأمور كلها تفقد استقامتها، والموازين كلها تفقد سلامتها، ولا يكون في الأرض إلا العوج الذي لا يستقيم.

إنه الفساد- فساد الفطرة بانحرافها- وفساد الحياة باعوجاجها..وهذا الفساد هو حصيلة صدّ الناس عن سبيل الله، وصد المؤمنين عن منهج الله...وهو فساد في التصور وفساد في الضمير وفساد في الخلق. وفساد في السلوك. وفساد في الروابط. وفساد في المعاملات وفساد في كل ما بين الناس بعضهم وبعض من ارتباطات، وما بينهم وبين

[1]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 183/8.

الكون الذي يعيشون فيه من أواصر...وإمّا أن يستقيم الناس على منهج الله فهي الاستقامة والصلاح والخير، وإما أن ينحرفوا عنه إلى أية وجهة فهو العوج والفساد والشر. وليس هناك إلا الحالتان تتعاوران حياة بني الإنسان: استقامة على منهج الله فهو الخير والصلاح، وانحراف عن هذا المنهج فهو الشر والفساد !".[1]

ويمثل الصهاينة اليوم على أرض فلسطين مثالا حيّا، اجتمعت فيهم كل معاني الصدف والصدّ عن سبيل الله؛ حيث أنهم صدّوا أصحاب الأرض عن دخول المسجد الأقصى مسرى الرسول، وثالث الحرمين، الأمر الذي جعله بقعة مقدسة عند المؤمنين، وجعل الصهاينة يكرسون ويجندون للصدّ عنه كل ما أوتوا من نفوذ وسلطان وأموال، وتقتيل وأسرٍ وتهجير، و إبعاد للجنس العربي المسلم، ناهيك عن الجنس الفلسطيني من أن يقاربه أو يفكر في أحقيته له. وليس هذا فحسب، بل إنهم بذلك يصدون عن الانتساب إلى هذا الدين، عن طريق طمس مقدساته وشعائره، فحروبهم ضد العرب المسلمين من أجل الأقصى هو الظاهر، ومن خلف الأقصى مشروع قديم متجدّد، يرمي إلى القضاء على الإسلام والجنس العربي المسلم.

---

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، 437/4/1.

## المطلب الخامس: اللّجوء إلى غير الله تعالى.

اللجوء إلى غير الله تعالى عند طلب حاجة، أو عند نزول نائبة من النوائب...من السمات التي تميز الكفار المشركين؛ الذين عُلم شركهم وكفرهم وعُرف بين الناس، كما أنّه صفة من صفات المنافقين من دون شك؛ لأنهم- كما سبق بيانه- قوم يظهرون الإيمان بالله وبرسوله، ويبطنون الكفر والسوء في حق الله ورسوله، إضافة إلى هذا قد يكون خطأ ومزلقة من المزالق التي ينزلق فيها المسلمون، عن جهالة وقلة علم. فما المقصود باللجوء؟ ولمن يكون هذا اللجوء إذا لم يكن لله تعالى؟.

### أولا: في اللغة.

اللجوء مشتق من الفعل الثلاثي لَجَأَ ؛ ولجأ إلى الشيء والمكان يلجأُ لجْئا ولجوءًا وملجأ، ولجِئَ، لَجَأَ [1]، ويقال لجأ إلى فلان: استند إليه واعتضد به، لاذ إليه واعتصم به، ولجأ عنه عدل عنه إلى غيره.

و ألجأ أمره إلى الله: أسنده. والتجأ، وألجأت أمري إلى الله: أسندت. والملجأ واللَّجَأُ: المعقل والملاذ.[2]

ومنه، فإنّ معنى اللجوء هو الاستناد والاعتصام واللّوْذ.

### ثانيا: في الاصطلاح.

في الاصطلاح الشرعي، يصطلح على أنّ اللجوء في النوائب على الخصوص لا يكون إلا لله، وإلا كان كفرا وإشراكا؛ لأن إضافة اللجوء إلى غير الله تعالى، فيه معنى الانتقاص من صفات الله تعالى المتعلقة بقدرته وإحاطته بالأمور كلها، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

في حين أنّ إضافة اللجوء لله فيه معنى التذلل وإظهار الحاجة لله وحده؛ فالمسلم لا يلجأ إلا إلى الله، ولا يعتصم إلا بالله، ولا يدعو إلا الله خالقه، متمثلا قول الله تعالى:

---

(1)- ابن منظور، لسان العرب، ص: 3997.

(2)- إبراهيم مدكور، المعجم الوسيط، ص: 815، ابن منظور، لسان العرب، ص: 3997.

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: 60].

فاللجوء إلى الله، يكون بالدعاء وطلب العون منه، أما دعاء غيره فهو شرك به تعالى، في ألوهيته وربوبيته تعالى، كما أن الذين يعتقد أنهم شفعاء، ووسطاء إلى الله، لا يملكون للمتشفع بهم نفعا ولا ضرا، لقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر: 13 – 14].

## ثالثا: الأفعال التي تعدّ من اللجوء إلى غير الله تعالى.

### 1- اللجوء إلى الأولياء في أضرحتهم.

تعتبر العبادات التطبيق العملي للعقيدة الإسلامية الصحيحة؛ لأن الإنسان لا يعبد إلا الله، ولا يستعين في قضاء حاجاته إلا بالله، ولا يلجأ إلا إلى الله تعالى، متمثلا قول ربه: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة: 5].

يقول المفسرون عن هذه الآية بأنها " اجتثت جذور الشرك التي كانت فاشية في جميع الأمم، وهي اتخاذ أولياء من دون الله يستعان بهم على قضاء الحاجات ويتقرب بهم إلى الله زلفى".[1]

وهي الآية التي أرشدت إلى الغاية السامية، التي من أجلها خلق الله الجنّ والإنس؛ فهم مخلوقون لأجل العبادة، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: 56]، ومخلوقون أن يستعينوا بهذا المعبود ويلجؤوا إليه في كل شؤون حياتهم.

وعليه، فمتى دعا الإنسان غير الله من الخلق فقد أشرك؛ بأن جعل لله شريكا يدعوه ويتوسل به، ويخشاه، ويتقرب إليه بشيء من العبادات من ذبح أو نذر ونحوهما.

---

[1]– المراغي، تفسير المراغي، 1/ 23.

لذلك يعدّ اللجوء وزيارة الأولياء – ممن عرف عنهم الصلاح في الدنيا – في أضرحتهم، من الأخطار والأخطاء التي يقع فيها كثير من المنتسبين للإسلام؛ فيستغيثون بهم ابتغاء قضاء حاجاتهم، وتفريج الهموم والكربات عنهم، فيقدمون الذبائح ويقيمون الولائم قريبا من هذه الأضرحة، بنية التفريج وبلوغ الغايات، وفي اعتقادهم أن وجودهم عند الضريح وتوسلهم أو تشفعهم بصاحبه، يساعد ويعجل قضاء حاجاتهم المعطلة.

وهذا من دون شك اعتقاد باطل، قد أبطله الله عز وجل في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الإسراء: 56]. وقوله أيضا: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾ [لقمان: 30].

في الآية بيان للبوْن الشاسع بين الدعاء الحقّ والدعاء الباطل؛ فالدعاء الحق دعاء الله تعالى الذي أخذ على نفسه إجابة دعاء عباده، وأمّا دعاء الباطل، فهو دعاء من لا يملك ولا يقدر على كشف الضرّ ولا حتى على تحويله، والمراد بالكشف هنا الإزالة، والتحويل نقل الشيء من مكان إلى مكان؛ أي لا يستطيعون إزالة الضّرّ عن الجميع، ولا إزالته عن واحد إلى غيره.(1)

و نظائر هذا المعنى في القرآن كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ [الأعراف: 191 – 192].

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الأعراف: 194]، ويؤكد المولى عزوجل في السورة نفسها: ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [الأعراف: 196 – 197 ].

ففساد عقيدة هؤلاء، كان بسبب وقوفهم على مقابر الأولياء والشيوخ، بدعوى أنهم كانوا صالحين مخلصين لله تعالى؛ حيث كلما ألمّ بهم همٌّ، أو ضاقت عليهم الدنيا، استغاثوا بسكان القبور؛ فذبحوا القربات، ونذروا النذور، وجعلوا منهم الوسيط بينهم وبين

(1)– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 15/ 139.

الله تعالى، وهو الذي لا يحتاج لوسيط سبحانه كما أخبر عن نفسه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[البقرة: 186].

وقوله أيضا: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: 56].

وعليه، فزيارة قبور الصالحين والشيوخ ـ ممن عرفوا في أوساط الناس بالصلاح ـ للدعاء عندها ابتغاء حاجة من الحاجات الدنيوية، أو طلبا لرفع ضرٍ، بناءً على اعتقاد أن الدعاء عندها مستجاب، وأنه من أفضل الدعاء، أو ربما هو من أفضل أماكن الدعاء لشرف وصلاح سكانها، فهذا مما فيه شبهة، وقد يكون مطية للشرك بالله تعالى.

ولذلك كان اتخاذ القبور، واتخاذ أصحابها وسطاء لدعاء الله تعالى، من الفساد الذي يخفى على الكثير، وذلك لسببين هما[1]:

**الأول:** أنّ دعاء الأموات واللجوء إليهم لا يعدّ عبادة في نظرهم؛ لأنهم يظنون أنّ العبادة المقصودة تنحصر في بعض العبادات البدنية والمالية، كالصلاة والصيام والزكاة ونحوها، رغم ما ورد صريحًا في القرآن من كون الدعاء عبادة؛ لقوله عزّ وجلّ:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: 60].

**الثاني:** عدم الاعتقاد أن الأموات آلهة، بل وسائط بينهم وبين الله وشفعاء عنده، وهذا هو الشرك الذي وقع فيه عبّاد الأصنام قديما، كما وصفهم المولى عزّ وجلّ بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [الزمر: 3].

وقوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ ﴾[يونس: 18]، رغم أنهم لم يدّعوا قط أنّ آلهتهم تخلق أو ترزق أو تحيي وتميت.

[1]– محمد بن عبد الله علي الحكمي، الظلم وأثره على الفرد والمجتمع، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ط2، (1415هـ– / 1995م )، ص: 24– 26.

إذن، فالعبادات مهما كانت ماهيتها، قولا أو فعلا، فهي لله تعالى لا لغيره؛ سواء كانت خفية أو ظاهرة، بدنية أو مالية، لا ينبغي أن توجه لغير الله في السر والعلن، ولا أن تصرف إلى مخلوقاته من الأحياء أو الأموات؛ لأنها لا تملك لنفسها النفع ولا الضرّ - فضلا عن أن تملكه لغيرها- ولو قضى العبد العمر عندها داعيا، ومن اعتقد شيئا من ذلك فقد أفسد عقيدته، وضلّ السبيل﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الأحقاف: 5].

ويقول الله تعالى: ﴿ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ ﴾[الحج: 12].

يقول المفسرون: المراد بالدعاء في هذه الآيات العبادة؛ أي يعبد متجاوزاً عبادة الله تعالى ما لا يضره إن لم يعبده، وما لا ينفعه إذا عبده، كما يراد به النداء؛ أي ينادي لأجل تخليصه جماداً ليس من شأنه الضر والنفع، وكلاهما من الضلال البعيد عن الحق والهدى، واستعير معنى الضلال هنا من ضلال مَن أبعد في التيه ضالاً عن الطريق.(1)

ويؤكد القرآن الكريم من خلال الكثير من الآيات، على وجوب اللجوء إلى الله دون سواه، والتوجّه إليه بالدعاء وطلب قضاء الحوائج منه تعالى دون غيره، كما في قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: 62].

## 2-اتباع الهوى.

والهوى من الفعل هوى، يهوي، كروى يروي، هَوْيًا بالفتح: سقط.(2)

وعند ابن فارس: الهاء والواو والياء أصل صحيح يدلّ على خلوٍّ وسقوطٍ، وأصله الهواء بين الأرض والسماء، سمي بذلك لخلوّه، فقالوا: وكلّ خالٍ هواء.﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ [إبراهيم: 43]، أي خالية لا تعي

(1)- الألوسي، روح المعاني، 17/ 124- 125.

(2)- الكفوي، الكليات، ص: 969.

شيئا. وأمّا الهوى: هوى النفس فمن المعنيين جميعا؛ لأنه خال من كل خير، ويهوي بصاحبه فيما لا ينبغي. قال تعالى نافيا عن نبيّه هذه المعاني: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ ﴾ [ النجم: 3 ].[1]

وفي **لسان العرب:** هوى النفس: إرادتها، والجمع الأهواء، قال اللغويون: الهوى محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه، قال الله تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ [النازعات: 40 ]؛ معناها نهاها عن شهواتها وما تدعو إليه من معاصي. ومتى تُكُلِّم بالهوى[2]مطلقا لم يكن إلا مذموما، حتى يُنعت بما يُخرجه عن معناه الذي اختصّ به، كقولهم هوى حسن وهوى موافق للصواب.[3]

وذكر في القرآن الكريم لفظ الهوى مفردا، كما ذكر بصيغة الجمع أهواء في آيات كثيرة، وفي آيات أخرى جاء ذكر للهوى بإيراد الفعل، منها قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۝٨٧ ﴾ [البقرة: 87].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١ ﴾ [النازعات: 40 – 41].

وقوله سبحانه: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝١٢٠ ﴾ [البقرة: 120].

---

[1]– ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 6/ 15– 16.

[2]– الفرق بين الهوى والشهوة: أن الهوى لطف محل الشيء من النفس مع الميل إليه بما لا ينبغي، ولذلك غلب على الهوى صفة الذم، والشهوة لا تتعلق إلا بما يلذ من المدركات بالحواس، وهي توقان النفس إلى ما يلذ وما يسرّ، وقد يشتهي الإنسان الطعام ولا يهواه. العسكري: أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (دط، دت )، ص: 121 و124.

[3]– ابن منظور، لسان العرب، 4728/6 .

جاء في تفسير **ابن عاشور** لقوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ﴾ أنّ " تهوى مضارع هَوِي بكسر الواو إذا أحبّ، والمراد به ما تميل إليه أنفسهم من الانخلاع عن القيود الشرعية والانغماس في أنواع الملذات والتصميم على العقائد الضالة".[1]

والهوى مصدر؛ بمعنى المفعول، مثل الخلق بمعنى المخلوق، فهو ما ترقب فيه قوى النفس الشهوية والغضبية ممّا يخالف الحق والنفع الكامل. وشاع الهوى في المرغوب الذّميم، لقوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ ﴾ [القصص: 50].[2]

إنَّ الهوى وإن كان شيئا نفسيا داخليا غير مجسد ولا مشخص، إلا أنّ اتباعه والانقياد له، ينطوي على معنى اللجوء والاستعصام بقوة نفسية داخلية، يرى فيها صاحبها قوته وقدرته واستغناءه، بعيدا عن منهج الله تعالى. وكثيرا ما يستعمل الهوى فيما ليس بحق.[3]

كما أن الهوى رأي ناشئ عن شهوة بلا دليل؛ كتكذيب الأنبياء، والتكذيب بما جاؤوا به، واعتقادهم الكمال والصلاح في مللهم، وأنهم في غنى عن شرائع أخرى.[4]

وبسبب التكذيب، فمتّبِعو الهوى لا يقفون عند الحدود الشرعية؛ لأنها كثيرا ما تخالف أهواءهم؛ حتى صار اتباع الهوى علامة على الضلال، وعلى كل مخالف للحق، فجاء الذم في القرآن الكريم ملازمًا لكل هوى.

وعليه فقد تضافرت النصوص الشرعية على ذم الأهواء، والتحذير من اتباعها، بل أجمعت على النهي عنها؛ وجاء القرآن الكريم موصيا الأنبياء محذرا من اتباع الهوى في أحكامهم وتصرفاتهم، فقال تعالى لنبيه داوود:

﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ﴾ [ص: 26].

---

[1]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 598/1.

[2]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 30/ 92- 93.

[3]- ابن عطية، المحرر الوجيز، 1/ 177.

[4]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 1/ 695.

ثمّ خاطب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الجاثية: 18]، و﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾هم المشركون، وأهواؤهم دين الشرك، لقوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الجاثية: 23]، فنُهي النبي صلى الله عليه وسلم عن اتباع أهوائهم، كما أن في الآية تعريضا للمسلمين بأن يحذروا من اتباع أهواء الذين لا يعلمون.[1]

يّن عاقبة من اتبع الأهواء المضلة: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [البقرة: 120].

في الآية شرط خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وأمته داخلة فيه، يحمل معنى التحذير من اتباع أهوائهم المختلفة، التي تمنع من ولاية الله ونصرته ومعونته.[2]

ويضيف صاحب **البحر المحيط** أنّ ما هم عليه– اليهود والنصارى – إنما هي أهواء وضلالات ناشئة عن شهواتهم وميولهم، فكانت كلمة **أهواء** هكذا بصيغة الجمع دليلا على كثرة اختلافهم؛ إذ لو كانوا على حقٍ لكان طريقا واحدا، لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: 82]، وأضاف الأهواء إليهم في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم ﴾لأنها بدعهم وضلالاتهم التي اختصوا بها [3]، ولذلك سمي أصحاب البدع أرباب الأهواء.[4]

بعد هذا النهي المتكرر عن اتباع الهوى، يذكر القرآن الكريم في إحدى آياته زيادة في ذم اتباع الهوى، مبينا سوء عواقب اتباع الأهواء؛ حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [المؤمنون: 71]، أي لو كان ما جاء به الرسول من الإسلام والتوحيد متبعا أهواءهم لكان إشراكا بالله، وكثرة الشركاء تعني كثرة

[1]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 25/ 348.

[2]- ابن عطية، المحرر الوجيز، 204/1.

[3]- أبوحيان الأندلسي، البحر المحيط، 591/1. ذكر صاحب الكشاف في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم ﴾ أي أقوالهم التي هي أهواء وبدع، الزمخشري، الكشاف، 1/ 183.

[4]- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 591/1.

الأهواء، التي لابد أن تكون مختلفة متضاربة، يؤدي اضطرابها إلى فساد مادي يعم السموات والأرض.

وفي المقابل دلت الآية على عظم شأن الحق، الحقيق بالاتباع واللحاق به، فلو اتبع أهواءهم لانقلب باطلا، ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام، وقيل لو كان ما جاء به الرسول بحكم هوى هؤلاء من اتخاذ شريك لله وولد، وكان ذلك حقا، لم يكن لله الصفات العلية، ولم تكن له القدرة كما هي، وكان في ذلك فساد السموات والأرض، وقيل كانوا يرون الحق في اتخاذ الآلهة مع الله، لكنه لو صح ذلك لوقع الفساد في السماوات والأرض على ما قرر في دليل التمانع[1] في قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: 22].[2]

ومهما كانت أهواؤهم فهي بعيدة عن الحق، لا يمكن تتابعهما فضلا عن اجتماعهما بأي حال من الأحوال، لأنها أهواء ضالة مضللة، ولو كان الحق تابعا لأهوائهم لعمّ الفساد السماوات والأرض.

ووجه الملازمة بين فساد السماوات والأرض وفساد الناس، وبين كون الحق جاريا وتابعا لأهواء المشركين، هو أن أهواءهم شتّى؛ فمنها المتفق، وأكثرها مختلف، وأكثر اتفاق أهوائهم حاصل بالشرك، فلو كان الحق الثابت في الواقع موافقا لمزاعمهم وادعاءاتهم لاختلت العوالم، ولو كانت الحقيقة هي تعدد الآلهة﴿ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المؤمنون: 91 ]، و﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ وهذا أصل الحق، وانتقاضه انتقاض لنظام السماوات والأرض.[3]

ومجمل القول؛ إن الغرائز التي ركبت في الإنسان، والتي يميل إليها ويهواها بفطرته، إنما هي لضرورة بقائه؛ كميله إلى الطعام والشراب والنكاح، وحبه للمال ونحوه ؛ حيث

---

(1)– استدل به المتكلمون لإبطال تعدد الآلهة وأسموه: برهان التمانع؛ ووجه تسميته " برهان التمانع " أن جانب الدلالة فيه على استحالة تعدد الإله هو فرض أن يتمانع الآلهة؛ أي يمنع بعضهم بعضا من تنفيذ مراده. ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 17/ 41.

(2)– أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 6/ 383.

(3)– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 8/ 92– 93.

يقول سبحانه: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ آل عمران: 14]، وليتحقق أيضا معنى الابتلاء والامتحان في هذه الحياة. قال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الإنسان: 2].

هذا الميل في الإنسان هو الذي يطلق عليه الهوى؛ حيث تميل النفس إلى ما تحبه وتهواه من الخير والشر؛ لذلك الأصل في الهوى أن لا يكون مذموما على الإطلاق وإنما المذموم منه ما تجاوز الحدّ المشروع، وداخلته الشبهات؛ فإن مالت النفس، أوخرجت عن طريق الاستقامة والصلاح، إلى ما يخالف الشرع في أمور الدين والمعتقد، أو في أمور المنهيات والمحرمات فقد هوى صاحبها إلى اتباع الأهواء المذموم المفضي إلى فساد السماوات والأرض.

وجدير بالذكر، أن كل من ابتغى السلامة من الهوى المذموم، عليه أن يستحضر عاقبة متبع الهوى، وأن يجعل نصب عينيه الخوف من رب العالمين، و يستحضر مأواه في الجنة، كما أخبر عن ذلك الله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: 40 – 41].

لأن الخائف يراقب ربه في كل عمله ومسعاه، وهو على يقين بأنه واقف بين يدي الله تعالى، ماثل في مقامه، وفي إضافة المقام للرب تفخيم وتهويل عظيم واقع من النفوس موقعا عظيما، ﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾أي نهاها عن الاستجابة إلى الشهوات الضالة والغواية المهلكة.

وفي الفعل " **نهى** " هنا ملحوظة دقيقة؛ فكما استعملت اللغة العربية النهي ضد الأمر، استعملت " **النُّهى**" في العقل والرشد، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾[طه: 54]، وهو ما يجعل للفعل " نهى" النفس عن الهوى إيحاء إلى صوت العقل في زجر النفس ومنعها عن شهواتها، واعتقال هواها المضلّ.[1]

---

[1]– بنت الشاطئ: عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، (ط 7، د ت)، 1/ 158.

فأصحاب العقول يستحضرون آيات الله في خلقه، ويعرضونها على عقولهم؛ فلا يجدون أنفسهم إلا خاضعين خائفين، تائبين، مستغفرين ربهم من كل ذنب ولو صغر.

و" الذي يخاف مقام ربه لا يقدم على معصية، فإذا أقدم عليها بحكم ضعفه البشري قاده خوف هذا المقام الجليل إلى الندم والاستغفار والتوبة. فظل في دائرة الطاعة.

ونهيُ النفس عن الهوى هو نقطة الارتكاز وبداية الطاعة؛ فالهوى هو الدّافع القوي لكل طغيان، وكل تجاوز، وكل معصية، وهو أساس البلوى، وينبوع الشر، وقلّ أنْ يؤتى الإنسان إلا من قبل الهوى، فالجهل سهل علاجه، ولكن الهوى بعد العلم هو آفة النفس التي تحتاج إلى جهاد شاقّ طويل الأمد لعلاجها.

والخوف من الله هو الحاجز الصلب أمام دفعات الهوى العنيفة، ولهذا جاء الجمع بين الخوف من الله ودفع الهوى في سياق آية واحدة، فالذي يتحدث هنا هو خالق هذه النفس العليم بدائها، الخبير بدوائها وهو وحده الذي يعلم دروبها ومنحنياتها، ويعلم أين تكمن أهواؤها وأدواؤها. فكلفه أن ينهاها ويكبحها ويمسك بزمامها... وكتب له بهذا الجهاد الشاق، الجنة مثابة ومأوى: ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾.

إن الإنسان إنسان بهذا النهي، وبهذا الجهاد، وبهذا الارتفاع. وليس إنسانا بترك نفسه لهواها، وإطاعة جواذبه إلى دركها، بحجة أن هذا مركب في طبيعته. فالذي أودع نفسه الاستعداد لجيشان الهوى، هو الذي أودعها الاستعداد للإمساك بزمامه ونهي النفس عنه ".[1]

والأسوة في ذلك النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد كان يتعوذ بالله من سوء الأخلاق والأعمال و غلبة الأهواء، وكان مما يخشى على أمته، اتباع الهوى المردي، المضل، فدعا إلى مجاهدة النفس ومخالفتها في كل أهوائها.

---

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، 6 / 3818- 3819.

كما أثر عن السلف تحذيرهم الأمة من اتباع الهوى؛ ومما أثر عنهم، قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: {إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل، أما اتباع الهوى فيصدّ عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة}.[1]

[1]- محمد عبده، نهج البلاغة، مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، دار الحديث، القاهرة، ( دط، 1424هـ/ 2004م )، ص: 68.

## المبحث الثاني: المجال الأخلاقي الاجتماعي.

لعل أهم فساد قد يلي الفساد العقدي، هوالفساد والانحلال الخلقي الاجتماعي، لما له من ضرر على الأفراد وعلى المجتمع.

والمقصود بالفساد الاجتماعي، كل فساد انعكس أو أدى إلى فساد العلاقات والروابط داخل المجتمع؛ بمعنى فساد السلوكات والأفعال التي تؤدي حتما إلى إفساد علاقات الأفراد فيما بينهم.

إن الفساد الأخلاقي الاجتماعي، أو الإفساد الاجتماعي - على اعتبار أن الإنسان هو أساس بناء المجتمع وهو الفاعل فيه- يشمل جميع السيئات، والمفاسد التي يصيبها الإنسان في حق أخيه الإنسان؛ في نفسه أو عرضه أو ماله، كما أوضحها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع، حين خطب في أصحابه موصيا أمته بقوله: {...إنّ دِمَاءَكُم وَأَمْوالكُمْ وأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا في بَلَدِكُمْ هَذَا}[1].

فحرمة الدماء بسفكها دون وجه حق، والأعراض بانتهاك حرماتها بالغيبة والقذف ونحوهما، أما حرمة الأموال فهي تخص الذمم المالية للأشخاص، وإفسادها يكون بالربا والرشوة، والسرقة، ومنع الحقوق من الوصول إلى أصحابها، أو العدوان عليها - سيأتي بيان المفاسد التي تلحق الأموال في مبحث مستقل - هذه المفاسد وغيرها ممّا يورث الأحقاد والضغائن بين العباد، ناهيك عن إفلاس مرتكبيها يوم القيامة؛ لا إفلاس أموال ولكن إفلاس الحسنات، لقوله صلى الله عليه وسلم: {أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فقال: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَّامَةِ بِصَلَاةٍ وصِيَّامٍ وزَكَاةٍ ويَأْتِي قَدْ

---

[1]- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، 1/ 528، برقم (1739) ورقم (1741) ورقم (1742)، وفي كتاب المغازي، باب حجة الوداع، 3/ 174، برقم (4403) ورقم (4406)، وفي كتاب الأضاحي، باب من قال الأضحى يوم النحر، 4/ 6، برقم (5550)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، 1/ 889، برقم (1218)، وفي كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والدّيات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، 3/ 1305-1306، برقم (1679).

شَتَمَ هَذَا وقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ منْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ}.[1]

ذكر الحديث جملة من المفاسد التي قد توجد بين أفراد المجتمع المسلم؛ من السبّ والشتم والقذف، وسفك الدماء والضرب، ويبدو أنّ ورودها على هذا النحوِ يشير إلى أنّ أولها مقدمة أو سبب لآخرها؛ بمعنى أنّ السبّ والقذف غالبا ما يقود إلى الضرب والقتل، ممّا يدلّ أنّ الضرب أوالقتل أشدّ وأعظم الإفساد، وقد يكون ترتيبها بهذا الشكل انتقالا من الأقل إلى الأعظم جرما.

## المطلب الأول: قتل النفس بغير حقّ.

كرم الله عز وجل الإنسان، وميّزه عن سائر المخلوقات؛ فجعله خليفة في الأرض للبناء والتعمير، ولكن الملائكة تعجبوا لذلك، فقال القرآن على لسانهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[البقرة: 30]، إذ الخليفة من شأنه الإصلاح وترك الفساد، لكنهم عمّموا الحكم على الجميع، بالمعصية والإفساد وسفك الدماء، فبين الله تعالى أنّ فيهم من يفسد ومن لا يفسد، فقال تطييبا لقلوبهم: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.[2]

يقول صاحب **الظلال** عن قول الملائكة، بأنه يدل على أنه" كان لديهم من شواهد الحال أو من تجارب سابقة في الأرض، أو من إلهام البصيرة، ما يكشف لهم عن شيء من فطرة هذا المخلوق، أو من مقتضيات حياته على الأرض، وما يجعلهم يعرفون أو يتوقعون أنه سيفسد في الأرض، وأنه سيسفك الدّماء...لقد خفيت عليهم حكمة المشيئة العليا، في بناء هذه الأرض وعمارتها، وفي تنمية الحياة وتنويعها، وفي تحقيق إرادة

[1]– أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، 4/ 1997، برقم (2581). والترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، ص: 692، برقم (2423)، وقال: هذا حديث حسن صحيح .

[2]– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 1/ 409.

الخالق وناموس الوجود في تطويرها وترقيتها وتعديلها، على يد خليفة الله في أرضه.هذا الذي قد يفسد أحيانا، وقد يسفك الدماء أحيانا".[1]

هذا الخليفة قد يكون منه الصالحون ومنه الفاسدون المفسدون، الذين غلبتهم شهواتهم وانصاعوا لأهوائهم فضلوا السبيل، ورغم كل هذا فقد كرم الله تعالى هذا المخلوق، ورفع مكانته بين الخلق أجمعين، وحرّم هدم بنيانه؛ بسفك دمه وإهداره منذ بدء الخليقة، ومع ذلك فقد كان أول إفساد على وجه الأرض؛ فساد بين ابني آدم عليه السلام، عندما قتل قابيل أخاه هابيل، كما حدّث عن ذلك القرآن الكريم؛ يقول الله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المائدة: 28 – 30].

تنقل كتب التفسير، أنّ الدّافع للقتل هو الحسد؛ حسد قابيل لأخيه هابيل، عندما قبل قربانه، ولم يتقبل من الآخر، بسبب فساد اعتقاده في الله، ولأن الله لا يتقبل إلا ممن كانت نواياهم خالصة لوجهه تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾، " وإجماع أهل السنة في معنى هذه الألفاظ أنها اتقاء الشرك، فمن اتقاه وهو موحد فأعماله التي تصدق فيها نيته مقبولة، وأما المتقي للشرك والمعاصي فله الدرجة العليا من القبول والختم بالرحمة".[2]

فقتل النفس جرم عظيم، ومن أكبر الكبائر، لا يقع إلا ممّن انعدمت عنده مبادئ الإنسانية، فضلا عن غياب مبادئ الأخوة الإيمانية، وفساد الروابط الأخوية التي أقرها الإسلام، لذلك كان قتل النفس أكبر صور الفساد التي جاء فيها النهي عنها نهي التحريم؛ حيث جعل الله تعالى من قتل نفسا بغير وجه حق؛ أي ظلما وإفسادا في الأرض كالذي قتل الناس جميعا، كما هو في قوله تعالى: ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن

---

[1]– سيد قطب، في ظلال القرآن، 1/ 56– 57.

[2]– ابن عطية، المحرر الوجيز، 2/ 178– 179.

قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ ﴾ [المائدة: 32].

ويرجِع المفسرون بأنه بسبب جناية ابن آدم، التي أدت به إلى قتل أخيه ظلما وعدوانا، قضى الله تعالى وحكم على بني إسرائيل؛ أنه من قتل منهم نفسا ظلما، فكأنما قتل الناس جميعا، إلا أن يكون القتل قصاصا، أو بسبب الإفساد في الأرض؛ كمحاربة الله ورسله، وإخافة السبيل .[1]

ويضيف **الطبري** في تفسيره معللا تأويله للآية: " لا نفس يقوم قتلها في عاجل الضر مقام قتل جميع النفوس، ولا إحياؤها مقام إحياء جميع النفوس منه، لأنه من لم يتقدم على نفس واحدة، فقد سلم منه جميع النفوس، وأن الواحدة منها التي يقوم قتلها مقام جميعها إنما هو في الوزر، لأنه لا نفس من نفوس بني آدم يقوم فقدها مقام فقد جميعها، وإن كان فقد بعضها أعمّ ضررا من فقد بعض".[2]

وذهب **ابن عاشور** إلى أن " معنى التشبيه في قوله ﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا ﴾ حثُّ جميع الأمة على تعقُّب قاتل النفس، وأخذه أينما ثقف، والامتناع من إيوائه، أو الستر عليه، كلّ مخاطب على حسب مقدرته، وبقدر بسطة يده في الأرض إلى عامة الناس؛ فالمقصود من ذلك التشبيه تهويل القتل وليس المقصود أنه قد قتل الناس جميعا، ألا ترى أنه قابل للعفو من خصوص أولياء الدم دون بقية الناس.

على أنّ فيه معنى نفسانيا جليلا، وهو أن الداعي الذي يَقْدُم بالقاتل على القتل، يرجع إلى ترجيح إرضاء الداعي النفساني الناشئ عن الغضب وحب الانتقام، على دواعي احترام الحقّ، وزجر النفس، والنظر في عواقب الفعل من نُظم العالم، فالذي كان من حيلته ترجيح ذلك الداعي الطفيف على جملة هذه المعاني الشريفة فذلك ذو نفس يوشك أن تدعوَه دوما إلى هضم الحقوق، فكلما سنحت له الفرصة قتل، ولو دعته أن يقتل الناس جميعا لفعل.

[1]- الطبري، جامع البيان، 10/ 232.

[2]- الطبري، جامع البيان ، 10/ 241.

ولك أن تجعل المقصد من التشبيه توجيه حكم القصاص وحقيته، وأنه منظور فيه لحق المقتول، بحيث لو تمكن لما رضي إلا بجزاء قاتله بمثل جرمه، فلا يتعجب أحد من حكم القصاص قائلا: كيف نصلح العالم بمثل ما فسد به، وكيف نداوي الدّاء بداء آخر، فبيّن لهم أنّ قاتل النفس عند وليّ المقتول كأنما قتل الناس جميعا".[1]

لم يمثل القرآن الكريم قتل النفس بقتل الناس جميعا فحسب، بل أيضا شبّه نقيضها وهو الإحياء؛ بحيث جعل إحياء النفس الواحدة كإحياء الناس جميعا، وهذا لبيان وتمييز فظاعة قتل النفس بغير وجه حقّ.

ومعنى التشبيه في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾، أي من استنقذها من الموت لظهور أنّ الإحياء بعد الموت ليس من مقدور الناس، إذ استنقاذها والذب عنها عند الضرورة فكأنما أحياها وأحيا الناس جميعا بها، وهذا لا يتأتى إلا لمن غلب عنده وازع الخير والصلاح داعيَ الغضب والإفساد.[2]

ومن هنا يأتي حرص القرآن الكريم على بيان فظاعة قتل النفس، وعلى تهويل الفساد الذي يلحقه وينجر عنه في المجتمع؛ من تيتيم للأولاد، وترميل للأزواج، ومن ثم انتشار الأحقاد والبغضاء وطلب الثأر، وكلها آثار لا تنتهي وإن طال بها الزمن، لذلك ما انفك القرآن الكريم ينهى ويحرم هذا الفعل الشنيع في مواضع شتّى، يقول المولى عزّوجلّ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الإسراء: 33].

ويأتي النهي عن القتل عقب جملة من المنهيات، نهي تحريم، كما في قوله سبحانه: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)﴾ [الأنعام: 151]؛ حيث جعل النهي عن قتل النفس في مقام النهي عن الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل الأولاد خشية الإملاق، وقرب الفواحش والمفاسد ما ظهر منها وما خفي، وهذا النوع من

---

[1]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 6/ 178.

[2]- المرجع نفسه، 6/ 179.

المحرمات هو الذي يقوض البناء المجتمعي، ومنه فلا صلاح إلا بصلاح علاقة العبد بربه أولا، وصلاح الروابط العائلية والمجتمعية عموما.

ففي الآيتين نهي صريح عن قتل النفس إلا بالحقّ، والحق هو كما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث بقوله: {لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ الثَّيِّبُ الزَّانِي وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ}.[1]

فقد بين الحديث الأحوال التي يحل فيها دم المسلم، ولا يعد ذلك من الفساد في الأرض، و" في غير هذه الثلاث مما جاء في بيانات أخرى عند بعض الأئمة، يرجع إلى إحدى هذه الثلاث، أو يقال بتقدم هذا الحصر في الورود عليها".[2]

ويذكر القرآن الكريم الحالة الوحيدة التي يمكن أن يقتل فيها المؤمن مؤمنا آخر، وهي حالة القتل الخطأ.

ذهب **الطّبري** في تفسيره للآية: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾أنّ معناها؛ ما أذن الله لمؤمن، ولا أباح له أن يقتل مؤمنا، وما كان له ذلك فيما جعل له ربه وأذن له فيه من الأشياء البتة، وعن قتادة معناها: ما كان له ذلك فيما أتاه من ربه من عهد الله الذي عهد إليه.[3]

وقال **القرطبي**: إن" هذه آية من أمهات الأحكام، والمعنى: ما ينبغي لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ، فقوله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ليس على النفي، وإنما هو على التحريم والنهي، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾[

[1]– أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾،268/4، برقم (6878)، ومسلم في صحيحه، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والدّيات، باب ما يباح به دم المسلم، من طريق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، 3/ 1302–1303، برقم (1676).

[2]–ابن باديس، عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، (د ط، 1991م)، ص: 120–121.

[3]– الطبري، جامع البيان، 9 / 30.

الأحزاب: 53]، ولو كانت على النفي لما وجد مؤمن قتل مؤمنا قطّ؛ لأن ما نفاه الله فلا يجوز وجوده، كقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا﴾[ النمل: 60].

وقال قتادة: المعنى: ما كان له ذلك في عهد الله.

وقيل: ما كان له ذلك فيما سلف، كما ليس له الآن ذلك بوجه.

ثم استثنى استثناء منقطعا ليس من الأول، وهو الذي يكون فيه **إلَّا** بمعنى لكن...... والتقدير ما كان له أن يقتله البتة، لكن إن قتله خطأ فعليه كذا، [ أي ما قرره الله تعالى من أحكام القصاص ]".(1)

"ووجه آخر: وهو أن تقدر ﴿كَانَ﴾بمعنى استقرّ ووجد، كأنه قال: وما وجد وما تقرر وما ساغ لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ، إذ هو مغلوب فيه أحيانا".(2)

" لقد هوّل الله تعالى أمر قتل المسلم أخاه المسلم، وجعله في حيّز ما لا يكون، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ فجاء بصيغة المبالغة في النفي وهي صيغة الجحود، أي ما وجد لمؤمن أن يقتل مؤمنا في حال من الأحوال إلا في حال الخطأ، أو أن يقتل قتلا من القتل إلا قتل الخطأ، فكان الكلام حصرا وهو حصر ادعائي مرادٌ به المبالغة، كأن صفة الإيمان في القاتل والمقتول تنافي الاجتماع مع القتل في نفس الأمر منافاة الضدين، لقصد الإيذان بأن المؤمن إذا قتل مؤمنا فقد سُلب عنه الإيمان وما هو بمؤمن،...لقصد تفظيع حال قتل المؤمن المؤمنَ قتلا غير خطإ...ويكون الاستثناء حقيقيا من عموم الأحوال، أي ينتفي قتل المؤمن مؤمنا في كل حال إلا في حال عدم القصد، وهذا أحسن ما يبدو في معنى الآية".(3)

(1)- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 7 / 5- 6.

(2)- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 7/7.

(3)- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 5/ 156- 157.

و أشار **القرطبي** إلى أنه لا يفهم من دليل خطابه تعالى جواز قتل الكافرِ المسلمَ، لأن المسلم محرم الدم، وإنما خصه الله تعالى في هذا المقام بالذكر تأكيدا لحنانه وأخوته وشفقته وعقيدته.(1)

وجدير بالذكر هنا، أنّ القرآن الكريم يقرر نفيًا أن يقدم المؤمن على قتل مؤمن، وهذا أمر على قدر كبير من الأهمية؛ إذ لا يمكن للمؤمن- بأي حال من الأحوال - أن يقتل مؤمنا إلا خطأ منه لا عمدا، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ﴾ وإن حدث خطأ، فقد شرع المولى عزوجل للقاتل الكفارات التي يتوب بها الله عليه، وتطيب بها النفوس، لقوله تعالى: ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ﴾ [ النساء: 92].

أمّا القتل العمد فهو المفسدة الكبرى، ينتفي معها الإيمان الحق، كما يكون سببا لامتداد المفاسد التي لا تنتهي تبعاتها؛ كالضغائن والأحقاد، وملاحقة الثأر وغيرها، ولعظم الذنب، كان العقاب شديدا، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [ النساء: 93].

إن أخلاق المؤمن فضلا عن عقيدته، تمنعه من ارتكاب صغائر الأمور، ناهيك عن الكبائر التي قد تخرجه من دائرة الإسلام والمسلمين، وتوقفه عند حدود الله ومحارمه، وصراحة لو لم يرد في بيان هذا الإفساد إلا آية القتل العمد لكفت موعظة وزجرا، ففيها من الوعيد الشديد ما يزلزل النفوس، وتنفطر له الأفئدة، وعيدا بجزاء لا يقتصر على الخلود في نار جهنم، بل يتجاوز إلى غضب الله تعالى، والطرد من رحمته، ولم تكتف الآية بهذا بل توعدت المفسد بالقتل زيادة على ما سبق بالعذاب العظيم.(2)

(1)- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 8/7.

(2)- الحكمي، الظلم وأثره، ص: 87

ورغم هذا التشنيع والتقبيح للزجر والحدّ من هذه المفسدة، إلا أنّ انتشارها اليوم داخل المجتمع الواحد، وحدوثها أحيانا داخل العائلة الواحدة، لأمرٌ موجع يشق على المؤمن تحمله، كما أنه بات ظاهرة تدعو للتوقف عندها، وخصّها بالبحث والدراسة؛ دراسة تبحث في الأبعاد النفسية والاجتماعية التي تجعل منتسبين للإسلام يقدمون على فعل شنيع، يدركون أنه من كبائر المفاسد التي ترفضها الطبيعة الإنسانية، وتحرمها التشريعات الإلهية.

## المطلب الثاني: قطع الأرحام.

أجمع علماء الأمة، على أنّ قطع الرحم من الكبائر والمعاصي العظيمة التي تستوجب العذاب الأخروي والبلاء الدنيوي، وهو من المعاصي التي يعجل الله سبحانه العقوبة لمقترفها في الدنيا؛ كما جاء صريحا في كثير من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم. فما المقصود بلفظ الأرحام؟

### أولا: في اللغة.

**الأرحام** جمع الرَّحِم؛ هي منبت الولد ووعاؤه، لقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[آل عمران: 6].

### ثانيا: في الاصطلاح.

**الرحم** اسم لكافة الأقارب من غير فرق بين المحرم وغيره.(1)

وقوله تعالى: ﴿ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ [الكهف: 81]؛ وهي علاقة القرابة وسببها.(2)

كما يقال للأقارب ذوو رحم، وأرحام، وهم كل من يجمع بينك وبينه علاقة نسبٍ، ويطلق في الفرائض على الأقارب من جهة النساء.(3)

---

(1)– القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، وبهامشه متن صحيح الإمام مسلم وشرح الإمام النووي عليه، المطبعة الكبرى، الأميرية ببولاق مصر المحمية، (ط 6، 1305هـ)، 9/ 2.

(2)– الزمخشري، أساس البلاغة، ص: 344.

(3)– الألوسي، روح المعاني، 26/ 70.

وجاء عند **القرطبي** أن الرحم دين الإسلام والإيمان [1]، وهي التي عناها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ [الحجرات: 10].

هذا الاختلاف والتنوع في مفهوم الرحم، يخلف اختلافا في حدود الأرحام التي تجب صلتها، ومن ثمّ تجنب الوقوع في مفسدة قطع الرحم.

## ثالثا: حدود الرحم التي توقع في الإفساد.

اختلف المفسرون في حدِّ الرحم التي تجب صلتها، و التي يحرم قطعها؛ فهناك من قال أنها كل رحم مَحْرَم؛ بحيث لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى حرمت مناكحتهما، ويرى النووي أن الرحم عام في كل رحم من ذوي الأرحام في الميراث، يستوي المحرم وغيره، قياسا على قوله صلى الله عليه وسلم: { إِنَّ أَبَرَّ البِرّ صِلَةُ الولَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ}[2]، مع أنه لا محرمية.[3]

وجاء في **فتح الباري** عند شرح باب: فضل صلة الرحم؛ أن الرحم يطلق على الأقارب وهم من بينه وبين الآخر نسب، سواء كان يرثه أم لا، وسواء كان ذا محرم أو لا، وهناك من قال أن الرحم تطلق على المحارم فقط، وهذا غير راجح لأنه يستلزم خروج أولاد الأعمام وأولاد الأخوال وهم من ذوي الأرحام.[4]

و في تفسير **القرطبي** تفصيل مهم لإطلاق الرحم؛ فهي عنده على وجهين[5]:

**رحم عامة**؛ وهي رابطة أخوة الإيمان، التي يكون وصلها بالتناصح والنصرة، وأداء الحقوق التي نصّت عليها النصوص التشريعية.

---

(1)- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 19/ 277.

(2)- أخرجه مسلم في صحيحه، صحيح مسلم، كتاب البر و الصلة والآداب، باب صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما، 1979/4، برقم(2552).

(3)- شرح النووي، صحيح مسلم، المطبعة المصرية بالأزهر، (ط 1، 1347هـ/ 1929م )، 16/ 112.

(4)- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار طيبة، (د ط، دت)، 13/ 518

(5)- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 19/ 277.

وأما **الرحم الخاصة** فهي رحم القرابة التي تربط بين المرء وأقاربه، من جهة أبيه وأمه، فتجب لهم حقوق الرحم العامة وزيادة؛ كالنفقة، وتفقد أحوالهم، والإحسان وترك التغافل عن تعاهدهم في أوقات ضروراتهم. فإذا تزاحمت الحقوق بدئ بالأقرب فالأقرب.

وبناءً على هذا، فإن قطيعة الرحم العامة أو الخاصة مطية وسبب مباشر، للوقوع في مفاسد شتى؛ كسوء الظن، والغيبة، والتباغض، وغياب التناصح، والتعاون والتآزر، الأمر الذي يؤدي إلى الوهن والضعف الذي يصيب الجماعة المسلمة؛ اجتماعيا واقتصاديا.

## رابعا: التحذير من قطع الأرحام.

إذا كان قطع الأرحام من مفسدات العلاقات الأسرية الخاصة، و العلاقات الاجتماعية عموما، فالإسلام جاء لتوطيد كل العلاقات وتمتينها بشتى الطرق والوسائل التي من شأنها التقريب والتأليف بين القلوب كالتزاور وتقديم العون والهدية...

ومن أجل هذا، أجمع علماء الأمة على أنّ صلة الرحم الخاصّة على وجه التخصيص واجبة في الجملة، وأنّ قطيعتها معصية وكبيرة من الكبائر.[1]

ينتهج الإسلام في كثير من القضايا الهامة أسلوب الترغيب والترهيب، تكريما للعقل البشري؛ لأنه متى كانت الفطرة سليمة انجذبت العقول والقلوب إلى ما يصلح أحوالها وشؤونها جميعا، وهنا يرغب المصطفى صلى الله عليه وسلم في صلة الأرحام؛ مبيّنا الآثار المرغوبة التي تلحق وتتحقق لواصل الرحم، من خلال الأحاديث النبوية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: { مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ }.[2]

وفي حديث آخر خرجه الإمام البخاري في باب تحت عنوان: من وصل وصله الله، يحذر ويرهّب المصطفى فيه من قطيعة الرحم؛ فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { إنّ الله خَلَقَ الخلْقَ، حتىّ إذا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قالت الرَّحِمُ : هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قال: نعم، أمَا تَرْضَيْنَ أنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قالت: بلى يا ربّ، قال:

---

[1]- القسطلاني، إرشاد الساري، 9/ 2.

[2]- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، 89/4، برقم (5985).

فهو لك.قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فاقرؤوا إن شئتم ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾} ".[1]

وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم :

{ إِنَّ الرَّحِمَ شِجْنَةٌ مِنَ الرَّحمَنِ، فَقَالَ اللهُ: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ ومَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ }[2]، يبيّن الحديث قدر الرحم، الذي اكتسبته من اشتقاق اسمها من أحد أسماء الله عزوجل، حتى كان الواصل لها موصولا بالله تعالى، والقاطع لها مقطوعا مبعدا من فضله ورحمته سبحانه، وهذا يقود للقول بحرص هذا الدين على تمتين وتعميق العلاقات والروابط المجتمعية، بدءا من الروابط الأسرية.

ومما سبق يمكن القول: إذا كانت العلاقات الإنسانية والدينية توجب التآخي والتآزر ونصرة المظلوم...فإن صلة ذوي الأرحام قد اجتمعت فيها كل موجبات الوصال والتواصل ؛ دينًا ونسبا وسببا، و كان إهمالها، والتغافل عن وصالها وبذل الخيرات لأجلها، وأداء الحقوق المنوطة بها، مما يؤدي إلى الفرقة المذمومة وإلى قطع الوشائج التي تربط العلاقات العائلية ومن ثم كان قطعها كبيرة من الكبائر.

والجدير بالذكر، أنّ قطع الأرحام لا يكون بعدم وصلها والتواصل معها فحسب، ولكن يكون بإيذائها بالقول أو الفعل، بل وحتى بالإحجام عن تقديم المساعدة لذي الحاجة، والابتعاد عنه بلا عذرٍ مبرر، فلا عيادة وقت مرض، ولا تعزية في مصيبة ألمت، وغير هذا ممّا يقطّع الوشائج والروابط العائلية التي يقويها التقارب والتواصل، ويقطعها التباعد، فتتعمق وتتسع الهوة بين الأقارب، وهذا هو المنهي عنه، كما أن قطع الرحم يعتبر بإجماع العلماء واتفاقهم من الإفساد في الأرض، الذي لعن فاعله، وطرد من رحمة الله، وهو من الكبائر التي توجب العذاب الأخروي والبلاء الدنيوي، كما دلت عليه الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة.

---

[1]– أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من وصل وصله، 4/ 89، برقم (5987).

[2]– أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من وصل وصله، 4/ 89، برقم(5988).وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال: { الرحم شجنة، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته}، برقم (5989).

قال الله تعالى: ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣ ﴾[محمد: 22 – 23].

ذهب المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿إِن تَوَلَّيۡتُمۡ ﴾إلى تفسيرين[1]:

**الأول:** أن معنى إن توليتم من الولاية؛ وهي تولي أمور الناس تآمرتم عليهم، و أفسدتم في الأرض بالظلم، واقتراف المعاصي وقطع الأرحام.

**الثاني:** من التولي والإعراض عن الإسلام، وعن الطاعة، وعن كتاب الله والرجوع إلى الجاهلية وبهذا تفسدون في الأرض وتقطعون أرحامكم.

ولعلّ الإعراض والتولي عن منهج الله، هو الباعث الأول على الإفساد في الأرض، وتقطيع الأرحام؛ لأنّ " الإعراض عن دين الله رأس كل شر وفساد، فحقه أن يجعل عمدة في التوبيخ لا وسيلة للتوبيخ بما دونه من المفاسد".[2]

ومن هذا المعنى يستشف أن قطع الرحم اقترن في هذه الآية بالإفساد في الأرض، ليتبين أن قطيعة الرحم إفساد في الأرض لا تصدر إلا ممن ابتعد ونأى عن منهج الله.

أمّا تكملة الآية، ففيها زجر عظيم، ووعيد شديد لقاطع الرحم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣ ﴾[محمد: 23]؛ أي طردهم وأبعدهم من رحمته عز وجل وأصمهم عن استماع الحق، لأنهم سمعوا الحق ولم يعملوا به، وأعمى أبصارهم لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات في الأنفس والآفاق.[3]

وجاء في **مفاتيح الغيب** أن في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣ ﴾[محمد: 23]، " إشارة لمن سبق ذكرهم من المنافقين، أبعدهم الله عنه أو عن الخير، فأصمهم فلا يسمعون الكلام المستبين، وأعماهم فلا يتبعون الصراط المستقيم، وفيه ترتيب حسن، وذلك من حيث إنهم استمعوا الكلام العلمي ولم يفهموه، فهم بالنسبة إليه صمّ أصمهم الله، وعند الأمر بالعمل تركوه، وعللوا بكونه إفسادا وقطعا للرحم وهم

[1]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 19/ 272، البغوي، معالم التنزيل، 287/7، الألوسي، روح المعاني، 26/ 69.

[2]- الألوسي، روح المعاني، 26/ 69.

[3]- المصدر السابق، الصفحة نفسها، 26/ 69.

كانوا يتعاطونه عند النهي عنه، فلم يروا حالهم عليه وتركوا اتباع النبي الذي يأمرهم بالإصلاح وصلة الأرحام، ولو دعاهم من يأمر بالإفساد وقطيعة الرحم لاتبعوه فهم عمي أعماهم الله".[1]

هذا هو شأن المنافقين مع كل ما جاء في تعاليم الإسلام، ففساد عقيدتهم بالنفاق جعلهم يفسدون في الأرض بشتى صور الإفساد، ومنها قطع الرحم بمختلف الوسائل، ويكفي أن يكون الفعل مأمورا فعله أو تركه في هذا الدين، حتى يروا نقيضه أنفع وأصلح.

## المطلب الثالث: تعاطي السِّحر.

السحر من المعارف القديمة التي ظهرت عند الأمم القديمة التي عاشت قبل الميلاد[2]، واستمر ظهورها في الأمم اللاحقة إلى يومنا الحالي، مما أدى إلى انتشار السحرة والمشعوذين في أيامنا هذه بين المسلمين، وصولتهم وجولتهم في إفساد عقيدة المجتمع المسلم، بإيهامهم بقدرتهم على دفع المضار وجلب المنافع، ثم توظيف الطقوس والتعاليم السحرية الخاصة بهم في إلحاق الضرّ بالغير.

وفيما يلي بيان لمفهوم هذا اللفظ.

### أولا: في اللغــــة.

السحر بكسر السين وسكون الحاء هو عمل يتقرب فيه إلى الشيطان، وبمعونة منه، ومن السحر الأُخذة التي تأخذ العين حتى يُظن أن الأمر كما يرى، وليس الأصل على ما يرى، وكل ما لطف مأخذه ودقَّ فهو سحر، والجمع أسحار وسُحُورٌ.[3]

---

[1]– الرازي، أبو عبد الله بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت،(ط1420،3هـ)،55/28.

[2]– السحر من المعارف القديمة التي ظهرت في منبع المدنية الأولى، أي ببلاد المشرق، فإنه ظهر في بلاد الكلدان والبابليين وفي مصر في عصر واحد، وذلك في القرن الأربعين قبل المسيح مما يدل على أنها كانت في تينك الأمتين من تعاليم قوم نشأوا قبلهما، فقد وجدت آثار مصرية سحرية في عصر العائلة الخامسة من الفراعنة والعائلة السادسة (3951– 3703) ق.م، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 1/ 631.

[3]– ابن منظور، لسان العرب، 3/ 24/ 1951

ومن معاني السحر أيضا، تقول سحر فلانا بالشيء خدعه، وسحر الشيء أفسده، وصرفه واستماله، وسلب لبّه.[1]

فلفظ السحر لغة أفاد معنى الخديعة والتحايل، واتخاذها وسائل للوصول إلى أغراض فاسدة، لذلك جاء من معانيه الإفساد.

## ثانيا: في الاصطلاح.

يعرّف السحر بأنه كل أمر يخفى سببه، ويُتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع، ومتى أطلق ولم يقيد أفاد ذمّ فاعله. قال تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: 116]، يعني موّهوا عليهم حتى ظنوا أن حبالهم وعصيهم تسعى، وقال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾[طه: 66]، وقد يستعمل مقيدا فيما يمدح ويحمد.[2]

وقال **ابن عاشور** في التحرير والتنوير: "السحر الشعوذة وهي تمويه الحيل بإخفائها تحت حركات وأحوال يظن الرائي أنها هي المؤثرة، مع أن المؤثر خفي، قال الله تعالى: ﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾[ الحجر: 14 – 15]، ولذلك أطلق السحر على الخديعة".[3]

ثم أطلق على ما علم ظاهره وخفي سببه، وهو التمويه، والتلبيس، وتخييل غير الواقع واقعا.[4]

يقول صاحب **أضواء البيان:** " اعلم أن السحر في الاصطلاح لا يمكن حدّه بحد جامع مانع، لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعا لها مانعا لغيرها. ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حدّه اختلافا متباينا".[5]

---

[1]- المعجم الوسيط، ص: 419.

[2]- فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، 3/ 223.

[3]- ابن عاشور التحرير والتنوير، 630/1.

[4]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5]- الشنقيطي، محمد الأمين بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،(دط، 1415هـ/1995م)، 4/ 41.

يشير قول الشيخ **الشنقيطي** إلى تعدد صور السحر، للحدّ الذي لا يمكّن من ضبط مفهوم جامع للفظ السحر، إلا أنّ المفاهيم المذكورة تتفق على إفادة السحر لكل معاني الخداع والتمويه والشعوذة، لإيهام المسحور والتسلط على جوارحه وعقله، بغرض إلحاق الضرر به أو بغيره. هذا إذا أطلق، أما إذا قيّد فقد أفاد معنى الإشادة والمدح.

فالمفهومان اللغوي والاصطلاحي للفظ السحر يجتمعان عند التمويه والتخييل، الأمر الذي يجعل المسحور يرى ما يريده الساحر، وهو خلاف الواقع، فكان من معانيه الخديعة، والأخذ بلب المسحور واستمالته، وإفساد عقيدته، وإلحاق الضر والأذى بالغير.

## ثالثا: السحر فساد عقدي، وإفساد اجتماعي.

يعدّ السحر من أشد المفاسد خطرا؛ فهو فساد وإفساد عقدي اجتماعي، التقت فيه معاني الإشراك بالله، وإلحاق الضرر بالغير؛ في النفس أو العقل أو المال وغيره.

فجاء وصف السحر بالفساد صريحا في قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [يونس: 80 – 81].

" وإنما كان السحرة مفسدين لأن قصدهم تضليل عقول الناس ليكونوا مسخرين لهم ولا يهتدوا إلى إصلاح أنفسهم سبيلا. أما السحرة الذين خاطبهم موسى – عليه السلام – فإفسادهم أظهر، لأنهم يحاولون إبطال دعوة الحق، والدين القويم، وترويج الشرك والضلالات".[1]

فكل أعمالهم كانت إفسادا في الأرض، ولولا ذلك لما بعث الله سبحانه إليهم رسولا مؤيدا بمعجزة من صنف ما برعوا فيه، فقد برعوا في السحر وإيهام المسحورين بغير الواقع، فأرسل إليهم الحق سبحانه معجزة حقيقية تلتهم ما صنعوا، فإن كانوا قد برعوا في التخييل فالله سبحانه خلق الأكوان بكلمة كُن، وهو سبحانه يخلق حقائق لا تخييلات.[2]

(1)– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 11/ 257.

(2)– الشعراوي، تفسير الشعراوي، 6146/10

ويضيف صاحب **التحرير والتنوير**: " فجملة﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ معترضة، وهي تعليل لمضمون جملة﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ ﴾ وتذييل للكلام بما فيه نفي الإصلاح. وتعريف المفسدين بلام الجنس من التعميم في جنس الإصلاح المنفي وجنس المفسدين ليعلم أن سحرهم من قبيل عمل المفسدين، وإضافة (عمل) إلى (المفسدين) يؤذن بأنه عمل فاسد، لأنه فعل من شأنهم الإفساد فيكون نسجا على منوالهم وسيرة على معتادهم، والمراد بإصلاح عمل المفسدين الذي نفاه أنه لا يؤيده، وليس المراد نفي تصييره صالحا، لأن ماهية الإفساد لا تقبل أن تصير صلاحا، حتى ينفى تصييرها كذلك عن الله، وإنما إصلاحها هو إعطاؤها الصلاح، فإذا نفى الله إصلاحها فذلك بتركها وشأنها، ومن شأن الفساد أن يتضاءل مع الزمان حتى يضمحل".[1]

ويعتبر السحر من الإفساد الاجتماعي، لأنه يستعمل وسيلة للإفساد في الأرض، وقد أنزل الله تعالى في شأنه ما يدل على أنه ضرر محض، قال تعالى: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢ ﴾ [البقرة: 102].

فأخبر سبحانه أنه ضرر محض لا نفع فيه البتة، كما وصفه سبحانه أنه من الكيد والخديعة التي هي من وسائل السحرة لتنفيذ مآربهم في الإفساد، فينفي عنهم المولى تعالى الفلاح مهما فعلوا: ﴿ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ٦٩ ﴾ [طه: 69].

وهذا يعمُّ –كما جاء في التفسير– نفي جميع ضروب الفلاح عن الساحر، وأكّد ذلك بالتعميم في الأمكنة بقوله﴿ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴾ وفي ذلك دليل على كفره. لأن الفلاح لا ينفى بالكلية نفياً عاماً إلا عمن لا خير فيه وهو الكافر .ويدل على هذا أمران[2]:

**الأول:** الآيات التي جاءت لتدلّ على أن الساحر كافر، مثالها قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ ﴾[البقرة: 102]، فقوله

(1)– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 11/ 256.

(2)– الشنقيطي، أضواء البيان، 4/ 39.

تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ يدلُّ بوضوح على أنه لو كان ساحرا لكان كافرا، ليؤكد من طريق آخر في الآية: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ فالشياطين بعلمهم السحر، وتعليمه لغيرهم صاروا في زمرة الكافرين، وفي الوقت نفسه يصرح القرآن الكريم بكفر معلم السحر مطلقا.

كما في قوله تعالى أيضا عن هاروت وماروت مقررا: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: 102]، لأن السحر طريق إلى الكفر لا محالة.

ولأن الساحر بسحره، لا يسعى إلا للإضرار والإفساد، لقوله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ﴾ [البقرة: 102]؛ أي نصيب، ونفي النصيب في الآخرة بالكلية لا يكون إلا للكافر عياذًا بالله تعالى.

هذه الآيات أدلة واضحة على أن من السحر ما هو كفر بواح، وذلك مما لاشك فيه.

**الثاني:** أنه عرف باستقراء القرآن، أنّ الغالب فيه أن لفظة **لا يفلح** يراد بها الكافر، كقوله تعالى في سورة يونس: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾[يونس: 75 – 77].

وقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [يونس: 17]، وقوله في سورة الأنعام: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنعام: 21 ]، إلى غير ذلك من الآيات.

إنّ متعاطي السحر لا يعمل على إلحاق الضرر والشرور بالغير فقط، ولكنه أفسد عقيدته عندما اعتقد بقدرته على تغيير أقدار الغير على النحو الذي يريد؛ لأنه بذلك وضع نفسه ندا وشريكا لله في صفاته، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وأفسد عقيدة غيره عندما أوهمه بقدرته على تغيير أقداره على النحو الذي يرجوه، وهذا من أعظم المفاسد، وهذا ينبّه لفكرة مهمة؛ وهي أنّ فاسد العقيدة لا يتورع في نشر فساده وشروره.

وعلى هذا الأساس يمكن القول أن معلم السحر ومتعلمه كافر، "وهو قول جمهور العلماء منهم مالك وأبو حنيفة وأصحاب أحمد وغيرهم، وعن أحمد أيضا ما يقتضي عدم كفره. وعن الشافعي أنه إذا تعلم السحر قيل له: صف لنا سحرك؟ فإن وصف ما يستوجب الكفر مثل سحر أهل بابل من التقرب إلى الكواكب، وأنها تفعل ما يطلب منها فهو كافر وإن كان لا يوجب الكفر، و اعتقد إباحته فهو كافر".[1]

وأضاف صاحب **الأساس** عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾" أن هذه تبرئة لسليمان من الكفر والسحر، وحكم على الشياطين بالكفر باستعمال السحر وتعليمه، لقوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾أي يعلم الشياطين الناس السحر، ومن ثم صدر الحكم عليهم بالكفر بهذا السبب مع أنهم كفار بالأصل. يفهم من ذلك أن السحر الذي هو سحر يلازمه الكفر".[2]

وإذا كان الكفر بالله ملازما للسحر، فهو أيضا مطية لنشر مختلف المفاسد الاجتماعية؛ كالتفريق بين الأزواج، وإلحاق الضر بالقلوب والأبدان، فيمرض ويسبب الآلام ويقتل، و يلحق الضرر بالأموال، كتسهيل سرقتها، وخسارتها وغير ذلك.

## المطلب الرابع: الفواحش.

### أولا: في اللغة.

الفواحش جمع فاحشة، وهي كلمة تدل على قبح الشيء وشناعته قولا أو فعلا، من ذلك الفُحش والفحشاء والفاحشة.

وتقول: أفحش الرجل: قال الفحش، والمتفحش الذي يتكلف سبّ الناس ويتعمده، والذي يأتي الفاحشة المنهي عنها، وتفحش عليهم بلسانه؛ إذا بذا، والفاحش السيء الخلق.

فالفاحش ذو الفحش والخنا من قول أو فعل، والفاحش كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي.

---

[1]- الشنقيطي، أضواء البيان، 4/ 50.

[2]- سعيد حوى، الأساس في التفسير، 1 / 198.

و كثيرا ما ترد الفاحشة بمعنى الزنا، قال تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ ﴾ [النساء: 19] قيل الفاحشة المبينة هي الزنا، وقيل خروج المرأة من بيتها بغير إذن زوجها، وقال الشافعي: إذاية الأحماء باللسان. وكل شيء جاوز الحد فهو فاحش، والفحش الزيادة والكثرة.(1)

ومنه، الفاحش والمتفحش؛ و هو الذي يؤذي الناس بلسانه، والفاحش ماكان قبيحا كالذنوب والمعاصي، والفواحش جمع الفاحشة، وقد سرى إطلاقها على الزّنا.

## ثانيا: في الاصطلاح.

وردت في القرآن الكريم مشتقات الفعل **فحش** في آيات عديدة بلفظ: فاحشة، وفحشاء، والفواحش، منها قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ ﴾ [النساء: 15].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا ٢٢ ﴾ [النساء: 22].

كما ورد لفظ **الفحشاء** في سبع آيات؛ منها قوله تعالى في معرض النهي عن اتباع خطوات الشيطان: ﴿ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩ ﴾ [البقرة: 169].

وفي سورة النور، يقول الحق أيضا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ ﴾ [النور: 21].

أما لفظ **الفواحش**، فقد ورد في أربع آيات من أربع سور من القرآن الكريم وهي قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١ ﴾ [الأنعام: 151].

(1)– ابن منظور، لسان العرب، باب الفاء،5/ 3355.

﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: 33].

﴿ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الشورى: 37].

﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ ﴾ [النجم: 32].

ذهب جمهور المفسرين إلى تفسير **الفاحشة** استنادا إلى المعنى اللغوي، مع تخصيصه إذا اقترن بقرائن تستدعي ذلك.

فقال صاحب **أحكام القرآن** في مفهومه: الفاحشة عبارة عن كل فعل تعظم كراهيته في النفوس، ويقبح ذكره في الألسنة، حتى يبلغ الغاية في جنسه، وذلك مخصوص بشهوة الفرج إذا اقتضت على الوجه الممنوع شرعا أو المجتنب عادة، وذلك يكون في الزنا إجماعا، وفي اللواط باختلاف.(1)

وأيّد **صاحب الأحكام** القول بأن الفاحشة تطلق على اللواط أيضا(2)، مستدلا بقوله تعالى في حق قوم لوط: ﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الأعراف: 80 – 81].

ويراد بها الزنا(3)، في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ ﴾ [النساء: 15].

وفي السورة نفسها، وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ ﴾ [النساء: 19].

---

(1)– ابن العربي، أحكام القرآن، 1/ 458

(2)– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3)– الألوسي، شهاب الدين محمد بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(ط1، 1415هـ)،443/2.

قال قتادة والضحاك وابن عباس المقصود بالفاحشة في الآية النشوز وسوء الخلق.[1]

إلا أنه عند الجمع بين الآيتين السابقتين من سورتي الأعراف والنساء، يلاحظ أنّ لفظ الفاحشة مسبوق بالفعل "**يأتي**"، ليدلّ على مباشرة فعل اللواط أو فعل الزنا، وليكون سياق الآيات دالا على المعنى المقصود من لفظ الفاحشة. والله تعالى أعلم.

وعليه يمكن القول أنّه عند اقتران لفظ الفاحشة بلفظ "**يأتي**" يكون المراد من الفاحشة فعل اللواط أو الزنا، لذلك عندما كان النهي عن اقترابها، جاء النهي مصرحا بلفظ الزنا، كما هو في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء: 32]. والله تعالى أعلم بمراد قوله.

أمّا لفظ **الفواحش** بصيغة الجمع فقد ورد في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: 33].

وقوله أيضا: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأنعام: 151].

يقول **الطبري** في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾؛ أي لا تقربوا كل الأفعال المحرمة عليكم، الظاهر منها التي هي علانية بينكم لا تناكرون ركوبها، والباطن منها الذي تأتونه سرًّا في خفاء ولا تجاهرون به، فإن كل ذلك حرام، وإنما جاء النهي: لا تقربوا ما ظهر من الفواحش وما بطن، لأنهم كانوا يستقبحون من معاني الزنا بعضا دون بعض، غير أن دليل الظاهر من التنزيل على النهي عن كل فاحشة ظاهرها وباطنها.[2]

---

[1]– ابن العربي، أحكام القرآن، 1/ 467. الألوسي، روح المعاني، 451/2.

[2]– الطبري، جامع البيان، 12/ 218.

وهناك من قصر كلمة **الفواحش** في هذه الآية على الزنا، و اعتبر صيغة الجمع للمبالغة، أو لتعدد من يصدر عنه الفعل، أو بقصد النهي عن الأنواع، ولذا أبدل منها قوله سبحانه: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾؛ أي ما يفعل منها علانية كدأب أراذل القوم، وما يفعل سرّا باتخاذ الأخدان وهو عادة الأشراف.[1]

ولما كان أهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ولا يرون به بأسًا في السرّ، حرم الله الزنا في العلانية والسر.[2] وهو قول ابن عباس[3]رضي الله عنهما.

وعند الضحاك: ما ظهر يقصد بها: الخمر، وما بطن الزنا.[4]

ورأى **الرازي** أنّ الأولى في تفسير لفظ **الفواحش** عدم تخصيصه بنوع معيّن، وإنما حمله على جميع الفواحش والآثام وما استقبح من الأفعال، ظاهرا وباطنا؛ لأن الإنسان إذا احترز وتجنب ارتكاب المعصية ظاهرا ولم يتورع عن ارتكابها باطنا أو خفية، اتقاء مذمة الناس له، كان ذلك أدعى لوقوعه في الرياء والنفاق.[5]

وهو ما ذهب إليه **الشوكاني** في تفسيره[6]، وعند **القشيري** أيضا ارتكاب الفواحش يشمل كل أقسام الآثام.[7]

كما جاء في تفسير كلمة الفواحش بأنها الذنوب العظام المستفحشة المتعلقة بالظاهر، وأمّا الخفي منها فهو ما تعلق بالقلب، وجاء النهي عن قربانها لأنه أبلغ من النهي عن مجرد فعلها، فهو يتناول النهي عن مقدماتها ووسائلها الموصلة إليها.[8]

---

[1]- الألوسي، روح المعاني، 297/4.

[2]- البغوي، معالم التنزيل، 3/ 203.

[3]- الرازي، مفاتيح الغيب، 178/13.

[4]- البغوي، معالم التنزيل، 203/3

[5]- الرازي، مفاتيح الغيب، 178/13.

[6]- الشوكاني، محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم، دمشق، بيروت، (ط1،1414هـ) ،2/ 201. الألوسي، روح المعاني، 352/4.

[7]- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، تفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،(ط3، دت)،511/1.

[8]- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، (ط 1، 1420هـ/ 2000م )، ص: 279.

وهنا يمكن إجمال هذه التأويلات في النقاط التالية[1]:

**أحدها:** أنّ ذلك عام في جميع الفواحش، سرها وعلانيتها، قاله قتادة.

**الثاني:** أنه خاص في الزنا، قاله ابن عباس والحسن والسدي.

**الثالث:** ما ظهر منها نكاح المحرمات، وما بطن الزنا قاله مجاهد وابن جبير.

و**الرابع:** أنّ ما ظهر منها الخمر وما بطن منها الزنا، قاله الضحاك.

وأضاف صاحب التفسير تأويلا **خامسا** وهو أن ما ظهر منها أفعال الجوارح، وما بطن منها اعتقاد القلوب.

والحصيلة في معنى لفظ الفواحش؛ أنه يستغرق كل الذنوب والآثام، أو المعاصي التي جاء النهي عنها نهيا جازما صريحا.

كما أن الاستعمالات القرآنية للفظ: **فاحشة** و**الفواحش** تدلّ في مجملها على الآثام والمعاصي، والسلوكات المستقبحة، التي تمجّها الطبائع السليمة، وجاء النهي عن الاقتراب منها؛ سواء كانت ظاهرة ومعلنة، أو خفية غير ظاهرة للناس، مع اختصاص لفظ فاحشة بالزنا واللواط.

## ثالثا: الصلاة والنهي عن الفحشاء.

جاء لفظ **الفحشاء** في عدة مواضع من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: 45]، حيث أطلقت الكلمة لتستغرق أيضا كل المعاصي والآثام التي يقع فيها المسلم، وقد تخصص بسبب ورودٍ لتفيد معنى فاحشة الزنا، كما في قوله تعالى في حقّ سيدنا يوسف عليه السّلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: 24]، أو تقترن بأفعال الشيطان، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [ البقرة: 268]، وقوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النور : 21].

---

[1]– الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تفسيرالماوردي النكت والعيون، تحقيق: السيّد ابن عبدالمقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط، دت)، 186/2.

يقول صاحب **التحرير والتنوير**: الفحشاء اسم جامع لكل عمل أو قول تستفظعه النفوس لفساده، أو لإثم من الآثام التي تفسد نفس المرء؛ من اعتقاد باطل أو عمل مفسد للخلق والتي تضر بأفراد الناس؛ بحيث تلقي عليهم الفساد من قتل أو سرقة أو قذف أو غصب مال، أو تضر بحال المجتمع وتدخل عليه الاضطراب؛ من حرابة أو زنا أو تقامر أو شرب خمر، فدخل في الفحشاء كل ما يوجب اختلال المناسب الضروري. وقد سماها الله عز وجل الفواحش.(1)

ولهذا كان قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ بمثابة وقاية وعلاج لكل هذه المفاسد.

وجاء التأكيد على الصلاة وعلى فعاليتها في الكفّ عن الوقوع في المعصية والمنكر، ليكون المعنى موجها للمسلمين الذين شهدوا بأن لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله، ولكنهم غفلوا عن ركن الصلاة كركن من أركان هذا الدين، الذي لا يختلف ولا ينفصل عن ركن الشهادتين.

وكأنّ لفظ الفحشاء هنا أفاد المعنى العام للفظ المنكر، ليكون خاصا بمجتمع المسلمين؛ أي الذين يدينون بالإسلام، ومع ذلك يقعون في المنكرات والفواحش.

والفكرة العامة للآية: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: 45]، هي أنّ الفائدة من الصلاة هي نهي القائم بها عن ارتكاب الفحشاء والمنكر، لتفيد في المقابل أن تركها والتغافل عن أدائها، مدخل لكثير من المفاسد.

ولأنها إحدى قواعد وأعمدة الدين، أكد المولى عزّ وجلّ على وجوب المحافظة عليها؛ في الصحة والمرض، في الحضر والسفر، والأمن والخوف، والسلم والحرب، ونذر بالويل والهلاك للساهين عنها.وعلى هذا فالصلاة ليست مجرد أقوال وأفعال تؤديها الجوارح، ولكنها عبادة تذكر الإنسان بربه، يستشعر في كل وقت وحين قربه من الله عز وجل، كما يستشعر عظمة الخالق في نفسه فيستحي أن يقدم على قرب الفحشاء والمنكر ناهيك عن إتيانه واقترافه.

(1)–ابن عاشور، التحرير والتنوير، 14/ 257.

إن الصلاة تمدُّ المؤمن بقوة روحية نفسية تعينه على مواجهة متاعب الحياة ومصائب الدنيا، ولهذا قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾[البقرة: 153]، كما أنّ في هذه القوة مددا لضمير المؤمن يقويه على فعل الخير، وترك الشر، ومجانبة الفحشاء والمنكر، لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: 45]، ومتى صارت الصلاة حركات بلا حضور عقل، ولا خشوع قلب؛ ضعفت الأخلاق، وانحرفت السلوكات وخرجت عن حدود الاستقامة.(1)

كما أنّ الصلاة لا تجعل الإنسان مسلوب الإرادة مجبرا على ترك الفحشاء والمنكر، وإلّا لما استحقّ الثواب، بل تهيئ في نفسه القوة التي تنهاه وتنهره عن الفحشاء والمنكر وإن حدّثته نفسه بها، فتيسرله ترك الفحشاء والمنكر.(2)

جاء في **المحرر الوجيز** أنّ: " المصلّي إذا كان على الواجب من الخشوع والإخبات وتذكر الله تعالى وتوهم الوقوف بين يدي العظمة، وأنّ قلبه وإخلاصه مطلع عليه مرقوب، صلحت لذلك نفسه وتذللت، وخامرها ارتقاب الله تعالى، فاطرد ذلك في أقواله وأعماله وانتهى عن الفحشاء والمنكر، ولم يكد يفتر من ذلك حتى تطله صلاة أخرى يرجع بها إلى أفضل حاله".(3)

لقد خصّ الله الصلاة دون غيرها من أركان الإسلام، بعد أن هيّأ لها كل سبل التسهيل والتيسير في أدائها، وجعلها ملازمة للعبد خلال يومه، لتمدّه بالقوة و بالدوافع النفسية الصالحة لإبعاده عن الفواحش والمنكرات، وهي دوافع تقع تحت اختيار الإنسان وإرادته متى استشعر حين أدائها أنه يقف بين يدي ربه خالقه ومالك أمره.

(1)– يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، دار الشهاب للطباعة والنشر، الجزائر، باتنة، (ط 2، د ت)، ص: 219–221

(2)– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 20/ 258.

(3)–ابن عطية، المحرر الوجيز، 4/ 319.

## المطلب الخامس: الكِبْر والتّكبُّر.

وهو أول الصفات الأخلاقية الذميمة، وأول رذيلة تقرأ عنها في تاريخ الأنبياء وبداية خلق الإنسان، وكما يعتقد علماء الأخلاق أنها أمّ المفاسد والرذائل الأخلاقية، وأصل جميع أنواع الشقاء الإنساني.

وقصة التكبّر والاستكبار وردت في قصة إبليس، عندما خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام، وأمر الملائكة وكذلك إبليس بالسجود له، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة: 34 ].

لم يسجد إبليس لآدم وعصى أمر ربه استكبارا، فكان الكبر والاستكبار أول معصية يعصي بها إبليس ربّ العزة؛ حسدا لآدم وذريته، وتكبرا عليه، فكانت هذه الحادثة صورة مثيرة من صور الإفساد في الأرض، كما يمكن عدها سببا أساسا لتفشي الفساد والإفساد في الأرض، وقصة مليئة بالعبر لجميع الأفراد والمجتمعات البشرية. فما معنى الكبر والتكبر والاستكبار.؟

### أولا: في اللغة.

الكِبْر: الرفعة في الشرف، الكبرياء: المُلك، في قوله تعالى: ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: 78].

والكبر بالكسر والكبرياء العظمة والتجبر، والتكبر والاستكبار التعظم، وفي قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأعراف: 146].

ومعنى يتكبرون: أنهم يرون ذواتهم أفضل الخلق، وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم؛ وهي صفة لا تكون إلا لله خاصة، لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يستحق أن

يقال له المتكبر، وليس لأحد أن يتكبر لأن الناس في الحقوق سواء، فليس لأحد ما ليس لغيره.[1]

والاستكبار: الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبرا، والكبر الإثم الكبير.

واستكبار الكفار ألا يقولوا لا إله إلا الله؛ ومنه، قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الصافات: 35][2].

## ثانيا: في الاصطلاح.

لم يختلف التعريف الشرعي للكبر عن تعريفه اللغوي؛ فقد عرفه المصطفى صلوات الله عليه وسلامه تعريفا شافيا كافيا؛ عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم: { الْكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وغَمْطُ النَّاسِ }[3]؛ وبطر الحق أي دفعه وعدم تقبّله، وإنكاره ترفعا واستعلاءً، وغمط الناس احتقارهم وازدراؤهم.

قال **أبو حامد الغزالي**: إنّ الكبر خلق في النفس، وهو الركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه، ولا يتصور أن يكون متكبرا إلا أن يكون مع غيره مقارنا نفسه به، وهو يرى نفسه فوق الغير في صفات الكمال.[4]

وفي **التحرير والتنوير**: " الكبر من الانفعالات النفسية، وهو إدراك الإنسان خواطر تشعره بأنه أعظم من غيره فلا يرضى بمساواته".[5]

ويضيف صاحب **الإحياء** مفرقا بين الكبر والعُجب: أن الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به، وبه ينفصل عن العجب؛ إذ العجب لا يستدعي إلا المعجَب، ولا يكفي أن

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، ص: 3810. الزجاج، معاني القرآن، 2/376.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، ص: 3810.

[3]– أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، 1/ 93.، برقم (91)، ونص الحديث كاملا: عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَان فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ} قال رجل: إنّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال: { إنّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وغَمْطُ النَّاسِ}، ووقع في غير الصحيحين غمص الناس بالصّاد.

[4]– أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (ط 1، 1423هـ/ 2003م )، 3/ 292– 293.

[5]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 24/ 173.

يستعظم المرء نفسه ليكون متكبرا، فإنه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه، أو مثل نفسه فلا يتكبر عليه، ولا يكفي أن يستحقر غيره، فإنه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر، لم يتكبر، ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر، بل أن يرى لنفسه مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره، فعند هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل خلق الكبر، وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في نفسه اعتداد، وعزة وفرح وركون إلى ما اعتقده، وعز في نفسه بسبب ذلك، فتلك العزة والهزة والركون إلى تلك العقيدة هو خلق الكبر.[1]

وعلى هذا " فالمتكبر هو الذي يرى الكل صغيرا بالنسبة لذاته، ولا يرى العظمة والكبرياء إلا لنفسه، فينظر إلى غيره نظر الملوك إلى العبيد."[2]

هذه المعاني تُظهر جليا أن الكبر إعجاب بالنفس، واستعظام لقدرتها وقوتها، أو لتقدمها في أي مجال من المجالات مقارنة بغيرها، ومتى عظم هذا الشعور غاب الاعتراف بصاحب الفضل في هذه القوة والتفوق، ونشأ الكبر والتكبر على الله تعالى، وعلى خلقه، ونشأ عن هذا الشعور الباطني سلوكات توحي باستعظام النفس، ورؤيتها فوق مستوى الخلائق.

يقول الله تعالى على لسان لقمان الحكيم وهو يوصي ابنه: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [لقمان: 18 – 19]، وهذه بلا ريب أمارات وعلامات على المتكبرين المتعالين.

جاء في معالم التنزيل[3]: يقال صعّر وجهه وصاعر إذا مال وأعرض تكبرا، ورجل أصعر مائل العنق.

قال ابن عباس رضي الله عنهما شرحا للآية: لا تتكبر فتحقر الناس، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلّموك.

وقال عكرمة: هو الذي إذا سُلّم عليه لوى عنقه تكبرا.

كما أنّ المشي في خيلاء وتبختر فيه تفاخر وتكبر على الناس.

---

(1)– أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، 292/3– 293.

(2)– النابلسي، محمد راتب النابلسي، موسوعة أسماء الله الحسنى، دار المكتبي للنشر والتوزيع، سورية، دمشق، (ط 5، 1429هـ– / 2008م)، 1 / 191.

(3)– البغوي، معالم التنزيل، 6/ 289.

ما سبق ذكره، كما يبدو هو من التكبر على العباد، وهو النوع الذي تنصرف إليه الأذهان كلما ذكرت هذه اللفظة، في حين نجد العلماء يوردون أنواعا وتقسيمات أخرى للكبر، باعتبار المتكبر عليه.

## ثالثا: أقسام التكبّر.

قسم العلماء خلق التكبر باعتبار المتكبر عليه إلى ثلاثة أقسام هي[1]:

**القسم الأول:** التكبر على الله عز وجل وهو من أفحش صور التكبر التي قد تتسلل إلى نفس الإنسان فتنتفخ فيه نفخة العظمة والاستعلاء؛ ربما بسبب قوة أو مال أو علم لكنه جهل به أو جهل بسببها جميعا فأوردته مورد الهلاك؛ وهذا ما كان من النمرود وفرعون وقارون ومن كان على شاكلتهم، فقد قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الفرقان: 60]

وقال أيضا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: 60]

**القسم الثاني:** التكبر على الرسّل من حيث تعزز النفس، وترفعها على الانقياد لبشر مثل سائر البشر، كما حكى الله عزوجل قولهم: ﴿ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المؤمنون: 47].

وقال أيضا: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الفرقان: 21].

وقال الله تعالى عن فرعون: ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [القصص: 39].

فهذا فرعون استكبر على ربه، واستكبر على نبي الله موسى استكبارا. استحق به عذاب الله تعالى.

[1]- أبوحامد الغزالي، إحياء علوم الدين، 3/294-295.

فقد علا فرعون في الأرض وتجبر وتكبر؛ فأفسد إفسادا وبغى وتجاوز وضعه الحقيقي ومقامه الأصلي، مقام العبودية لله، ولبس ثوب التألّه والتحرر المطلق، وصار عاليا مسيطرا لا خاضعا مذعنا، رغم أنّ حقّ العلوّ والكبرياء في هذا الكون لله رب العالمين وحده، أما فرعون وجنوده فقد نالوا سلطة قليلة جدّا في رقعة ضئيلة من الأرض واعتبروا أنفسهم وحدهم الكبراء والعالين.[1]

هذا نموج للمتكبرين من الأقوام البائدة، أما اليوم فاليهود يمثلون المثل الأعلى في التكبر والاستعلاء على الأمم؛ بادعائهم بأنهم شعب الله المختار والمفضل عن سائر الشعوب، سلبوا واغتصبوا حقوق غيرهم واستنكفوا عن إرجاعها كبرا واستعلاء.

**القسم الثالث:** التكبر على العباد؛ وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره، فتأبى نفسه الانقياد للحق وتدعوه للترفع وازدراء الغير فضلا عن المساواة بهم، ولهذا شرح النبي صلى الله عليه وسلم: { الْكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وغَمْطُ النَّاسِ }[2]. فكان منشأ الكبر هو احتقار الغير وازدراؤه واستصغاره؛ وهذه من دون شك صفة تورد صاحبها مورد الهالكين، وتضعه على طريق إبليس وفرعون وقارون وغيرهم.

ويورد **ابن القيم** في كتابه **الروح:** " وأما الكبر فأثر من آثار العجب والبغي من قلب قد امتلأ بالجهل والظلم، ترحلت منه العبودية ونزل عليه المقت، فنظره إلى الناس شزر ومشيه بينهم تبختر ومعاملته لهم معاملة الاستئثار لا الإيثار ولا الإنصاف ذاهب بنفسه تيها لا يبدأ من لقيه بالسلام وإن ردّ عليه رأى أنه قد بالغ في الإنعام عليه لا ينطلق لهم وجهه، ولا يسعهم خلقه ولا يرى لأحد عليه حقا، ويرى حقوقه على الناس ولا يرى فضلهم عليه ويرى فضله، لا يزداد من الله إلا بعدا، ومن الناس إلا صغارا أو بغضا.[3]

---

[1]– المودودي، أبو الأعلى المودودي، فرعون في القرآن، ترجمة وتعريب محمد إدريس، المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، (دط، د ت)، ص: 129– 137.

[2]– سبق تخريج الحديث، ص: 152.

[3]– ابن القيم، ابن قيم الجوزية، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء، دراسة وتحقيق: بسام علي سلامة العموش، دار ابن تيمية للنشر التوزيع والإعلام، (ط1، 1406هـ/1986م)، ص: 703.

إلا أن صاحب **الفروق اللغوية** يرى أن العجب ليس من الكبر في شيء؛ ذلك أنّ العجب بالشيء هو شدة السرور به، حتى لا يعادله شيء عند صاحبه، وعند القول: هو معجب بفلانة إذا كان شديد السرور بها، وهو معجب بنفسه إذا كان مسرورا بخصالها.[1]

بالنظر في هذا القول يمكن القول أن فرقًا ظاهرا بين أن يعجب المرء بغيره، وأن يعجب بنفسه وبخصالها ومزاياها...؛ فلا ضير أن يعجب الإنسان بغيره إذا كان من أصحاب الأخلاق الحميدة فيتخذه صاحبا، أما الإعجاب بالنفس وبخصالها، والتمادي في هذا الإعجاب قد يجر صاحبه إلى أن يرد موارد المتكبرين المتعالين على الخلائق، بسبب ما أوتي من صفات ومكانات، وعليه يكون العجب بالنفس مطية للتكبر والتعالي المذموم.

وجدير بالذكر، أن التكبر من صفات الله التي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون للعباد، يقول الشيخ النابلسي في موسوعته: " التكبر في الله كمال، وفي العبد نقص، لأن الله خالق الأكوان بيده ملكوت كل شيء، كن فيكون، وإليه يرجع الأمر كله، لا نهاية لعظمته، لا نهاية لكماله، لانهاية لعلمه، لا نهاية لقوته، فإذا تكبر الله سبحانه وتعالى لأنه علم أنه عظيم".[2]

و المتكبر اسم من أسماء الله الحسنى، والكبر والكبرياء صفة من صفاته جلّ شأنه، ولا تليق هذه الصفة إلا له، أي الذي لا يليق التكبر إلا لعظمته، فهو المستحق لذلك وحده، لأنه العزيز الخالق لكل شيء، القاهر لكل الأقوياء[3]، كما جاء في الحديث، عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { العِزُّ إِزَارُهُ والْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ } [4]، فالتكبّر صفة لله تحمل معنى القوة والكمال.

---

[1]– العسكري، أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط، د ت )، ص: 248.

[2]– النابلسي، موسوعة أسماء الله الحسنى، 1/ 191.

[3]– سعود بن عبدالله الحزيمي، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، (ط 1، 2005م)، 1598/3

3– أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر، 2/ 2023، برقم (2620). وأخرجه ابن ماجه في سننه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { يقول الله سبحانه: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، من نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم }، ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه،

ولهذا جاءت في مواضع من القرآن الكريم آيات، تبين أن المتكبرين إنما تكبروا واستكبروا دون أن يكون لهم الحق في ذلك؛ يقول الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [فصلت: 15].

وعن فرعون قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [القصص: 39].

فصرفهم عن آياته، فقال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: 146].

و وجه اقتران تكبرهم بالأرض في قوله تعالى﴿ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ لأن شأنهم في ذلك شأن المفسدين في الأرض؛ " لتفضيح تكبرهم، والتشهير بهم بأن كبرهم مظروف في الأرض أي ليس هو خفيا مقتصرا على أنفسهم، بل هو مبثوث في الأرض، أي مبثوث أثره فهو تكبر شائع في بقاع الأرض".[1]

وأمّا قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ زيادة لتشنيع اتصافهم بالتكبر الذي ليس من حقهم، فجاء نفي الأحقية لصيقا بهذه الصفة في حق العباد؛ إذ التكبر لا يكون بحق في جانب الخلق، وإنما هو وصف لله تعالى بحق، لأنه العظيم على كل موجود.[2]

ومجمل القول، أنّ الكبر صفة إبليسية، إذا استشرى في النفس وتمكن منها، ملك على الإنسان باطنه، وانعكس على ظاهره، وهو من أخطر و أسوأ ما يصيب الإنسان من أمراض القلب؛ فما من خلق من الأخلاق المذمومة إلا وتجد صاحب الكبر متصفا به؛ فهو لا يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه، ولا يقدر على التواضع، ولا يتخلص من الحقد، ولا يتغلب على الغضب والغيظ، ولا يستطيع دفع الحسد عن نفسه، ولا يقبل نصيحة من ناصح، ولا يعامل الناس إلا ازدراءً واحتقارا.

---

سنن ابن ماجه، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، (ط 1، د ت )، برقم (4174)، ص: 694.

[1]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 9/ 104- 105.

[2]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 9/ 105.

قال الله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأعراف: 146].

والصّرف هو المنع والصّد، والآيات هي العلامات المنصوبة الدّالة على وحدانية الله تعالى.[1]

إن هؤلاء المتكبرين في الأرض بغير الحق، استكبروا عن الإيمان بالله ورسوله، والإذعان لأمره ونهيه، وهم لله عبيد يحيطهم بنعمته، ويبسط عليهم رزقه بكرة وعشيا، ومع هذا لا يرون حجة لله على وحدانيته وربوبيته، ولا كل دلالة على أنه لا تنبغي العبادة إلا له خالصة دون غيره، ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾؛ فهؤلاء المستكبرون إن رأوا طريق الهدى والسداد، الذي إن سلكوه نجوا من الهلكة والعطب، وصاروا إلى نعيم الأبد، لا يسلكوه ولا يتخذوه لأنفسهم طريقا، جهلا منهم وحيرة وإن يروا طريق الهلاك الذي إن سلكوه ضلوا وهلكوا ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ ويجعلوه لأنفسهم طريقا، لصرف الله إياهم عن آياته، وطبعه على قلوبهم، فهم لا يفلحون ولا ينجحون.[2]

ففي هذه الآيات دلالة على أنّ الصّرف عن الآيات الإلهية عقوبةٌ للمتكبرين على تكبرهم، وتكذيبهم، وغفلتهم عن النظر في الآيات، والوقوف عند الحجج.[3]

وبسبب استكبارهم أيضا طبع الله على قلوبهم؛ فقال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [غافر: 35].

والطَّبع في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾الختم ؛ والختم والطبع والأكنة خلقُ الضلالة في القلب والنفس.[4]

---

[1]– المحرر الوجيز، ابن عطية، 2/ 455.

[2]– الطبري، جامع البيان، 13 / 114- 115

[3]– ابن عطية، المحرر الوجيز، 2/ 455.

[4]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 24/ 144. وسيأتي التفصيل في معنى الطبع والختم والأكنة في فصل لاحق.

والطّابع هو الخاتم، وقد ذهبت طائفة من المتأولين إلى أن الطبع أو الختم على حقيقته وأن القلب على هيئة الكفّ؛ ينقبض مع زيادة الضلال والإعراض.(1)

واتجه آخرون إلى القول بأنّ الطبع والختم إنما هو من المجاز؛ وأن إعراضهم عن الحق وضلالهم هو الختم والطبع.(2)

وإذا كان الطبع على قلب المتكبر بزيادة الإضلال والصرف عن آيات الله الواضحات من العقاب المعنوي الذي استحقه كل متكبر، فقد استحقوا العقاب المادي وهو دخول جهنم وبئس المثوى، فقال تعالى في حقهم: ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الزمر: 72].

ويتكرر الأمر في قوله تعالى: ﴿ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [غافر: 76 ].

وفي الحديث النبوي، ما ينفي دخول الجنة على كلّ من حوى قلبه ذرة كبر؛ حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: { لاَ يَدْخُلِ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ }.(3)

ويخبر عنهم أنهم من أهل النّار، بقوله: { أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ ؟ كلُّ ضَعِيفٍ مَتَضَاعِفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ. أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جُوَاظٍ مُسْتَكْبِرٍ }.(4)

وإذا كان هؤلاء المتكبرون قد استحقوا العقاب المعنوي والعقاب المادي، فهم إلى جانب هذا فهم داخلون في زمرة الذين لا يحبهم الله تعالى؛ حيث يقول عزوجل في حقهم: ﴿ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النحل: 22 - 23 ].

---

(1)- ابن عطية، المحرر الوجيز، 1/ 88.

(2)- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3)- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، 1/ 93.، برقم (91).

(4)- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الكبر. وقال مجاهد﴿ ثاني عِطْفه ﴾ مستكبرا في نفسه. عطفه: رقبتُه، 4/ 104، برقم (6071).

إن المتكبرين أصحاب عقائد فاسدة منكرة للحق؛ أشركوا بالله الواحد الأحد، وتكبروا عن قبول الحق من رسوله، وكفروا بالبعث والجزاء، والسياق القرآني هنا يجمع " بين الإيمان بوحدة الإيمان والإيمان بالآخرة، بل يجعل إحداهما دالة على الأخرى، لارتباط عبادة الله الواحد بعقيدة البعث والجزاء، فبالآخرة تتمّ حكمة الخالق الواحد، ويتجلى عدله في الجزاء.......فالذين لا يسلمون بهذه الحقيقة، ولا يؤمنون بالآخرة – وهي فرع عن الاعتقاد بوحدانية الخالق وحكمته وعدله – هؤلاء لا تنقصهم الآيات ولا البراهين، إنما تكمن العلة في كيانهم وفي طباعهم. إنّ قلوبهم منكرة جاحدة لا تقرّ بما ترى من الآيات، وهم مستكبرون لا يريدون التسليم بالبراهين والاستسلام لله والرسول. فالعلة أصيلة والدّاء كامن في الطباع والقلوب !

والله الذي خلقهم يعلم ذلك منهم؛ فهو يعلم ما يسرون وما يعلنون، يعلمه دون شكّ ولا ريب ويكرهه فيهم ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ فالقلب المستكبر لا يرجى له أن يقتنع أو يسلم. ومن ثم فهم مكروهون من الله لاستكبارهم الذي يعلمه من يعلم حقيقة أمرهم ويعلم ما يسرون وما يعلنون."[1]

---

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، 4/ 2167.

## المبحث الثالث: المجال الاقتصادي المالي.

يصنف المال من بين أقوى الركائز التي ترتكز عليها المجتمعات، وحتى الأفراد، لاستعراض قوتها وسطوتها؛ لأن المال له أهمية بالغة في حياة الناس، فهو من مقومات البقاء والقوة، به تبني الأمم اقتصادها وتطور معاش شعوبها، وأقوى دليل على ذلك، التطور المذهل الذي يشهده العالم اليوم في مجال الصناعات والتكنولوجيات التي تعرف تطورا مستمرا.

كما يعد المال من أحب الأشياء إلى النفس، ومن أكثر الأمور تأثيرا عليها وإفسادا لها، وجرها إلى ما نهيت عنه؛ وإنما سمي المال مالا لأنّ " النفوس تميل إليه ميلا عظيما، والقلوب تتعلق به تعلقا شديدا"[1]، وصدق الحق تبارك وتعالى حين يقول:

﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ٢٠ ﴾ [الفجر: 20]

ويقول الله تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الكهف: 46].

ولما كان القرآن حريصا على تنظيم شؤون الأفراد والمجتمعات، وخاصة المعاملات المالية التي كثيرا ما تكون سببا لانتشار الكثير من المفاسد؛ بسبب تهافت الناس عليها، دون مراعاة لأية ضوابط أو أحكام، جاء القرآن الكريم بالضوابط والأحكام الفاصلة، حتى تصان الأموال العامة والخاصة على حدّ سواء؛ بحيث جعلها في صنف الدم والعرض؛ وضمن الكليات الخمس[2]؛ التي قعد لها العلماء، وبينوا وجوه الحرمة فيها.

من هذه الضوابط قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة: 188].

وقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: {كُلُّ الْمُسْلِمِ علَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ}.[3]

---

[1]- عبد الرحمن يعقوب، الظالمون، مركز فجر للطباعة، القاهرة، (دط، 2001م)، ص: 30.

[2]- ينظر: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، ضبط نصه قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، (دط.دت)، 1/ 31.

[3]- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، 4/ 1986، برقم (2564).

وعلى هذا تحتل هذه النصوص التشريعية الصدارة، في مواجهة الفساد المالي، بشتى أنواعه التي نصت عليها النصوص القرآنية في مواضع كثيرة ؛ كتحريم السرقة، والرشوة، والربا، والتطفيف في الميزان...وكل ما فيه اعتداء على أموال الغير بغير وجه حقّ.

وفيما يلي بيان لهذه المحرمات التي تعد لصيقة بالأموال، مفسدة ومشيعة للفساد بين الأفراد والمجتمعات.

## المطلب الأول: الرشوة.

عُرفت الرشوة على عهد سيدنا سليمان؛ حين أرسلت إليه ملكة سبأ تختبر ملكه ونبوته، قال تعالى حكاية عن قصتها مع سيدنا سليمان: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النمل: 35]، الشاهد قولها: إني مرسلة إليهم بهدية .

والهدية هي العطية على طريق الملاطفة ـ تريد من ورائها المصانعة والمداهنة، واختباره بها.[1]

﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النمل: 36]، وأبى سليمان عليه السلام قبول الهدية، لأن الملكة أرسلتها بعد بلوغ كتابه، ولعلها سكتت عن الجواب عما تضمنه كتابه من قوله: ﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: 31 ]، فتبين له قصدها من الهدية أن تصرفه عن محاولة ما تضمنه الكتاب، فكانت الهدية رشوة لتصرفه عن بث سلطانه على مملكة سبأ.[2]

وكانت هذه الحادثة صورة من صور الرشوة التي جاء الشرع الحنيف ليحذر منها، بل ويحرمها، لأنها داخلة في أكل مال الغير بالباطل، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [البقرة: 188].

---

(1)– البغوي، معالم التنزيل، 6/ 160.

(2)– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 19/ 268.

وقولـــه أيضـــا: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ ﴾ [النساء: 29].

وقبل التفصيل في موضوع الرشوة أورد المفهوم والمراد بالرشوة.

## أولا: في اللغة.

الرشوة من الفعل: رَشَا، والرَّشْوُ فعل الرَّشوة: يقال: رشوتُه، والمراشاة: المحاباة، وتقرأ: الرَّشوة والرِّشوة والرُّشوة، والجمع رُشًى، وهي الوُصلة إلى الحاجة بالمصانعة، وأصله من الرِّشاء الذي يتوصل به إلى الماء.[1]

## ثانيا: في الاصطلاح.

الرشوة: " ما يعطى لإبطال حق أو لإحقاق باطل".[2]

وجاء في النهاية: " الرِّشْوَةُ والرُّشْوَة: الوصول إلى الحاجة بتقديم هدية بالمصانعة، فالراشي من يعطي الذي يعينه على الباطل، والمرتشي الآخذ، والرائش الذي يسعى بينهما يستزيد لهذا ويستنقص لهذا".[3]

ولأنها أخذ للأموال من غير وجه حقٍ، جاء النهي والتحريم عن أخذها، وكانت من كبائر الذنوب التي حرمها الله على عباده، لما فيها من ظلمٍ وتعدٍ على الآخر من دون وجه حقٍ، فلعن الرسول الكريم آكلها وموكلها والساعي بينهما؛ " فعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي والرائش يعني الذي يمشي بينهما".[4]

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، باب الراء، 3/ 1653.

[2]- الجرجاني، التعريفات، ص: 116.

[3]- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمود محمد الطناحي، طاهر أحمد الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (دط، دت )، 2/226- 344.

[4]- أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع مختصر شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، دار إحياء التراث العربي، ( ط 1، د ت )، 15/ 213. كما ورد الحديث في سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي، سنن أبي داود، أبو سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، ومعه كتاب معالم السنن للخطابي، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ( ط 1، 1418هـ/ 1997م )، كتاب الأقضية،

واللعن من الله هو الطرد والإبعاد من رحمته تعالى، ولا يكون اللعن إلا في كبيرة؛ " ولا يستحقّ ذلك إلا مرتكب الكبيرة، وهذا دليل على أن الرشوة من الكبائر، وهي إفساد للضمائر، وأخذ لحقوق الناس بغير حقّ، وإضرار بعباد الله، وإبعاد للمبادئ والقيم وحرب على العدل".[1]

ومن خلال الحديث يظهر جليا أنّ التحريم قد شمل الرشوة بأطرافها الثلاثة وهي: الراشي والمرتشي والرائش؛ فالراشي هو من يعطي ما يعينه على الباطل، والمرتشي هو الآخذ، والرائش الذي يسعى بينهما يستزيد لهذا ويستنقص لهذا.

كما عدّ العلماء الرشوة من أنواع السحت المحرم؛ فقد ذمّ المولى عزوجلّ اليهود وشنع بهم لأكلهم السحت؛ فقال تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾ [المائدة: 42]، وقال أيضا: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٢﴾ [المائدة: 62]

قال **الجصاص** في أحكامه: " اتفق جميع المتأولين لهذه الآية على أنّ قبول الرشا محرم، واتفقوا على أنه من السحت الذي حرّمه الله تعالى".[2]

---

باب كراهية الرشوة، 4/ 10، برقم (3580). كما ورد الحديث في سنن ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { لَعْنَةُ الله على الرَّاشِي والمُرْتَشِي}، سنن ابن ماجه، الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت، ( ط1، 1418هـ/1998م)، كتاب الأحكام، باب التغليظ في الحيف والرشوة، 4/ 9، برقم ( 2313).

(1)– حسن أيوب، السّلوك الاجتماعي في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، ط 3، ( 1427هـ/ 2006 م)، ص: 108. أورد الإمام الذهبي الرشوة في كتابه الكبائر تحت عنوان: الكبيرة الثانية والثلاثون أخذ الرشوة على الحكم، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الكبائر، تحقيق: أنس محمد الشامي، دار التقوى للنشر والتوزيع، ( د ط، د ت)، ص: 127.

(2)– الجصاص، أحكام القرآن، 4/ 85. القاضي أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق المالكي، أحكام القرآن، حققه وقدم له وعلق عليه د: عامر حسن صبري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ( ط 1، 1426هـ/2005م)، ص: 138. سئل ابن مسعود رضي الله عنه عن السحت: أ هو رشوة في الحكم؟ فقال: لا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون، والفاسقون ولكن السحت أن يستعينك رجل على مظلمة إمامٍ فتعينه، فيهدي لك، فذلك السحت.أبو إسحاق إسماعيل المالكي، أحكام القرآن، ص: 139

سُئل ابن مسعود رضي الله عنه عن السُّحت، فقال: (يقضي الرّجلُ الحاجَةَ فتهدى له الهدية)[1]؛ وهذا يعني أنّ إعطاء الهدية في مقابل قضاء حاجة، يدخل في معنى الرشوة.

كما عدّ العلماء الرشوة صنفا من صنوف الربا الذي قبحه الإسلام، وتوعّد آكله بحرب من الله ورسوله، وبالعذاب الأليم؛ قال الحق تعالى: ﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾ [النساء: 160 – 161 ].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: {مَنْ شَفَعَ لِأَخِيهِ بِشَفَاعَةٍ فَأَهْدَى لَهُ هَدِيّةً عَلَيْهَا فَقَبِلَهَا فَقَدْ أَتَى بَابًا عَظِيمًا مِنْ أَبْوَابِ الرِّبَا}.[2]

وإذا كان الله تعالى يدعونا: ﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾ [المائدة: 2].

فإن في الرشوة تعاونا على الإثم والعدوان؛ بأكل حق الغير من غير وجه حق، الراشي بدفعه الرشوة التي تمكنه من أخذ ما ليس له بأي حال من الأحوال، والمرتشي سولت له نفسه أن يقبل ويأخذ ما ليس من حقه أيضا، مقابل أن يقوم بواجب عليه أو يوصل حقا إلى أصحابه، فكلاهما أعان الآخر على الإثم، وكل منهما اعتدى على ما ليس من حقه.

وهذا هو المعنى الحقيقي الذي اقتحمت به الرشوة الكثير من مجالات الحياة، وتفشت بين الأفراد والمجتمعات حلى حدّ سواء، وإن كانت بمسميات أخرى، فالرشوة محرمة بأي صورة كانت، وبأي اسم سميت؛ هدية أو مكافأة أو إكرامية، لأنّ تنوع الأسماء لا يغير من حقيقة معانيها، ولأن العبرة هنا بالحقائق والمعاني لا بالألفاظ والمباني.

والرشوة رشوة سواء أ أخذها موظف سامِ في الدولة، أو موظف من الموظفين العاديين الذين أوكلت إليهم بعض حاجات الناس، ووجب عليهم أداؤها عن طيب نفس.

---

[1]– أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين، دار المنهاج للنشر والتوزيع، (ط1، 1432هـ/2011م)، كتاب الحلال والحرام، 592/3.

[2]– سنن أبي داوود، كتاب البيوع والإجازات، باب في الهدية لقضاء الحاجة، 3/ 519، برقم (3541).

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي حُمَيْدٍ الساعدي قال: استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا على صدقات بني سُلَيْمٍ يدعى ابن اللُّتَبِيّة، فلما جاء حاسبهُ قال: هذا مالُكم وهذا هدية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { فَهَلاَّ جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وأُمِّك حَتّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُك، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا }. ثمّ خطبنا فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: { أمّا بعد، فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ ممّا وَلّاني الله، فيأتي فيقول: هَذَا مَالُكُم وهذا هَدِيّةٌ أُهْدِيت لي، أَفَلاَ جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وأُمِّهِ حَتى تَأْتِيَه هَدِيتُهُ، واللهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا لَقَى اللهَ يحمله يوم القيامة، فلأعرفنَّ أحدًا منكم لقى الله يحمل بعيرا له رغاء، أو بقرة لها خُوار، أو شاةً تيعر. ثم رفع يديه حتى رُئي بياض إبطه يقول: اللهم هل بلّغت؟ بصر عيني وسمِعَ أذُني }.[1]

يستفاد من الحديث منع العمال من قبول الهدية ممن له عليه حكم، ولا يختص العامل منها إلا بما أذن له فيه الإمام، وفيه أيضا إبطال كلّ طريق يتوصل بها من يأخذ المال إلى محاباة المأخوذ منه والانفراد بالمأخوذ، وهذه هي الرشوة التي لعن فيها الراشي والمرتشي والرائش.[2]

وعندما تكون الهدية من أجل صاحب مكانة بنية المحاباة و التقرب منه، قصد قضاء الحوائج والمصالح، صارت في حكم الرشوة.

وشتان بين الهدية والرشوة، فإنما شرعت الهدية لزيادة الألفة والمحبة بين الناس، وهي سنة نبوية تفتح مغاليق القلوب وتبذر بذور الألفة والمحبة، لحديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: { تَهَادُوا تَحَابُّوا }[3]، في حين أن الرشوة انتهاز واستغلال وأكل مال الغير من غير وجه حقّ.

---

[1]- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحيل، باب احتيال العامل ليهدى إليه، 4/ 293، برقم (6979). و أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في هدايا العمال، 3/ 239، برقم (2946).

[2]- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 16/ 701.

[3]- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، الأدب المفرد، محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائرالإسلامية، بيروت، (ط3، 1409هـ/1989م)، ص: 208، برقم(594).

وبعيدا عن الهدية، هناك من العلماء من جوز إعطاء الرشوة " ليتوصل إلى حق له، ويدفع عن نفسه ظلما، فإنه غير داخل في اللعنة "[1]، ويشهد لهذا ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه { أنه لما أتى أرض الحبشة أخذ بشيء فتعلق به، فأعطى دينارين حتى خلى سبيله }.[2] وقال جماعة من التابعين: " { لا بأس أن يصانع الرجل عن نفسه وماله إذا خاف الظلم }، والمصانعة إعطاء الرشوة ".[3]

هذا إذا عجز الرجل عن أخذ حقه، أو دفع الظلم الذي لحقه أو قد يلحقه بالطرق والوسائل المشروعة، ولا يمكنه الاستمرار، أو الصبر وتحمل التبعات والمشاق التي قد تلحقه، وإلا فإن درء المفاسد أولى من جلب المصالح.

**ومجمل القول**، إن الرشوة من أشد أنواع أكل الأموال بالباطل؛ لأن أخذ المال أو دفعه إلى الغير من أجل تحويل حق؛ فيه إحقاق لباطل أو إبطال للحقوق ومنعها من الوصول إلى أصحابها، وهي في حق الحكام الذين تولوا أمور العباد أشد وزرا؛ لأنهم تولوا هذه المناصب من أجل تسهيل سير شؤون العباد، وإعانتهم على الطاعات لا على المعاصي والكبائر.

إنّ المؤمن متى كان بعيدا عن حرمات الله، متقيا ربه نال حقوقه، وجعل الله له من كل ضيق أو مأزق فرجا ومخرجا، دون أن يتورط في أمور حرمها المولى عزّوجلّ، أو يحوم حول الحمى يوشك أن يقع فيه، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: 2-3].

[1]- الذهبي، الكبائر، ص: 127. محمد بن إسماعيل اليمني الصنعاني، سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط: 3، ( 1417هـ /1979 م )، 3/ 66.

[2]- أخرجه أبو بكرأحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط، دت )، كتاب آداب القاضي، باب من أعطاها ليدفع بها عن نفسه أو ماله ظلما أو يأخذ بها حقا، 10/ 235، برقم (20482).

[3]- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 2/ 226. البيهقي، السنن الكبرى، كتاب آداب القاضي، باب من أعطاها ليدفع بها عن نفسه أو ماله ظلما أو يأخذ بها حقا، 10/ 235، برقم (20483).

## المطلب الثاني: الرِّبــــا.

يندرج الربا ضمن توصيف أكل أموال الناس بالباطل وبغير وجه، الذي نهى عنه المولى عزوجل نهيا جازما بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ [النساء: 29].

هذه الآية التي تعدّ أصلا عظيما في حرمة الأموال في الإسلام، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس، وفي خطبة حجة الوداع: إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام. لقد " كان أكل المال شنشنة معروفة لأهل الجاهلية، بل كان أكثر أحوالهم المالية، فإنّ اكتسابهم كان من الإغارة، ومن الميسر، ومن غصب القوي مال الضعيف، ومن أكل الأولياء أموال الأيتام واليتامى، ومن الغرر والمقامرة، ومن المراباة ونحو ذلك. وكل ذلك من الباطل الذي ليس عن طيب نفس".[1]

ومما لا شك فيه أن الربا من صور أكل الأموال بالباطل دون وجه حق، لما فيه من استغلال لحاجة المدين، خاصة في ربا الديون الواسع الانتشار في أيامنا هذه .

وقبل الاسترسال في هذا المطلب أورد التعريف اللغوي والاصطلاحي للربا.

### أولا: في اللغة.

الأصل في معنى الربا الزيادة؛ من رَبا الشيء يربو ربوًا ورباءً: زاد ونما، وأربيته: نمّيتُه.

وربا المال إذا زاد وارتفع.[2]

وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴾ [ الحج: 5 ].

---

(1)- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 2/ 187.

(2)- ابن منظور، لسان العرب، باب الراء، ص: 1572- 1573.

## ثانيا: في الاصطلاح.

ورد لفظ الرّبا في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [ البقرة: 276].

وفي قوله تعالى أيضا: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [ الروم: 39 ].

وقد عرفه صاحب التعريفات بقوله: الربا هو فضلٌ خالٍ عن عوض شرط لأحد العاقدين.[1]

وبمعنى أوضح: هو الزيادة على أصل المال من غير عقد تبايع.[2]

وهذا النوع من المعاملات المالية الفاسدة، هو الذي كان سائدا في تعاملات اليهود مع غيرهم؛ فقد كانوا من الأقوام الذين احتالوا على أنبيائهم حتى يأكلوا الربا، فقصروا التحريم على التعامل فيما بينهم من اليهود، وأما التعامل مع غيرهم فقد أجازوه، يقول الله عزوجلّ في حقهم: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[النساء: 160- 161]، فكانت هذه من الخصال التي سنوها في شريعتهم لاعتقادهم الأفضلية والتميز عن غيرهم، وانفردت بها شريعتهم التي وضعوها لأنفسهم، في حين أنّ الإسلام حرم الربا حيثما وجد.

## ثالثا: أقسام الرّبـــــا.

لقد جاء الإسلام لحماية طائفة المستضعفين، من فئة المرابين الفاسدين، فحرم التعاملات الربوية التي تزيد العبء، وتثقل كاهل المعسر.

وترجع التعاملات الربوية إلى قسمين رئيسين:

**الأول: ربا النسيئة:** وهو أصل الربا، ولم تكن العرب في الجاهلية تعرف سواه، وهو الذي كانوا يأخذونه بسبب تأخير قضاء دين مستحق إلى أجل جديد، وقد ثبت تحريمه

---

(1)- الجرجاني، التعريفات، ص: 114.

(2)- ابن منظور، لسان العرب، ص: 1573.

بالقرآن والسنة، وهو الذي حذر الله تعالى منه بقوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [آل عمران: 130].

**الثاني: ربا البيوع** ويسمى **ربا الفضل** وقد حرم سدّا للذرائع؛ لأنه ذريعة إلى ربا النسيئة لاشتماله على زيادة دون عوض، وهو بيع النقود بالنقود مع الزيادة، أو الطعام بالطعام مع الزيادة، وقد ثبت تحريمه بالسنة.

وهو الربا الذي يطلق عليه أيضا الربا الخفي[1]؛ لأن التفاضل أو التفاوت في الوزن أو النوع أو في أي صفة أخرى مطية للوصول إلى ربا التأخير والنسيئة.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:{لا تبيعوا الذّهبَ بالذّهب إلا مِثلًا بمثلٍ، ولا تُشِفُّوا بعضها على بعضٍ، ولا تبيعوا الورِقَ بالوَرِقِ إلا مِثْلًا بمثلٍ، ولا تُشِفُّوا بعضها على بعضٍ، ولا تبيعوا منها غائبًا بناجِزٍ}.[2]

وفي رواية أخرى لأبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {الذهبُ بالذّهبِ والفضةُ بالفضةِ والبُرُّ بالبُرِّ والشّعيرُ بالشّعيرِ، والتمر بالتمر والملحُ بالملحِ مِثلًا بمثلٍ يدًا بيدٍ فمن زادَ أو استزاد فقد أربى، الآخِذُ والمعطي فيه سواءٌ}.[3]

إن هذه الأحاديث النبوية تبين صفة المعاملات المالية التي حرمها الله تعالى على المؤمنين؛ لأنها من المعاملات المالية الفاسدة المفسدة، بل المحرمة لما فيها من الاستغلال والاستضعاف لفئة من الناس؛ الأمر يمهد لانتشار الشحناء والتباغض والتحاسد، وغيرها من السلوكات التي نهينا عنها، ومنه حرمت كل السبل التي من شأنها

---

[1]– قال ابن القيم: الربا نوعان: جليّ وخفيّ؛ فالجليّ حرم لما فيه من الضرر العظيم، والخفيّ حُرم لأنه ذريعة إلى الجليّ، فتحريم الأول قصدا وتحريم الثاني وسيلة. فأمّا الجليّ فربا النسيئة، وهو الذي كان منتشرا في الجاهلية، مثل أن يؤخر سداد الدين ويزيد في المال، وكلما أخره زاد في المال حتى يصير الدين ديونا مؤلفة، وأمّا ربا الفضل فتحريمه من باب سد الذرائع، وسدّا لباب المفسدة التي تحصل من هذين النوعين. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1، 1411هـ/1991م)، 2/103– 104.

[2]– أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع ، باب بيع الفضة بالفضة،2/108، برقم(2177)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب الرّبا، 3/1208، برقم (1584).

[3]– أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقدا، 3/ 1211، برقم(1584).

أن تقوض أركان المجتمع، وتقضي على روابط الأخوة التي حثّت عليها تعاليم ديننا الحنيف، وكانت أحد أركان بناء المجتمع.

فتبين أنّ الربا هو تلك الزيادة التي ينالها الدائن من المدين نظير التأجيل؛ أي زيادة مؤجلة، أو زيادة في النوع أو الجودة، وكلاهما زيادة محرمة تنطوي على معاني الاستغلال الذي يخضع له الطرف الضعيف في هذا العقد مرغما.

وهذا هو الربا الذي جاء تحريمه في القرآن الكريم، وثبت إجماع العلماء من السلف والخلف، وبقي الحكم فيه ثابتا إلى يوم الناس هذا.[1]

كما أنّ الأحاديث صريحة في هذا الباب، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { لا تَبِيعُوا الدِّينارَ بالدِّينارَيْن، ولا الدِّرْهَمَ بِالدِّرْهَمَيْن } .[2]

لقد جاء الإسلام بالقول الفصل في التعاملات الربوية؛ فبين فسادها وإفسادها، بسبب إشاعتها للظلم واستغلال القوي الموسر لأخيه الضعيف المعسر؛ يقول الله في محكم تنزيله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ ﴾ [البقرة: 275].ودعا المؤمنين إلى ترك كل التعاملات الربوية، بقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ﴾[البقرة: 278].وبيّن سبحانه وتعالى أنه يبارك البيوع وينمّيها ويكثرها، وفي المقابل فهو يمحق الربا بإتلافه ونزع البركة منه بقوله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[البقرة: 276]، ثم يتوعّد المرابين بقوله تعالى:﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ [البقرة: 279].

فمطلع هذه الآيات صورة مفزعة ومرعبة عن المرابين، فهم لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلى مبعثهم ونشورهم إلا كما يقوم المصروع الذي تخبطه الشيطان، وهذه صورة لا تخفى على أحد، وفيها من الترغيب والترهيب ما فيها، وإنما كانت حالهم هذه

---

[1]- المودودي، أبو الأعلى المودودي، الربا، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ( ط 2، 1407هـ/ 1987م )، ص: 107.

[2]- الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب الرّبا، 3/ 1209، برقم(1585).

لأنهم اعترضوا على حكم الله في تحريم الربا وقالوا إنما البيع مثل الربا، وقد حرّم الله الربا وأحل البيع ومكاسبه، بل ويمحق أموال الربا ويذهب ببركتها، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: ﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ يعني لا يقبل منه صدقة ولا جهادا ولا حجّا ولا صلةً [(1)]، في حين ينمي ويبارك المال الذي تخرج منه الصدقات إلى أصحابها.

وبعد ذلك " يأمر الله المؤمنين بتقواه، وينهاهم عما يقربهم من سخطه ويبعدهم عن رضاه، بأن يخافوه ويراقبوه فيما يفعلون، وأن يتركوا ما لهم على الناس من زيادة على رؤوس في حالة ابتلائهم بالربا، ومخالطتهم لهم إن كانوا مؤمنين بما شرع الله لهم من تحليل البيع وتحريم الربا ".[(2)]

بعد هذه الدعوة إلى ترك ونبذ التعامل الربوي الفاسد، يتوعد الله سبحانه المرابين سواء كانوا أفرادا أم مؤسسات، بحرب من الله ورسوله؛ وهذه وسيلة من دون شك تجعل كل من فقهها أن يرتدع ويكف عن ممارسة هذه المعاملات المالية الفاسدة المفسدة؛ فهذا النظام الردعي العقابي جاء " ليحمي طائفة من ظلم طائفة، ولم يأت هذا النظام إلا بعد أن وجدت طائفة المرابين، الذين ظلموا طائفة الفقراء المستضعفين. وحسْب هؤلاء المستضعفين الذين استُغِلّوا من المرابين أن ينصفهم القرآن، وأن ينهي قضية الربا إنهاءً يعطي الذين رابوا ما سلف؛ لأنهم بنوا حياتهم على ذلك".[(3)]

كما وردت في هذا السياق أحاديث نبوية تبين الصورة المفزعة المرعبة للمرابي، التي من شأنها أن تنفر المؤمنين، الذين غلبت عليهم نفوسهم فتطلعت إلى هذا التعامل الربوي الفاسد بدعوى الاعتياد، وحب المال والاستكثار منه بشتى السبل.

ومن ذلك ما جاء في صحيح البخاري؛ روي عن سَمُرة ابن جندب رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: { رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخْرَجَانِي إلى أَرْضٍ مقدَّسَةٍ، فانْطَلَقْنا حتى أَتَيْنَا على نَهْرٍ مِنْ دَمٍ، فيه رجُلٌ قائِمٌ، وعلى وَسَطِ النَّهْرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهْرِ، فإذا أَرَادَ الرَّجُلُ أنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلَ بحجرٍ في فيهِ فردَّهُ حيْثُ كان،

---

(1)- البغوي، معالم التنزيل، 1/ 344.

(2)- سعيد حوى، الأساس في التفسير، 1/ 647.

(3)- الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، من وصايا القرآن الكريم، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، ( د ط، دت)، ص: 81.

فَجَعلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فيه بحجرٍ فَيَرْجِع كما كان، فقلت: ما هذا ؟ فقال: الذي رَأَيْتَهُ فِي النّهْر: آكِلُ الرِّبَا }.[1]

وليس هذا فحسب؛ فآكل الربا ملعون مطرود من رحمة الله خارج منها؛ فقد روى جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { لعن رسول الله صلى الله عليه وسلّم آكلَ الرِّبا وموكله وكاتبه وشاهديه، وقال: هم سواء}.[2]

لقد حرّم الله الرّبا، ولعن المرابين كيفما كانوا، ورتّب عليهم العقاب والحرب التي سيؤذنون بها من الله ورسوله على أنفسهم وأموالهم، وما ينتظرهم من العقاب الأخروي، ثمّ أرشد إلى خير السبل التي تمنع من الوقوع في هذه العقوبات؛ بالانتهاء والامتثال لأمر الله، وخير من الانتهاء، إنظار المعسر والتصدق عليه؛ حيث يقول المولى عزّ وجلّ:

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ [البقرة: 280].

و ذو العسرة هو الذي اشتدّ عليه الأمر وتعسر عليه سداد الدين في الأجل المعلوم، فيأمر الله بالصبر عليه، بل ويندب إلى الوضع والتجاوز عنه، ويعد على ذلك بالخير الكثير.[3]

وفي هذا الباب وردت أحاديث من طرق متعددة، ترغب في إنظار الموسر والمعسر على حدٍّ سواء، منها:

قوله صلى الله عليه وسلم: { تَلَقَّتِ المِلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فقالوا: أَ عَمِلْتَ مِنَ الْخَيرِ شيئًا ؟ قال: كنت آمر فتياني أن ينظروا ويتجاوزوا عن الموسر، قال: فتجاوزوا عنه }.[4]

---

[1]- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع وقوله تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ ﴾، باب آكل الربا وشاهده وكاتبه، قول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾إلى آخر الآية، 2/ 84، برقم (2085)

[2]– أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب الواشمة، 4/ 80، برقم (5945)، وفي كتاب البيوع، باب موكل الربا، 2/ 84، توصل برقم (2086). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البيوع، باب لعن آكل الربا ومؤكله، 5/ 50.

[3]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1/ 717. البغوي، معالم التنزيل، 1/ 345.

[4]– أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب من أنظر موسرًا، 2/ 82، برقم (2077).

هذا من كرمه تعالى؛ أن يتجاوز عمن تجاوز عن موسر، فكيف لا يسامح ويتجاوز عمن تجاوز عن معسر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { كان تاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فإذا رأَى مُعْسِرًا قال لِفِتْيَانِه: تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعلّ اللهَ أنْ يَتَجَاوَزَ عنَّا. فَتَجَاوَزَ الله عنْهُ }.[1]

وجاء في صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم: { تلقّتِ الملائكةُ روح رجلٍ ممّن قبلكم فقالوا: أعملت من الخير شيئا؟ قال: لا. قالوا: تذكّر. قال: كنت أداين الناس فآمر فتياني أنْ ينظروا المعسرَ ويتجوّزوا عن الموسر. قال: قال الله عزّ وجلّ تجوّزوا عنه }.[2]

وعن فضل التجاوز عن المعسر وإنظاره، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { مَنْ سرَّهُ أنْ ينجيه الله مِن كُرب يوم القيامة فلينفّسْ عن معسرٍ أو يضعْ عنه }.[3]وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على سماحة هذا الدين ويسره، وتيسيره على العباد في شؤونهم كلها.

## المطلب الثالث: السّرقة.

إذا كانت الرشوة والربا من صور أكل أموال الناس بالباطل بطريقة معروفة ظاهرة للرائش والمرتشي، وآكل الربا وموكله، فإن السرقة أكل للمال بالباطل بطريقة غير ظاهرة، يأخذه السارق من حرز وضع فيه.

### أولا: في اللغة.

سَرَقَ الشيء يسْرِقُهُ سَرَقًا وسَرِقًا واسْتَرَقَهُ، والاسم السّرِقُ والسَّرِقَةُ.

واسترق السمعَ أي استرق مستخفيا، وتسترق الجنّ السمع، أي أنّها تستمع مختفيّةً كما يفعل السّارق.

[1]- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب من أنظر معسرا، 2/ 82، برقم (2078).

[2]- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، 3/ 1194، برقم(1560)، و جاء في الهامش التجوز هو التجاوز ومعناهما المسامحة في الاقتضاء والاستيفاء وقبول ما فيه نقص يسير.

[3]- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، 3/ 34، برقم(1563).

والسّارق عند العرب من جاء إلى حرز[1]، فأخذ منه ما ليس له، فإن أخذ من ظاهر فهو مختلس ومستلب ومنتهب ومحترس، فإن منع مما في يديه فهو غاصب.[2]

والسرقة فعل السارق، وهي أخذ الشيء من الغير على وجه الخفية.[3]

## ثانيا: في الاصطلاح.

السرقة هي: أخذ مالٍ معين المقدار، غير مملوك للآخذ من حرز مثله خفية.[4]

وفي روح المعاني هي " أخذ مال الغير خفية، وغنما، توجب القطع إذا كان الأخذ من حرز، والمأخوذ يساوي عشرة دراهم فما فوقها".[5]

فالسرقة من المفاسد التي تقع على الممتلكات والأموال، وقد اتحد المفهومان اللغوي والاصطلاحي في حدوثها خفية، يقول الله تعالى في معرض قصة يوسف عليه السلام: ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [ يوسف: 73 ]، فتهمة إخوة يوسف هي السرقة، ولكنهم عندما أرادوا نفي السرقة عنهم، بدؤوا بنفي الإفساد عموما عن أنفسهم، ثمّ خصصوا السرقة موضوع الاتهام؛ ممّا يفهم منه أن السرقة هي صورة من صور الإفساد في الأرض.

إنّ السرقة اعتداء على حقوق الغير، وأخذ أموالهم بالباطل، يعاقب فاعلها في مختلف القوانين، وهي عند الله تعالى كبيرة من الكبائر يحدّ فاعلها بحدّ لا يذهب أثره وهو حدّ قطع اليد، امتثالا لقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المائدة: 38].

---

[1]– الحرز " هو ما جعل للسكنى، وحفظ الأموال، كالدّور والمضارب والخيم التي يسكنها الناس، ويحفظون أمتعتهم بها، فكل ذلك حرز، وإن لم يكن فيه حافظ ولا عنده، وسواء سرق من ذلك وهو مفتوح الباب أو لا باب له، إلا أنّه محجر بالبناء، فأمّا ما كان في غير بناء ولا خيمة، فإنه ليس في حرز إلا أن يكون عنده من يحفظه "،ينظر: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، (ط 3، 1404هـ/1984م )، 2/ 353.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، مادة سرق، ص: 1998. المعجم الوسيط، ص: 427.

[3]– الجرجاني، التعريفات، باب السين، ص: 123.

[4]– المعجم الوسيط، ص: 428

[5]– الألوسي، روح المعاني، 6/ 133.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: { قال النبي صلى الله عليه وسلم: تُقْطَعُ اليَدُ فِي رُبع دِينَارٍ فَصَاعِدًا }.[1]

لقد شرع بتر هذا العضو من جسم الإنسان لأنه استعمله في التعدي وسرقة أموال الغير، إذ لو ترك- هذا الإنسان الفاسد دون عقاب - لاستشرى شرّه وعمّ ضرره، فكان القطع عقابا زاجرا لهذا الإنسان وهذه اليد على عدوانها وظلمها، وردعًا للغير عن اقتراف مثل هذه الجريمة، وصيانة وحفاظا على أموال الناس وممتلكاتهم.

قال الشنقيطي: " صان الله الأموال بإيجاب قطع سارقها، وخصّ السرقةَ لقلّة ماعداها بالنسبة إليها من الانتهاب والغصب، ولسهولة إقامة البينة على ماعدا السرقة بخلافها، وشدّد العقوبة فيها ليكون أبلغ في الزّجر، ثمّ لمّا خانت هانت، وذلك أنّ هذه اليد الخبيثة الخائنة التي خلقها الله لتبطش وتكتسب في كل ما يرضيه، من امتثال أوامره واجتناب نهيه، والمشاركة في بناء المجتمع الإنساني، فمدّت أصابعها الخائنة إلى مال الغير لتأخذه بغير حقّ، واستعملت قوة البطش المودعة فيها في الخيانة والغدر، وأخذ أموال الناس على هذا الوجه القبيح، يدٌ نجسة قذرة ساعية في الإخلال بنظام المجتمع، إذ لا نظام له بغير المال، فعاقبها خالقها بالقطع والإزالة كالعضو الفاسد الذي يجرّ الدّاء لسائر البدن فإنّه يزال بالكلّية إبقاءً على البدن، وتطهيرا له من المرض، ولذلك فإنّ قطع اليد يطهر السارق من دنس ذنب ارتكاب معصية السرقة، مع الرّدع البالغ بالقطع عن السرقة ".[2]

وتجدر الإشارة هنا، أنّ السارق والسارقة في تطبيق حد القطع سواء، غنيا كان أو فقيرا، شريفا كان في قومه أو عبدا ضعيفا، وهذا هو شأن ديننا الحنيف في الشؤون كلها؛ وحادثة المرأة المخزومية في صحيح البخاري شاهد على مر الزمن.

ففي الحديث الذي روته أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنّ امرأة من بني مخزوم سرقت، هَمَّهم ذلك، فقالوا: مَن يكلّم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يجترئ عليه

---

[1]- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءً ﴾ وفي كم يقطع؟ وقطع علي من الكفّ، وقال قتادة في امرأة سرقت فقطعت شمالها: ليس إلا ذلك، 4/ 249، برقم (6789). طرفاه في:6790-6791.

[2]- الشنقيطي، أضواء البيان، 3/ 317

إلا أسامة حِبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: { أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟ } ثمّ قام فخطب فقال: { يا أَيُّها النَّاسُ إنّما ضَلَّ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ أنَّهم كانوا إذا سَرَقَ الشَّريفُ ترَكُوهُ، وإذا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِم أقاموا عليه الحدّ. وأيمُ الله لو أنّ فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرقتْ لقَطعَ محمد يدها}".[1]

هذه الحادثة في أزهى عصور الإسلام؛ في عهد وحياة رسول الله، وطبق الحدّ على امرأة سرقت، وهي من أشرف القبائل وأكبرها مكانة بين القبائل، لكن السارق سارق وإن كان من علية القوم، لأنّ آية السرقة عامة لم تحدد فئة من السراق دون غيرهم، فهي عامة في كل سارق امتدت يده إلى أخذ ملك غيره دون وجه حق، فالحادثة تمثل لعدالة الإسلام تمثيلا تتبدّد أمامه كل الافتراءات والادعاءات.

واليوم تتفشى السرقة، فرادى وجماعات، سرقة ممتلكات خاصة وممتلكات عامة، بل صارت السرقة فنونا وألوانا؛ يسرق الضعيف الوضيع، كما يسرق صاحب الرفعة والمنصب الرفيع، كل يسرق ما أتيح ليده، ولكن غياب تطبيق الحدود جعل الأمر وكأنه مما تعمّ به البلوى، وتجاسر الجميع على حرمات الله، وانتهاك ممتلكات العباد، وإشاعة الفساد والخلال الفاسدة في أوساط المجتمع.

" ومن صور السرقة اختلاس المال العام وإهداره، كيف وهو حقّ الناس كافة، فإذا كان التعدي على مال أحاد الناس فسادا، فالتعدي على المال العام أعظم جريرة وأشدّ فسادا منه، لذا فإنّ إخوة يوسف عليه السلام أكّدوا بأيمانهم البراءة من هذه الجناية وصنفوها من الإفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣ ﴾ [يوسف: 73]."[2]

إنّ السرقة من أكبر أنواع الإفساد في الأرض، لذلك فهي تستوجب أشد أنواع العقوبات والحدود، حفاظا وصيانة للأموال والممتلكات من المفسدين الذين يعيثون في

---

[1]- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، 4/ 248-249 ، برقم (6788).

[2]- يوسف بن عبد العزيز بن سليمان العقيلي، منهج القرآن في دفع الفساد دراسة موضوعية، إشراف: د. حجاج عربي رمضان أحمد، العام الجامعي: 1429هـ/1430هـ، ص: 83.

الأرض فسادا، فشرع المولى عزّ وجلّ هذا الحد زجرا وردعًا للفاسدين المفسدين الذين يحبون أن يشيع الفساد بين الناس، فكان تشريع القطع تنكيلا من الله تعالى و رادعا، لكل من تحدثه نفسه بها، لأنه حدّ يكفه عنها، وهو رحمة بالجماعة كلها لأنه يوفر لها الطمأنينة، وليس لأحد أن يدعي أنه أرحم بالناس من خالق الناس.

ثمّ يفتح الله تعالى باب التوبة لمن يريد أن يتوب، فجعل التوبة لهؤلاء ممحاة لذنوبهم، متى رجعوا لأنفسهم وراجعوا فعالهم، وعرفوا خطأهم وظلمهم، وليس هذا فحسب بل أن يعمل صالحا وخيرا لنفسه ولغيره.

يقول الله تعالى: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٤٠ ﴾ [المائدة: 39– 40].

فبعد أن ذكر سبحانه عقوبة السرقة، يبشر هذا الذي ظلم وغلبته نفسه فسرق، بأنّ الله تعالى يتوب عليه إن هو تاب وعمل صالحا، وهذا من نعمه تعالى وتفضله على عباده.

## المطلب الرّابع: التّطفيف.

### أولا: في اللغة.

التطفيف من مادة (ط ف ف)، الطّاء والفاء تدلّ على قلة الشيء، يقال هذا شيء طفيف أي قليل. والتّطفيف نقص المكيال والميزان، قال بعض أهل العلم إنما سمي بذلك لأنّ الذي ينقص منه يكون طفيفا[1]، والطفيف أيضا الخسيس الدّون. [2]

والتطفيف أن يؤخذ أعلى المكيال ولا يُتمّ كيله، فهو طفّان. ويقال: هذا طفّ المكيال إذا قارب مِلأه ولمّا يُملأ، ولهذا قيل للذي يسيء الكيل ولا يوفّيه مطفّف.[3]

---

[1]– ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، كتاب الطاء، 3/ 405.

[2]– الفراهيدي، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، باب الطاء، 3/ 52.

[3]– ابن منظور، لسان العرب، باب الطاء، مادة طفف، 2680.

## ثانيا: في الاصطلاح.

التّطفيف هو النقصان، وأصله في الشيء الطفيف وهو النّزر، والمطفف الذي ينقص الناس حقوقهم، وهو الذي يأخذ بالميزان شيئا طفيفا.[(1)]

التطفيف البخس في الكيل والوزن الشيء الطفيف، أي النزر الحقير، والتفعيل فيه للتعدية أو التكثير، وهذا لا ينافي كونه من الطّفيف بالمعنى المذكور، لأنّ كثرة الفعل بكثرة وقوعه وهو بتكراره لا بكثرة متعلقه.[(2)]

وفي **التحرير والتنوير**، التطفيف: النقص عن حق المقدار في الموزون أو المكيل.[(3)]

فالتطفيف هو الإنقاص والإخسار عند الكيل أو الوزن للغير، والاستيفاء من الناس عند الكيل أو الوزن لأنفسهم، ولو كان الشيء اليسير الطفيف.

وأضاف على هذا صاحب **مفاتيح الغيب** أنّ التطفيف: " هو البخس في المكيال والميزان بالشيء القليل على سبيل الخفية "[(4)]؛ حيث أضاف إلى المفهوم السابق صفة الخفية حين نقص وبخس الميزان.

والبخس هو النقص بنوع من المخادعة والمدافعة.[(5)]وهنا جاء المفهوم أكثر تحديدا، بما أنّ التطفيف ونقص الميزان لا يرضي المشتري، فلابد أن يكون خفية، وبوسائل الحيلة والمخادعة، وهي وسائل مرفوضة ممنوعة في كل المعاملات، وخاصة المالية منها.

والبخس والتطفيف عبارة عن الخيانة بالشيء القليل، وهو مستقبح في العقل، وجاءت الشريعة بتحريمه تحريما قاطعا.[(6)] لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ ﴾ [الأعراف: 85]، نهي قاطع عن بخس الناس أشياءهم، وقوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١﴾ [المطففين: 1 ]؛ مطلع سورة خصّت المطففين دون غيرهم بالويل والعذاب الشديد، وبيّنت

---

(1)- ابن عطية، المحرر الوجيز، 5/ 449.

(2)- الألوسي، روح المعاني، 30/ 68.

(3)- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 30/ 189.

(4)- الرازي، مفاتيح الغيب، 31/ 88.

(5)- ابن عطية، المحرر الوجيز، 1/ 380، ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، 4/ 485.

(6)- ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، 9/ 211.

صــفة هــؤلاء المطففــين: ﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ ﴾ [المطففين: 1-3 ]؛ والويل لا يكون إلا لمن خالف وعصى أمر الله تعالى.

يستنبط مما جاء به القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة المطففين:

أنّ التطفيف هو طلب إيفاء الكيل من الناس عند الكيل والوزن منهم، أمّا حين الوزن لهم فيكون بإنقاص وإخسار الميزان. ويلحق بالوزن والكيل ما أشبههما من المقاييس والمعايير التي يتعامل بها الناس.

هذه الآية " تحذير للمسلمين من التساهل في التطفيف إذ وجدوه فاشيا في المدينة في أول هجرتهم وذمّ للمشركين من أهل المدينة وأهل مكة وحسبهم أنّ التطفيف يجمع ظلما واختلاسا ولؤما، والعرب كانوا يتعيرون بكل واحد هذه الخلال متفرقة ويتبرؤون منها ثمّ يأتونها مجتمعة،....ولما كان الحامل لهم على التطفيف احتقارهم أهل الجلب من أهل البوادي فلا يقيمون لهم ما هو شعار العدل والمساواة، كان التطفيف لذلك منبئا عن إثم احتقار الحقوق، وذلك قد صار خلقا لهم حتى تخلقوا بمكابرة دعاة الحق، وقد أشار إلى هذا التنويه به قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ٧ ﴾ [الرحمن: 7] وناهيك بذلك أفنا. "[1]

فالتطفيف هنا إنما خُصّ به أمر الوزن والكيل[2]، الذي كان طاغيا على المعاملات التجارية بين الناس باستعمال المكاييل والموازين، فأدى جشع الجشعين إلى التطفيف وأكل أموال الغير بالباطل.

و سمي هذا المطفف مطفِّفًــا لأنـه يسرق من الكيل أو الميزان الشـيء اليسير الطفيف.[3]

ولما كان التطفيف من السلوكات التي كانت متفشية في قوم مدين فقد أرسل الله تعالى إليهم سيدنا شعيبا ليبين لهم فساد معتقداتهم وسلوكاتهم التي ستعود عليهم بالهلاك؛

[1]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 30 / 192.

[2]- ابن عطية، المحرر الوجيز، 5/ 450.

[3]- الرّازي، مفاتيح الغيب، 31/ 88، ابن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز، 5 / 105.

قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨٥) ﴾ [الأعراف: 85].

فهذه دعوة سيدنا شعيب لقومه التي ابتدأها بالدعوة إلى عبادة الله وتوحيده لأنّ الإيمان بالله طريق لصلاح القلب وصلاح الأفعال، ثمّ شرع يأمرهم بالشرائع التي تسير معاملاتهم وعلاقاتهم؛ فكان الأمر بإيفاء الكيل والميزان والنهي عن بخس الناس أشياءهم.

" فأمر المكيال والميزان عظيم، وذلك لأن عامة الخلق يحتاجون إلى المعاملات؛ وهي مبنية على أمر المكيال والميزان، ولهذا السبب عظم الله أمره فقال: ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩) ﴾ [الرحمن: 7 – 9]، وقال: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ ﴾ [الحديد: 25] ".[1]

أما البخس فهو من الألفاظ المتعلقة بالموازين والأثمان، كما أنها تحمل معنى النقص والظلم؛ فأن تبخس أخاك حقه أي أنك تنقصه، كما يبخس الكيّال مكياله فينقصه، وثمن بخس أي قليل ناقص عمَّا يُحَبُّ، وقوله تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ [يوسف: 20] أي ناقص دون ثمنه المستحق.[2]

وعلى هذا فالبخس هو إنقاص شيء من صفة أو مقدار هو حقيق بكمالٍ في نوعه، ففيه معنى الظلم والتحايل والمخادعة، التي تذهب بحق الإنسان؛ فمن البخس أن ينتفع الباخس الراغب في السلعة المبخوسة بأن يصرف الناس عن الرغبة فيها فتبقى كلّاً على جالبها فيضطرّ إلى بيعها بثمن زهيد، وقد يقصد منه إلقاء الشكّ في نفس جالب السلعة بأنّ سلعته دون ما هو رائج بين الناس، فيدخله اليأس من فوائد نتاجه فتكسل الهمم.[3]

---

(1)– مفاتيح الغيب، الرازي، 31/ 90.

(2)– ابن منظور، لسان العرب، ص: 221، التحرير والتنوير، ابن عاشور، 8/ 242.

(3)– التحرير والتنوير، ابن عاشور، 8/ 242– 243.

هذه دعوة شعيب لقومه، وهي دعوة الرسل كلهم بوعظ الناس؛ بأن يوفوا المكيال والميزان، ولا يبخسوا الناس أشياءهم، أي لا يخونوا الناس في أموالهم، ويأخذوها على وجه البخس خفيةً وتدليسا، وفي قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾ [المطففين: 1-6 ] تهديد شديد ووعيد أكيد[1]، يلحق المطففين في كل زمان ومكان.

كما يندرج تحت التطفيف موضوع الغشّ، الذي يعدّ صفة لصيقة بكل مطفف؛ لأن المطفف غاش لصاحب الحق عندما أنقص حقه في وفاء وتمام الكيل أو الوزن خفية، لأن لو علم هذا السلوك منه لم يقبل إتمام المعاملة أو البيعة، ولو اكتشف الغش بعد تمامها لأدى ذلك إلى ضيق صدره وامتلاء قلبه غلا وحقدا تجاه هذا البائع الغشاش الذي استخف بصاحبه وهان عليه ؛ ومن هنا جاء تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من الغش وتوعّد فاعله؛ وذلك عندما مرّ على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال: { ما هذا يا صاحِبَ الطَّعَامِ ؟ } قال: أصابته السماء يا رسول الله.قال: { أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ غشَّ فليس مني }. [2]

وكفى باللفظ النبوي " ليس منّي " زاجرا عن الغشّ، ورادعًا من الوُلوغ في حياضه الدّنسة، وحاجزا من الوقوع في مستنقعه الآسن.

لقد تيقظ الإسلام لبوادر الجفاء والتباعد التي تنتج بين المسلمين بسبب المعاملات الفاسدة، فتتسلّل إلى مختلف جوانب حياتهم، فلاحقها بالعلاج قبل أن تستفحل وتتحول إلى عداوة فاجرة، ولأنّ البشر متفاوتون في أمزجتهم وأفهامهم، وأنّ التقاءهم واحتكاكهم في ميادين الحياة قد يتولّد عنه ضيق وانحراف، إنْ لم يكنْ صدام وتباعد، شرع الإسلام من

[1]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ، 6/ 348.

[2]- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: من غشنا فليس منا، مج 1/ 59، وفي نسخة أخرى، 69/1

المبادئ ما يرد عن المسلمين في تعاملاتهم اليومية أسباب التصادم والتقاطع، وما يمسك قلوبهم على مشاعر المودة والتراحم.

قد يحدث أن يشعر المسلم بإساءة أو بخس لحق من حقوقه، فيحزن لها ويضيق بها، ويعزم على قطع صاحبها، ولكن الله لا يرضى أن تنتهي الصلة بين مسلم ومسلم إلى هذا المصير.[1]

إنّ فساد المعاملات المالية بين المسلمين، بسبب الأطماع وشهوة جمع الأموال، أو الربح العاجل، ممّا يستسهل ويستصغر مفسدة التطفيف والغشّ التي لا تخلو من الحيلة والخديعة، وهي خلال تمجُّها الفطرة والطبائع السليمة، ومن ثَمّ تنفّر من كل مطفف وغشّاش، ولو كان من أصحاب الحقوق، الأمر الذي يخلف الشقاق والقطيعة، التي لا تخلف إلا الضعف والهوان، وهذا ما يمكن أن يطلق عليه توالد المفاسد.

ولإيقاف مدّ المفاسد والحد من تداعياتها، بات لزاما الضرب على أيدي المطففين بالإجراءات التي تردعهم؛ كأن يكون تغريمهم في مقابل جشعهم وطمعهم في الربح العاجل؛ أي من باب الجزاء من جنس العمل.

ومجمل القول، أنّ التطفيف في الميزان وإنقاصه، مفسدة من المفاسد التي تخصّ جانب المعاملات المالية بين الأشخاص، وهي مفسدة كونها داخلة في أخذ حقوق الغير من دون وجه حق، من طريق الغش والخديعة، وكلها من المنهي عنه في الإسلام، نهيا قاطعا لا استثناء له. فالإسلام جاء لإرساء مبدأ الثقة في التعاملات، وأن الدّين كله قائم على حسن المعاملة في كل جوانب الحياة، وهو أصلٌ من أصول هذا الدّين.

---

[1]– الغزالي، محمد الغزالي، خلق المسلم، دار المعرفة، ( د ط، د ت )، ص: 88.

## المطلب الخامس: الإسراف والتبذير.

### أولا: الإسراف.

#### في اللغة.

السَّرَف والإسراف مجاوزة القصد، والإسراف في النفقة التبذير، وأسرف في الكلام وفي القتل: أفرط، والسّرف: الخطأ، وأخطأ الشيء وضعه في غير حقه.(1)

والإسراف الإكثار من الذنوب والخطايا، واحتقاب الأوزار والآثام وحملها.

وسرِفَ الشيء – بالكسر– سرفًا أغفله وأخطأه وجهله.

وأسرف الرجل إذا جاوز الحدّ، وأسرف إذا أخطأ، وأسرف إذا غَفَلَ، وأسرف إذا جهل.(2)

#### في الاصطلاح:

جاء لفظ الإسراف في القرآن الكريم على معانٍ متقاربة، ترجع جميعها إلى الأصل اللغوي؛ وهو مجاوزة القصد أو الحدّ قولا وفعلا، وهذا الحدّ هو الحدّ المباح الذي أحلّه الله تعالى لعباده، فمتى زاد الأمر عن هذا الحدّ عدّ من الإسراف.

فالإسراف كما جاء عند **الطبري** هو: تجاوز الحدّ المباح إلى ما لمْ يُبَحْ، وقد يكون إفراطا أو تقصيرا. واللغة المستعملة في الإفراط أن يقال أسرف يسرِف إسرافًا، وإذا كان في التقصير فالكلام منه: سرِف يسرَفُ سَرَفًا .(3)

والإسراف في **نظم الدّرر** هو: الخروج عن القصد في التصرّف، ووضع الشيء في غير موضعه.(4)

---

(1)– ابن منظور، لسان العرب، ص: 1996.

(2)– المرجع نفسه، ص: 1997.

(3)– الطبري، جامع البيان، 6/ 408– 409.

(4)– البقاعي، نظم الدّرر، 5/ 197.

وكأن في مفهوم **البقاعي** شبها بمفهوم الفساد، في خروج كليهما عن القصد والاستقامة.

والإسراف والسّرَف أيضا هو تجاوز الكافي إرضاء للنفس وما تشتهي. [1]

وفي هذا المفهوم إشارة إلى تحكم شهوة النفس ودفعها إلى تجاوز ما يكفيها، وهذا هو الإسراف.

وقد ورد لفظ الإسراف في عدة مواضع من آيات القرآن الكريم، يتعلق فيها الإسراف بعدة أمور، منها:

– الإسراف في أكل أموال اليتامى.

لقوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ ﴾ [ النساء: 6 ].

والنهي هنا عن أكل أموال اليتامى بصفة الإسراف هو نهي عن " الإفراط في الإنفاق والتوسع في شؤون اللذات ".[2]وتجاوز الحد المباح إلى ما يزيد عن الحاجة، حتى لا يبقى من الأموال عند كبرهم.

– الإسراف في الأكل والشرب.

يقول الله تعالى: ﴿ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [الأنعام: 141].

لمّا أمر الله بالأكل من الثمر وبإيتاء حقه، نهى عن مجاوزة الحدّ في البسط أو القبض بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ ﴾ وهذا النهي يتضمن الإسراف في أكل الثمر حتى لا يبقى منها شيء للزكاة، والنهي عن الإسراف في الصدقة حتى لا يبقي لنفسه ولا لعياله شيئا، [3] ويؤيد هذا قوله تعالى أيضا: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ [ الأعراف: 31]، وقوله أيضا: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ [الإسراء: 29].

---

[1]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 8/ 122.

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، 4/ 244.

[3]– البقاعي، نظم الدرر، 7/ 292– 293.

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾ [ الأعراف: 31]؛ ﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾ معناه ولا تُفْرِطوا، قال أهل التأويل: يريد ولا تسرفوا بأن تحرموا على أنفسكم ما لم يحرم الله عزّ وجلّ، واللفظ يقتضي النهي عن السرف مطلقا، فمن تلبس بفعل حرام فتأول تلبسه به حصل من المسرفين وتوجه النهي عليه، ومن تلبس بفعل مباح فإن مشى فيه على القصد وأوساط الأمور فحسن، وإن أفرط حتى دخل الضرر حصل أيضا من المسرفين.[1]

وعليه فإن الإسراف هو " تجاوز الحدّ في كل شيء".[2]سواء بالإفراط أو بالتفريط.

وجدير بالذكر هنا، الإشارة إلى تعلق الإسراف بالأكل والشرب في قوله تعالى: ﴿ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [الأنعام: 141].

وقوله تعالى: ﴿ ۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ [ الأعراف: 31].

بحيث يظهر جليا أنّ الإسراف المنهي عنه هنا هو الإسراف المتعلق بالأكل والشرب، ومن ثم فالإسراف هنا هو كل ما يتعلق بالنفقة واستعمال المال، وهو الأشهر عند إطلاق لفظي: الإسراف أو مسرف.

- الإسراف على النفس بالذنوب.

يوجد في القرآن الكريم ذكر للإسراف والمسرفين في آيات عديدة، ولا يتعلق الأمر فيها بأكل أو شرب ولا نفقة؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿ ۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٥٣ ﴾ [الزمر: 53]، فالإسراف المقصود في الآية هو" الإكثار، و الإسراف في الذنوب والمعاصي،...والإكثار من أعمال

---

[1]- ابن عطية، المحررالوجيز، 2/ 393، الثعالبي، الجواهر الحسان، 3/ 24.

[2]- وهبة الزحيلي، التفسير الوجيز على هامش القرآن العظيم، دار الفكر، دمشق، سورية، ( د ط، د ت )، ص: 155.

تتحملها النفس وتثقل بها...فمعنى أسرفوا على أنفسهم: أنهم جلبوا لأنفسهم ما تثقلهم تبعته ليشمل ما اقترفوه من شرك وسيئات".(1)

والمراد بالإسراف هنا أيضا " اتباع ما تدعوهم إليه أنفسهم من الذنوب والسعي في مساخط علام الغيوب ".(2)

وعليه فإن الإسراف على النفس هو باتباع هواها، التي كثيرا ما يستولي عليها الشيطان، فتنزلق إلى اقتراف الذنوب والسيئات، وهذا هو التفريط في جنب الله الذي ذكره القرآن الكريم في عقب الآية المذكورة آنفا، وهي من باب تفسير القرآن بالقرآن، يقول الله عزّوجلّ: ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الزمر: 53 - 56].

وهذا هو المعنى المراد بالإسراف، في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [آل عمران: 147].

فالإسراف هنا هو " مجاوزة الحد إلى ما حرم، علموا أن الذنوب والإسراف من أعظم أسباب الخذلان، وأنّ التخلي عنها من أسباب النصر فسألوا ربهم مغفرتها".(3)

وقال **ابن عطية** في قوله تعالى: ﴿ ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا ﴾ أنهما عبارتان عن معنى قريب بعضه من بعض؛ وأنّ ذلك جاء للتأكيد ولتعمّ مناحي الذنوب.(4)

---

(1)- ابن عاشور، التحريروالتنوير، 24/ 41- 42.

(2)- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، (ط 1،1423هـ/ 2002م )، ص: 727.

(3)- السعدي، تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص: 151.

(4)- ابن عطية، المحرر الوجيز، 1/ 522.

إلا أن صاحب **معالم التنزيل** رأى أنّ: ﴿ ذُنُوبَنَا ﴾هي الصغائر، و﴿ وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا ﴾أي الكبائر.[1]

وذهب **القوجوي** إلى أن الإسراف في الذنب والإفراط فيه كبيرة. ويحتمل أن يكون الذنب والإفراط واحدًا، ويكون المقصود من ذكرهما معا المبالغة في الاعتراف بالذنب.[2]

ويدخل في معنى الإسراف هنا، تعدّي أوامر الله عزّوجلّ وتجاوزها؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ٣٣ ﴾ [الإسراء: 33]، أي لا يسرف ولي المقتول ولا يتعدى أمر الله، والتعدي أن يقتل غير قاتل وليه، أو يقتل اثنين بواحد، وغير ذلك من وجوه التعدّي.[3]ولا شكّ أنّ الشيء الذي يقود إلى تجاوز حدود الله في ذلك، هو تحكم الأهواء وغلبتها، وهذه بلا ريب مفسدة كبيرة تؤدي إلى تعطيل الأحكام المبينة في الشريعة الإسلامية.

ممّا سبق يظهر أن مفهوم الإسراف يفهم من سياق الآيات، ومن اللفظ المتعلق به؛ قد يكون متعلقا بأموال اليتامى، أو متعلقا بالأكل والشرب، أو بالنفس، أو الإسراف في القتل وغيرها، وكلها تعني تجاوز الحدّ في كل لفظ متعلق به، والذي يفيد معنى الخروج عن الاستقامة وهو الفساد.

## ثانيا: التبذير.

هذا عن الإسراف والسّرف، أما التبذير فهو:

### في اللغة:

تقول بذّر المال؛ أفسده وأنفقه في السرف، وكلّ ما فرّقته وأفسدته فقد بذّرته.

---

[1]- البغوي، معالم التنزيل، 2/ 117.

[2]– القوجوي، محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي، حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، ضبطه وصححه: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ( ط 1، 1419هـ/ 1999م )، 3/ 187.

[3]– ابن عطية، المحرر الوجيز، 3/ 453.

وتبذير المال: تفريقه إسرافا.

والتبذير إفساد المال وإنفاقه في السّرَف.

وقيل التبذير أن ينفق المال في المعاصي.

وقيل: هو أن يبسط يده في إنفاقه حتى لا يبقى منه ما يقتاته؛ وذلك استنادًا لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء: 29].[1]

بمعنى أن التبذير يحمل معنى الإفساد؛ سواء في وجوه صرف الأموال، أو في كثرة وجوه صرفها إلى الحدّ الذي لا يبقى منها شيء.

## في الاصطلاح:

لم يرد ذكر لفظة التبذير، أو إحدى اشتقاقاتها إلا في موضع واحدٍ من القرآن الكريم؛ وذلك في سورة الإسراء، في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإسراء: 26 – 27]، إلا أنّ الآية جمعت بين الفعل واسم الفاعل والمفعول المطلق، في آيتين متتاليتين من سورة واحدة، وبصيغة التأكيد؛ مرة بالمفعول المطلق، ومرة بحرف التوكيد إنّ.

وأصل التبذير التفريق وتوزيع الأموال في سرف ومعصية. وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ أي: لا تفرق يا محمد ما أعطاك الله من مالٍ في معصيته تفريقا.[2]

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنه تفسيرا لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ قال: المبذر المنفق في غير حقّ.[3]

وعنه أيضا: لا تنفق في الباطل فإنّ المبذر هو المسرف في غير حقّ.[4]

وعن ابن مسعود قال: كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدّث أنّ التبذير النفقة في غير حقه.[5]

---

(1)– ابن منظور، لسان العرب، باب الباء، ص: 237.

(2)- الطبري، جامع البيان، 427/17.

(3)– المرجع نفسه، 429/17.

(4)– نفسه، الصفحة نفسها.

(5)– نفسه، الصفحة نفسها.

وعن قتادة التبذير: هو النفقة في معصية الله وفي غير الحقّ وفي الفساد.(1)

إذن التبذير مرتبط بالمال وطريقة إنفاقه؛ فتفريقه ووضعه في غير موضعه المناسب، وصرفه في غير طاعة الله، وفيما لا ينبغي، يوقع صاحبه في التبذير، ويدخله في زمرة المبذرين المفسدين.

وذهب الشيخ **الشعراوي** في تفسيره إلى أنّ " التبذير صرف المال في غير حلّه، أو في غير حاجة، أو ضرورة- والنهي عن التبذير هنا-﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الإسراء: 26 ] . قد يراد منه النهي عن التبذير في الإيتاء، يعني حينما تعطي حق الزكاة فلا تأخذك الأريحية الإيمانية، فتعطي أكثر مما يجب عليك، وربما سمعت ثناء الناس وشكرهم فتزيد في عطائك، ثم بعد ذلك وبعد أن تخلو إلى نفسك ربما ندمت على ما فعلت ولمت نفسك على هذا الإسراف".(2)

ولهذا جاء قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء: 29]، كقاعدة مهمة من القواعد الإسلامية التي تحقق الوسطية في الإنفاق، وضعها القرآن الكريم بين أيدينا، يتبعها المسلم في حياته، في الفرائض والمندوبات، وفي الإمساك والإنفاق، وينأى بنفسه عن الإفساد والفساد.

## ثالثا: الفرق بين الإسراف والتبذير.

يمكن إدراك وجه الاتفاق والاختلاف بين اللفظين، بالعودة إلى المعاني المسوقة سابقا؛ فإذا كان الإسراف هو مجاوزة الحدّ قولا وفعلا، والتبذير هو تفريق المال في غير حلَّه وفي غير موضعه، فإنهما بهذا يلتقيان عند تعلقهما بالإنفاق و بالمال، وصرفه في غير موضعه، وفي غير حاجة، ولكن الإسراف أعمّ وأوسع من التبذير؛ لأن التبذير يختصّ بإنفاق الأموال في غير موضعها، أما الإسراف فقد يطلق على الإنفاق وتجاوز الحد المشروع في ذلك، ويزيد عن التبذير بإطلاقه في غير الأموال؛ كالإسراف في تطبيق تعاليم الدين الإسلامي الذي قد يؤدي إلى التنطع والخروج عن الاستقامة المطلوبة، وهذا

(1)- الطبري، جامع البيان، 429/17.

(2)- الشعراوي، تفسير الشعراوي، 14/ 8475.

ضرب من ضروب الفساد أو الإفساد في الأرض، كما يطلق على اقتراف الذنوب وسائر المعاصي من أقوال وأفعال؛ ويطلق على الإسراف في الأكل والشرب، والإسراف في اقتراف الذنوب ومختلف المعاصي، ومن ذلك دعاء عباد الله الصالحين: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا﴾[آل عمران: 147].

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ ناسا من أهل الشركِ جاؤوا إلى النبي محمدا صلى الله عليه وسلم يسألون عن كفّارة لما ارتكبوه من قتل وزناً، وقد أكثروا في ذلك، فقالوا: إنّ الذي تقول وتدعو إليه لَحَسن، لو تخبرنا أنّ لِما عملنا كفارة. فنزل ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ﴾، ونزل ﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾.[1]

بعد إيراد هذه المعاني لكل من الإسراف والتبذير، يمكن القول أنهما من المفاسد التي برزت في أوساط المجتمعات عموما بشكل لافت، وقد ذمها ديننا الحنيف، وجاءت التعاليم الإسلامية ناهية عنها نهيا جازما، ويجعل من المبذرين إخوانا للشياطين، يسري عليهم حكم واحد وهو أن الشيطان كان لربه كفورا، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ٢٧﴾ [الإسراء: 27].

فكأنّ المبذرين اجتمعوا مع الشياطين في هوية واحدة، وودّ واحد، وانتظمتهما صفات واحدة من الشرّ والإفساد.[2]

و" أنّ الحقّ تبارك وتعالى جعلهما شريكين في صفة واحدة هي التبذير والإسراف، فإن كان المبذر قد أسرف في الإنفاق ووضع المال في غير حله وفي غير ضرورة، فإنّ الشيطان أسرف في المعصية، فلم يكتف بأن يكون عاصيا في ذاته، بل عدى المعصية إلى غيره وأغوى بها وزينها؛ لذلك وصفه الحق سبحانه بقوله: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا

---

(1)- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، 3/ 284- 285، برقم (4810).

(2)- الشعراوي، تفسير الشعراوي، 14/ 8476.

﴿ ٢٧ ﴾؛ ليس كافرا فحسب بل كفور، وهي صيغة مبالغة من الكفر، لأنه كفر وعمل على تكفير غيره".[1]فنفى الله عزوجل عنهم حبه، وجعلهم من أصحاب النار.

لقوله عزّوجلّ: ﴿ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١ ﴾ [الأنعام: 141].

وقوله أيضا: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ٤٣ ﴾ [غافر: 43].

لقد مرّ في مبحث سابق، أنّ لفظ المسرفين من الأسماء التي أطلقها القرآن الكريم على المفسدين، عندما أخبر القرآن الكريم عن فرعون وعلوه في الأرض، وأنه من المسرفين:

﴿ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٨٣ ﴾ [يونس: 83]؛ لأنه كان ذا سلطة ضخمة وجبروت، كما كان مسرفا في الطغيان، لا يقف عند حدّ.[2]

فحقّ عليه العذاب والهلاك، وحقت عليه سنة الله التي لا تتخلف؛ بأن يحل الهلاك بالمفسدين المسرفين، لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٩ ﴾ [الأنبياء: 9].

وفي ختام هذا المطلب، تجدر الإشارة إلى أن الإسراف والتبذير، وتعدي حدود الله منهي عنه[3]الغني والفقير في النهي سواء؛ في اقتراف المعاصي والمنهيات، أو في الإنفاق الزائد فوق الحاجة؛ فالغني يسرف ويبذر حتى يصبح من المترفين المفسدين في الأرض، والفقير يسرف ويبذر إذا كلف نفسه فوق طاقتها حتى يرضي شهواته أو شهوات أهله، ويحاول الظهور بمظهر المرتاح ماديا، في حين أنه يجهد نفسه ويثقل عليها بمختلف الرغبات والشهوات التي قد لا يستطيع كبحها.

---

(1)– الشعراوي، تفسير الشعراوي، 14/ 8478.

(2)– سيد قطب، في ظلال القرآن، 3/ 1815.

(3)– قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ [الحشر: 7]، أمر بالانتهاء عن المنهي عنه، والأمر للوجوب، فكان الانتهاء عن المنهي واجبا، فخر الدين بن الحسين الرازي، المحصول في علم أصول الفقه، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، (د ط. دت )، 2/ 281.

وعلى هذا فإنّ " المعول عليه في الإنفاق في كل طبقة، عرف المعتدلين فيها، فمن تجاوز طاقته مباراةً لمن هم أغنى منه وأقدر كان مسرفًا، وكم جرّ الإسراف إلى خراب بيوت عامرة ولا سيما في المهور وتجهيز العرائس وحفل العرس والمأتم ...وهذا السّرف كبير الضرر عظيم الخطر على الأمم، أكثر من ضرره على الأفراد."[1]

أضف إلى ذلك أنّ الإسراف إذا اعتاده المرء حمله على التوسع في تحصيل المرغوبات فيرتكب لذلك مذمات وسيئات كثيرة، ينتقل من ملذة إلى ملذات فلا يقف عن حدّ[2]، وهذا يورده مورد المترفين المفسدين، ليس فسادا في أنفسهم فحسب، ولكن إفسادا لغيرهم من أبناء جلدتهم، وهذا ما يجر عليهم الهلاك لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء: 16].

إنّ السّرف في الإنفاق في العصور المتأخرة، تحوّل من سلوك فرديٍّ لدى بعض التجار والواجدين، إلى ظاهرة عامة تجتاح الأمة كلها؛ فالواجد يسرف والذي لا يجد يقترض من أجل أن يسرف، ويلبّي متطلبات أسرته من الكماليات ومالا يحتاجون إليه، وهذا من إفرازات الرأسمالية العالمية التي أقنعت الناس بركوب ما يصعب عليها ركوبه؛ رغبة في الظهور بمظهر الطبقة المرفهة، وكل ذلك بسبب تأثير برامج الدعاية والإعلان في وسائل الإعلام المختلفة.

إنّ المذاهب الرأسمالية اليوم، ترى أنّ المحرك الأساس للإنتاج هو الطّلب، فحيثما وجد الطلب وجد الإنتاج، ومن ثم فإن الإعلانات التجارية تتولى فتح شهية المستهلك للاستهلاك، وتلقي في روعه أنه إذا لم يستهلك السلع المعلن عنها فسيكون غير سعيد، وغير فعّال، وسيظهر بمظهر غير لائقٍ، وهذا كله جعل الناس يلهثون خلف سلع كمالية، ويبكون عليها كما يبكي المولود في طلب الرضاعة، وأضحى رب الأسرة المستورة يستدين بالربا من البنوك لتلبية رغبة أسرته في السفر إلى الخارج، أو لإقامة حفلة زواج لابنه أو ابنته تليق بواقع الناس، وهكذا يقال في العمران والأثاث والمراكب والملابس والمطاعم وغيرها، بينما منهج الإسلام تربية الناس لا على الاستهلاك وإنما على الاستغناء عن

---

[1]- المراغي، تفسير المراغي، 8/ 134.

[2]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 8/ 123.

الأشياء بدل الاستغناء بها، حتى لا تستعبدهم المادة كما هو حال كثير من الناس اليوم؛ إذ أصبحوا منساقين بلا إرادةٍ، ولا تبصُّرٍ إلى الإسراف وهدر الأموال، فيما لا ينفع تقليدا للغير.[1]

من هنا يتأكد مرة أخرى أنّ الفساد والمفاسد يجرّ بعضها بعضا؛ فإذا أسرف العبد وتجاوز حدود ما نهي عنه من الذنوب والآثام، سهل عليه الوقوع في ذنوب ومعاص أخرى، وكذلك التبذير وتجاوز الحد في الإنفاق يعدّ مفسدة من المفاسد الاجتماعية، وإن كانت في أصحاب المال والثراء ظاهرة، فهي كذلك عند الفئات المتوسطة أودونها موجودة؛ عندما تدفعهم الشهوات إلى تحصيل ما يقاربون ويضاهون به أهل الغنى، ولومن طرق فاسدة وغير مشروعة.

---

(1) -http: //almoslim.net/node/15046

# المبحث الرابع: الفساد السياسي.

ليست مجالات الفساد المذكورة آنفا بأكثر انتشارا، أو أكثر تأثيرا، في الأفراد والجماعات من الفساد السياسي، بل قد يكون هذا الأخير الأكثر تحكما في مدى انتشار واستفحال صور الفساد السابقة الذكر لارتباطه بطريق ونظام الحكم وإدارة شؤون البلاد والعباد؛ حتى أنه يمكن القول أنه إذا صلحت السياسة بكل معانيها المتبادرة إلى الأفهام، صلحت باقي المجالات من أخلاق واجتماع واقتصاد...ولو بقوة وسلطة الحكم والقانون، وهو المعنى المستفاد من الأثر: إنّ الله ليزغ بالسلطان ما لا يزغ بالقرآن.

لقد ارتبط مفهوم لفظ السياسة في أذهان الكثيرين من الخاصّة والعامّة من الناس؛ مثقفين، وباحثين ودهماء..بالكذب والنفاق وبثّ الشقاق، وتبرير الوسيلة وُصولاً للهدف، وحسن الاحتيال...وغيرها، وأنّ السياسي هو الذي يتفنن ويقنن ويبرر للكذب والاحتيال، وربما أخذوا هذا المفهوم ممّا استنتجوه من واقع أحوالهم.

ولهذا وجب الوقوف بداية على مفهوم لفظين شاع ارتباطهما في مجال الحكم والسياسة وهما : النظام والسياسة، أو النظام السياسي.

وفي هذا المبحث أيضا، محاولة للبحث عن أنواع الفساد أو المفاسد التي ترتبط بعلاقة أو بأخرى بمجال السياسة ونظم الحكم.

## المطلب الأول: مفهوم النظام والسياسة.

### أولا: في اللغة:

النظام من النَّظْم وهو التَّأليف، تقول: نَظَمَهُ يَنْظِمُهُ نَظْمًا ونِظامًا، ونظَّمَهُ فانتظم وتَنَظَّمَ. ونَظَمْتُ اللُّؤْلُؤَ إذا جمعتُه في السلك، ومثله التنظيم. كما تقول: نَظَمْتُ الشِّعر ونظَّمتُهُ ونَظَمَ الأمرَ على المَثَلِ.

وكلُّ شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نَظَمْتَهُ.

ونظام كلِّ أمرٍ: مِلاكُه، والجمع أنْظِمَة، ونُظُمٌ، ويقال ليس لأمره نظام، أي لا تستقيم طريقته، والانتظام الاتساق.

ويقال: ليس لأمرهم نظام، أي ليس لهم هَدْيٌ ولا استقامة. [1]

يتضح أنّ أصل معنى النَّظم أو النظام هو الجمع في ترتيب واتساق، كما يكون في جمع الأمور ومختلف القضايا على هدي واستقامة لا انحراف فيها.

ولهذا نجده مضافا لكثير من التشريعات، سواء أ كانت إلهية أم وضعية؛ فللزكاة نظام، وللإرث نظام، وللمجموعة الشمسية نظام ولحركة المرور نظام ، وكذلك لسياسة وحكم البلاد نظام، وهكذا.

أمّا لفظ السياسة، فمن الفعل ساس يسوس، والاسم سياسة.

وساسَ الأمرَ سياسةً: قامَ به، ورجلٌ ساسٌ من قومٍ ساسةٍ وسوّاسٌ.

وسَوَّسَهُ القَوْمُ: جعَلوهُ يسوسُهم. ويقال: سُوِّسَ فلانٌ أمر بني فلان، أي كلِّفَ سياستهم.

والسياسةُ القيام على الشيء بما يصلحه. والسياسة فعل السائس. يقال هو يسوس الدواب إذا قام عليها وراضها، والوالي يسوس رعيَّتَهُ.[2]

فيكون من الدلالات اللغوية للفظ السياسة: التدبير والإصلاح، أي القيام على الشيء بما يصلحه.

## ثانيا: في الاصطلاح.

لم يرد مصطلح النظام السياسي في مؤلفات القدامى من كتب التفسير أو الحديث، مما يدل على أن المصطلح حديث الاستعمال.

وأكثر ما يعبّر عنه هذا المركب اللفظي في إطار الدراسات الإسلامية: هو النهج والطريقة التي يتبعها أصحاب القرار والسلطة في تسيير مؤسسات البلاد وشعبها.ويمكن أن يصطلح على تسميتها بنظام الحكم.

وعلى هذا يكون المعنى المراد عند الجمع بين اللفظين، هو القيام على صلاح وإصلاح شؤون الرعية، وفق نظامٍ واستقامةٍ واتساقٍ وانسجامٍ.

[1]– ابن منظور، لسان العرب، 12باب النون، ص: 4469.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، باب السين، ص: 2149.

ومتى اعترى هذا النظامَ خللٌ في انتظامه أو عدمُ اتساقٍ، كان الخروج عن طريق الانسجام والاستقامة، ومن ثَم يكون فساد السياسة، التي كان الأصل فيها الإصلاح.

فماهو الخلل أو الفساد الذي قد يصيب الأنظمة السياسية ؟.

## المطلب الثاني: الفساد في النظم السياسية(نظم الحكم)

لقد تأسست الدولة الإسلامية الأولى في المدينة عقب هجرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إليها، وعاش المسلمون في ظل الحكم النبوي المبني على البيعة والشورى والعدل والمساواة، التي تعدّ أهمّ المبادئ والأسس التي يجب أن تقوم عليها الأنظمة السياسية، والتي تضمن لها البقاء والتعمير طويلا.

فهي – أي الدولة الإسلامية الأولى في المدينة–" أقدم صورة معروفة إلى اليوم في تاريخ الإنسانية للدولة، باعتبارها صورة تاريخية من صور المجتمع السياسي، وذلك بفضل تميزها عن غيرها من المجتمعات السياسية التي سبقتها في الوجود، أو التي كانت معاصرة، بتقرير مبدأ الشرعية أي مبدأ خضوع الدولة للقانون؛ ذلك أنّ الدولة باعتبارها صورة من صور المجتمع السياسي، كما يشترط لقيامها توافر العناصر المادية الثلاثة: الشعب، الأرض، السلطة؛ فإنه يشترط لكي يعدّ مجتمع ما دولة، أن يتوافر كذلك عنصر معنوي هو أن تكون السيادة في هذا المجتمع للقانون؛ بمعنى أنه كما يخضع الأفراد للقوانين التي تصدرها السلطة المختصة في الدولة، فإن مؤسسات الحكم والإدارة تخضع كذلك لهذه القوانين وتتحمل تبعة الإخلال بها كما يتحملها الأفراد سواء بسواء."[1]

ومؤسسات الحكم التي تدير شؤون الأمة ممثلة من دون شك في شخص الحاكم الأول في الدولة، لأنه هو الذي يملك آليات وصلاحيات التغيير والإصلاح أو الإفساد.

ولهذا نجد القرآن الكريم في الكثير من الآيات يتوجه بالخطاب إلى الحاكم سائس الأمة ومدبّر شؤونها.

---

[1]– محمد سليم العوّا، في النظام السياسي للدولة الإسلامية، دار الشروق، ( ط 8، 1427هـ – / 2006م )، ص: 21.

يقـول الله تعـالى: ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [المائدة: 42].

ويقول: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة: 44].

ويقـول أيضـا: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [المائـدة: 45].

ومن هنا يمكن القول، إن الحاكم الذي وُلي أمور الأمة، لا بد أن يحكم بما أنزله الله، ورضِيه للمسلمين شرعة ومنهاجا، وإلا جلب لأمته ونفسه الفساد لا الصلاح.

كما يمكن أن نستنبط من هذه الآيات، أن من المفاسد التي تصيب الأنظمة السياسية فساد الحكام.

فمتى يكون الحاكم فاسدا؟.

## أولا: فساد الحكام.

يطرح القرآن الكريم قضية فرعون وهامان كنموذج للأنظمة المستبدة الفاسدة التي أفسدت في الأرض، والتي جمعت أغلب صور وأنواع الفساد في الأرض: يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص: 4].

ويقول أيضا: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [القصص: 38 – 39].

فقد جمع فرعون كلّ أنواع الفساد والإفساد في الأرض؛ من ادّعاء الألوهية، وهذا التجرؤ يعني فساد معتقده، حتى تعدى ذلك إلى تقتيل المستضعفين، والاستكبار والعلوّ في الأرض بغير الحقّ، والاستفراد بمقاليد الحكم، والتحكم في رقاب العباد، وفي مقدراتهم وممتلكاتهم، ولهذا فهو يعطي الصورة الواضحة لفساد الحكام وإفسادهم في الأرض بغير حقّ.

و من الألفاظ الدلالية، اللصيقة بلفظ الحاكم؛ بحيث إذا ذكر الحاكم تبادر إلى الأذهان، هو لفظ العدل أو القسط، وهو ما يستفاد من الآيات القرآنية الكريمة، حين يقول المولى عزوجلّ في محكم التنزيل: ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [المائدة: 42].

والحكم بالقسط المراد في الآية أي بالعدل، العدل الذي أراكه الله تعالى[1]، " وهو الحكم بما جعله الله حكما في مثله على جميع خلقه من أمة نبينا صلى الله عليه وسلم"[2].

وإذا كان الخطاب في الآية موجها لسيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم، باعتباره الحاكم الأول، فإنه تعالى يوجه الخطاب من بعد نبيّه إلى سائر المؤمنين، كما يدلّ عليه قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِۚ ﴾ النساء: 58 ]، ولهذا يمكن القول أن الحكم لا يكون إلا بالعدل، والحاكم لا يكون حاكما إلا إذا عدل في أحكامه، أما إذا حاد وجار فقد خرج من زمرة العادلين المقسطين، إلى زمرة المفسدين في الأرض.

فالآية هنا، خطاب من الله إلى ولاة أمور المسلمين بأداء الأمانة وأداء حقوق الرعية؛ " إنّ الله يأمركم يا معشر ولاة أمور المسلمين أن تؤدوا ما ائتمنكم عليه رعيتكم من فيئهم وحقوقهم وصدقاتهم إليهم، على ما أمركم الله بأداء كلّ شيء من ذلك إلى من هو له، بعد أن تصير في أيديكم، لا تظلموها أهلها، ولا تستأثروا بشيء منها، ولا تضعوا شيئا منها في غير موضعه، وَلُوا أمره في فيئهم وحقوقهم، وما ائتمنوا عليه من أمورهم بالعدل بينهم في القضية، والقسم بينهم بالسوية".[3]

وهذا ما ذهب إليه صاحب تفسير **المحرر الوجيز** بقوله: " والأظهر في الآية أنها عامة في جميع الناس،.....و تتناول الولاة فيما أسند إليهم من الأمانات في قسمة الأموال وردّ الظلامات وعدل الحكومات وغيرهم، وتتناولهم ومن دونهم من الناس في حفظ الودائع

[1] – البقاعي، نظم الدّرر، 6/ 142.

[2]– الطبري، تفسير الطبري، 10/ 334.

[3]– الطبري، تفسير الطبري، 8/ 492.

والتحرز في الشهادات وغير ذلك، كالرجل يحكم في نازلة ما ونحوه، والصلاة والزكاة والصيام وسائر العبادات أمانات لله تعالى."[1]

لقد أمر الله في آيات كثيرة وجوب الحكم بين الناس بالعدل والقسط، ونبّه على أنّ خيرا عظيما ينال الحاكم بالعدل، وهو محبة الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة: 42]، وما بعد محبة الله إلا الحياة الطيبة الهنيئة في الدنيا، والعيشة الراضية في الأخرى.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: { إِنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عن يَمِينِ الرَّحْمَنِ عزّوجلّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينَ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُوا }.[2]، وليس هذا فحسب، فالإمام المقسط العادل هو من السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظلّ إلا ظله؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ....}[3]

وإذا كان للإمام العادل هذه المنزلة الرفيعة عند الله عزوجلّ، فإنه من الواجب طاعته واتباعه بما يرضي الله تعالى، ولهذا بعد أن بين سبحانه وجوب الحكم بالعدل، جاءت بعده الآيات الكريمة التي تأمر بطاعة الله وطاعة رسوله، وأردفت هذه الطاعة بطاعة أولي الأمر العادلين المقسطين الذين يحبهم ويرضى عنهم.

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾

---

[1]– ابن عطية، المحرر الوجيز، 2/ 70، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 3/ 289.

[2]– أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقّة عليهم، 2/ 886، برقم (1827).

[3]– أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب فضل من ترك الفواحش، 252/4، برقم (6806). ونص الحديث: { سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ ورَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ فِي خَلَاءٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَرَجلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ، ورَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ إلى نَفْسِهَا قال: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ}.

[النساء: 58 – 59]، هذا الترتيب يضع طاعة الحكام وأولي الأمر في منزلة طاعة الله ورسوله، إن هم التزموا بتعاليم الله ورسوله.

كما جاءت الأحاديث النبوية لتؤكد على وجوب طاعة أولي الأمر متى كانوا عادلين، يحكمون بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه يقول إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: { مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، ومَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي }.[1]

في هذا الحديث إشارة إلى وجوب طاعة ولاة الأمور، وهذه الطاعة مقيدة بغير الأمر بالمعصية، والحكمة في الأمر بطاعتهم هي المحافظة على اتفاق الكلمة ومنع الفرقة، لما في الافتراق من الفساد.[2]

إنّ فساد الحكام وبُعدهم عن إقامة العدل والقسط، من شأنه أن يشتت ويفرق الأمة فرقًا وأحزابا، تتجاذبها الأهواء والظنون التي لا تغني من الحق شيئا، ويهيئ بيئة يعيث فيها المفسدون فسادا؛ فتنتشر الآفات اجتماعيا واقتصاديا، ولهذا جاءت الأحاديث النبوية لتؤكد على وجوب السمع والطاعة للحاكم ما لم يظهر منه الكفر البواح.

لقوله صلى الله عليه وسلم: { اِسْمَعُوا وأَطِيعُوا وإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كأَنّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ }. [3]

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: {إنّ خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبدا مجدَّع الأطراف}.[4]

---

[1]– أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ﴾، 4 / 328، برقم (7137)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، مج 2/ 891، برقم (1835).

[2]– ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 16/ 609.

[3]– أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب السمع والطّاعة للإمام، مالم تكن معصية، 329/4، برقم (7142).

[4]– أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، مج 2/ 892، برقم (1837).

هذا التمثيل وإن كان يحمل من الحقارة وبشاعة الصورة، فهو على سبيل المبالغة، لأنه قد يضرب المثل بما لا يقع في الوجود، ولهذا كان هذا المثل مبالغة في الأمر بالطاعة، لئلا تكون الفرقة وتتفرق الكلمة وتعم الفوضى،التي تؤدي حتما إلى مفاسد كثيرة.[1]

وجدير بالذكر أنّ وجود منصب الوالي أو الراعي ليس مطلوبا لذاته، وإنما وجد ليتولاه من يحفظ ويرعى مصالح الرعية، فيما يضمن صلاح الدنيا والآخرة، لأن من مستلزمات الرعاية والولاية حفظ الشيء وحسن التعهد، ورعاية الإمام هي ولاية أمور الرعية، وإقامة حقوقهم وفق ما أذن به الشارع الحكيم، فلا يستبد أحد برأيه، أو يستعصم بهواه وظنونه.

" إنّ الدولة في الإسلام – ممثلة في شخص الحاكم – صورة ظاهرة لباطن الأمة، وهي يدها التي تحقق بها ما تبغي، وقدمها التي تسعى بها إلى ما تريد. بيْد أنّ ضراوة الطباع البشرية السافلة قلبت هذا كله رأسا على عقب، وأمكنت ناسا من عبيد ذواتهم أن يفهموا الحكم على نحوٍ آخر، إنهم لم يفهموه عبادة لله بل سيادة على الآخرين، ولم يفهموه أمانة ثقيلة العبء، بل فهموه مغنما لذيذ الطعم "[2]، كما فهموه حكما وتسلطا على محكومين يسهل استخفافهم، واستضعافهم...

ومن هنا جاء الوعيد لكل والٍ فرط في نصح، أو استسهل لنفسه غش رعيته، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: { ما من عبدٍ يسْترْعيهِ اللهُ رَعِيَّةً فلم يَحُطْها بِنُصْحِهِ لمْ يَجِدْ رائحةَ الجنَّةِ }.[3]

ويقول: { مَا مِنْ والٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنَ المسْلِمينَ فَيَمُوتُ وهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ إلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ }.[4]

---

[1]– العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ضبطه وحققه عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، ط 1، (1421هـ/ 2001م )، 24/ 335.

[2]– الغزالي، محمد الغزالي، الطريق من هنا، دار الهناء، ( د ط، دت )، ص: 119.

[3]– أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب من استرعي رعية فلم ينصح، 4/ 331، برقم (7150).

[4]– أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب من استرعي رعية فلم ينصح، 4/ 331، برقم (7151)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحثّ على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، مج 2/ 887، برقم (142).

وعلى هذا يكون الحاكم النّاصح، القائم، الأمين على مصالح الأمة، هو من تمسّك بكتاب الله وسنة رسوله، وأحاط نفسه بالبطانة الناصحة، التي تعرف بالعفة والورع، والنزاهة عن الطمع، كما تعرف بالعلم والحكمة، فتكون مؤهلة للاستشارة لصالح البلاد والعباد.

وإذا كان الحاكم متمسكا بكتاب الله وسنته، فقد اختار الاسترشاد بالمنهج الذي لا يضل منتهجه ولا يشقى به، وهذا بلا ريب هو منهج كتاب الله وسنة رسوله، إذ " الحاجة إلى إرشاد الله وتوفيقه متجددة، فكلّ عملٍ من أعمال الإنسان، وكلّ حال من أحواله هو محتاج إلى هداية الله ودلالته[1]، ليعرف ما يرضاه الله منه مما لا يرضاه، وهو محتاج فيه إلى توفيق الله وتيسيره ليقوم بما يرضاه منه، وبما شرعه له ودلّه عليه، ولن يزال العبد تغشاه ظلمات الشبهات والشهوات فيحتاج إلى دلالة الله وتوفيقه ليخرج منها إلى نور الإيمان والاستقامة، فالعبد محتاج دائما إلى الرجوع إلى كتاب الله وما ثبت من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ليهتدي إلى ما يرضي الله ممّا شرعه له من أحواله وأفعاله، وإلى ما يدفع عنه شبهاته وينقذه من شهواته ومحتاج إلى التّوسّل بذلك الرجوع إليهما وذلك الاتباع لهما إلى الله ليفتح له أبواب المعرفة ويمد له أسباب التوفيق".[2]

هذا عن حال الحاكم في نفسه، وفي النهج الذي اختاره لإدارة شؤون البلاد والعباد، على النحو الذي يتحقق معه العدل وينصلح به حال الرعية.

## ثانيا: فساد المحكومين (الرّعية).

إن الحاكم فرد خرج من صلب الرعية التي ولي تسيير أمورها، وقد ولي أمرها لاعتبارات كثيرة.

---

[1]– يرى الشيخ عبد الحميد بن باديس أنّ الهداية نوعان: هداية دلالة وهداية توفيق؛ " فقد دلّ الله الخلق برسوله وكتابه على مافيه كمالهم وسعادتهم ومرضاة خالقهم، وهذه هي هداية الدلالة، وهي من فضل الله العام للناس أجمعين، وبها وبما يجده كلّ عاقل في نفسه من التمكن والاختيار، قامت حجة الله على العباد، ثم يسر من شاء– وهو الحكيم العدل– إلى العمل بما دلّ عليه من أسباب السعادة والكمال، وهذه دلالة التوفيق". عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، دار البعث، (ط 1، 1402هـ/ 1982م)، ص: 55

[2]– ا بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص: 58.

إنّ وجود حاكم يقود ويسير شؤون مجتمع من الناس حتمية تتنظم بها حياة المجتمعات، على النحو الذي يضمن أمنها واستقرارها، إلا أن فساد المجتمعات وإمعانها في الإفساد، يجعلها تحت وطأة من يحكمهم بجنس سلوكاتهم وأخلاقهم .

يقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الأنعام: 129].

ترشد هذه الآية إلى أنّ الرعية متى كانوا ظالمين، فإن الله تعالى يسلط عليهم ظالما مثلهم، حتى إذا أرادوا أن يتخلصوا منه كان عليهم أن يتركوا المفاسد و الظلم، لأنّ الجنسية والتماثل هنا بين الحاكم والرعية، هي الظلم وهي علة الضم.(1)

وعلى هذا لا يتولى شؤون الظالمين المفسدين إلا ظالم فاسد على شاكلتهم، تشابهت قلوبهم وأفعالهم فضمهم المولى عزوجل إلى بعضهم البعض، وقد قيل: ما ظالم إلا ويُبلى بظالم.2

من هنا تظهر طبيعة العلاقة التي تربط الحاكم بالمحكوم، والمحكوم بالحاكم، وبالدور المنوط بهم جميعا في إرساء القواعد العامة المنظمة لشؤون الأمة.

يقول الشيخ **محمد الغزالي**: " لست أنكر قيمة السلطة في اختصار المسافة، وإقرار المعروف، وإني أعلم أن الدولة جزء من الدين، وأن أجهزتها الفعالة جزء من شعب الإيمان السبعين. وكون الحكم من شعائر الإسلام حقيقة لا يماري فيها إلا جاهل أو جاحد، وهذا كله لا يلغي ولا يوهن عمل الأمة نفسها في تثبيت العقائد والأخلاق والعادات الحسنة، وفي إعلاء سلطان الضمير وتتبّع مسارب السلوك الخفية والجلية، وفي فرض رقابة دقيقة على أجهزة الحكم، وإبطال شرعيتها إن هي نسيت وظيفتها أو جاوزت حدودها".(3)

---

(1)– الرازي، مفاتيح الغيب، 13/ 204.

2– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 84/8.

(3)– الغزالي، الطريق من هنا، ص: 119

إنّ الرعية إذا صلحت كان صلاحها أدعى إلى تقويم وإصلاح شؤون الحكم، ولكنها متى ابتعدت عن الأخذ بتعاليم هذا الدين، وعاث المحكومون في الأرض إفسادا وظلما، سلط الله على رقابهم فاسدين وظالمين من جنس فسادهم.

## ثالثا: إيقاد نيران الحروب، وموالاة أصحابها.

ليس هناك ماهو أبشع من الحرب، التي توقد للاستيلاء على مقدرات وخيرات الغير، وأبشع منها ما توقد في كثير من الأحيان من أجل القضاء على عقيدة التوحيد، فهي تهلك الحرث والنسل، وتحرق مكاسب الأجيال والشعوب، وتترك الأوطان والدّيار بلاقع، تدمّر الحضارات وتقضي على جهود الأجيال في البناء والتقدم.

وقد كان لليهود اليد الطولى في إيقاد نيران الحروب عبر التاريخ، ونشر الفساد بشتى صوره؛ حيث كانوا يصرفون جهودهم لإثارة الحروب بكل ما أوتوا من مكر ودهاء، وقد لا يكونون أحد أطرافها دائما، بل المستفيدين منها دومًا.[1]

يقول الله تبارك وتعالى في عرض لصفاتهم وأفعالهم التي لا انفصال لهم عنها؛ فهم جنس بشري متجاسر على خالقه، فلعن وأخرج من رحمة الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤﴾ [المائدة: 64].

هذه هي حقيقة اليهود، فهم أهل الاختصاص في التجاسر على الخالق سبحانه ؛ حيث نسبوا له الفقر والبخل- تعالى سبحانه عما يصفون- ويفضح القرآن الكريم تماديهم في الطغيان والكفر، ودأبهم في عداوتهم وبغضائهم للناس أجمعين، وخصوصا للمؤمنين، لقوله تعالى: ﴿ ۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ ﴾ [المائدة: 82 ] مما يجعلهم يجدّون في إيقاد نيران الحروب بين المؤمنين، والسعي في الأرض فسادا في كل شبر من هذا العالم.

---

[1]- من صفات اليهود: الإفساد في الأرض، مصطفى مسلم، شبكة الألوكة،

ولعل بغضهم وأحقادهم هي التي تدفع بهم إلى إيقاد نيران الحروب منذ وجودهم؛ لكن الله تعالى يخبر عنهم أنهم " كلما جمع أمرهم على شيء فاستقام واستوى، فأرادوا مناهضة مَن ناوأهم، شتّته الله عليهم وأفسده، لسوء فعالهم وخبث نياتهم".[1]لقوله تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾[المائدة: 64].

قال قتادة: " أولئك أعداء الله اليهود، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، فلن تلقى اليهود ببلد إلا وجدتهم من أذل أهله. لقد جاء الإسلام حين جاء وهم تحت أيدي المجوس أبغض خلقه إليه ".[2]

وعن السّدّي أنه قال في هذه الآية: " كلما أجمعوا أمرهم على شيء فرقه الله وأطفأ حدّهم ونارهم، وقذف في قلوبهم الرعب."[3]

ويقول **ابن عطية** في تفسيره للآية بأنها استعارة بليغة، تنبئ عن فضّ جموعهم وتفريق كلمتهم في كل أمر يقدمون عليه، وإنْ كانت الآية تحتمل إخبارا عن حال أسلافهم أي منذ عصيانهم وعتوهم على أنبيائهم، حتى هدّ الله ملكهم، فهم القوم الذين لا ترتفع لهم راية إلى يوم القيامة.[4]

ومنه، فإن الآية وإن دل ظاهرها على إحدى مفاسد اليهود، وهي إيقاد نيران الحروب، فإنها تدلّ أيضا على تماديهم الذي لا نهاية له في السعي إفسادا في الأرض.

" وكنتيجة طبيعية لعقيدة اليهود ولشعورهم بالنقص من التشرد والحرمان مع اعتقادهم بأنهم متميزون وشعب مختار، فقد تحولوا إلى عناصر شغب وتخريب في كلّ البلاد التي حلّوا فيها، واشتهروا بتنظيم الحركات السرية، وكانوا وراء كلّ فتنة في التاريخ، لذلك نجدهم يحقدون على كلّ أمةٍ، وحكومةٍ قوية ظهرت في التاريخ. فعندما كان الإسلام قويا انتشر

---

[1]– الطبري، جامع البيان، 10/ 458.

[2]– المرجع نفسه، 10/ 460.

[3]– المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[4]– ابن عطية، المحرر الوجيز، 2/ 216. أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 3/ 536. الرازي، مفاتيح الغيب، 12/ 48.

اليهود في البلاد يزرعون الفتنة، ويبذرون الفرقة، حتى غدوا وراء معظم الحركات السرية والفئات المذهبية التي شذّت عن الإسلام ".[1]

وإذا كان إيقاد الحروب من سمات اليهود التي نعتهم بها القرآن الكريم، فإنها من دون شك صفة لكل من والاهم، ومشى في طريقهم، بل واستجدى إعانتهم، فهو على شاكلتهم ولو ادعى غير ذلك.

لهذا جاء النهي للمؤمنين عن موالاة اليهود الفاسدين الظالمين، لقوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [ المائدة: 51].

ويقول الله تعالى في موضع آخر من السورة نفسها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [المائدة: 57].

يُفهم من ظاهر هذه الآيات أنّ من تولى الكفار عمدا واختيارا؛ رغبةً فيهم فهو كافر مثلهم.[2]

والملاحظ في هذه الآيات أنها نداء للمؤمنين الذين اختصوا بصفة الإيمان دون الناس، لأنه مناط رفعتهم وجامع وحدتهم، وإذا كان الدين هو الجامع لهم فالذين يسخرون منه ويستهزئون به يصيبونهم في صميم ما عليه يجتمعون.

فهذا النص القرآني نهي عن موالاة الكافرين، و حثّ على عدم الانتماء إليهم، بذكر ما هو سر اجتماعهم، وفيه إشارة جلية إلى أنهم لا يمكن أن يكونوا نصراء يريدون العزة

---

[1]– شيريب سبيريدو فيتش، حكومة العالم الخفية، ترجمة مأمون سعيد، تحرير وتقديم أحمد راتب عرموش، قصر الكتب، البليدة، الجزائر، ص: 18، 19.

[2]– الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 2/ 133.

لهم، لأن مابه اجتماع المؤمنين وبه عزتهم، اتخذه هؤلاء الظالمون المفسدون هزؤا و سخرية يلهون به ويعبثون.[1]

يقول الشيخ **الشنقيطي** عن موالاة المفسدين الكافرين، أنّ من تولى اليهود والنصارى من المسلمين فإنه يكون منهم بتوليه إياهم، وبيّن في موضع آخر أنّ توليهم موجب لسخط الله والخلود في عذابه، وأن متوليهم لو كان مؤمنا ما تولاهم مصداقا قوله تعالى: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [المائدة: 80 – 81]، ونهى في موضع آخر عن توليهم مبينا سبب التنفير منه، وهو قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الممتحنة: 13].

فهذه الآيات الكريمة فيها بيانٌ لكل الآيات القاضية بمنع موالاة الكفار المفسدين مطلقا، وإيضاح أنّ محلّ ذلك في حالة الاختيار، وأمّا عند الخوف والتقية فيرخص في موالاتهم، بقدر المداراة التي يكتفى بها شرهم، ويشترط في ذلك سلامة الباطن من تلك الموالاة.[2]لقوله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ ﴾ [آل عمران: 28].

وفصّل الشيخ **ابن عاشور** في الاستثناء الذي ورد في الآية: ﴿ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ ﴾ في ثمانية أحوال[3]؛ استنبطها من أن الموالاة تكون بالظاهر والباطن، وبالظاهر فقط، ثمّ انتهى إلى أن كل من والى الكافرين مردّه إلى الله تعالى؛ لأنه الأعلم بما في الصدور، مستدلا بالآية التالية للاستثناء وهي قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي**

[1]– أبو زهرة، زهرة التفاسير، 5/ 2258.

[2]– الشنقيطي، أضواء البيان، 2/ 133.

[3]–ابن عاشور، التحرير والتنوير، 3/217.

صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [آل عمران: 29].

في نهاية هذا الفصل، هناك استطراد مفيد؛ لابد من التطرق إليه، وهو بمثابة الجانب التطبيقي، والتمثيل الحي لمعاينة ومشاهدة صور المفاسد المذكورة آنفا مجسدة ناطقة في شعب أو قوم ليسوا من الأقوام التي بادت كقوم لوط أو قوم شعيب وقوم فرعون وغيرهم ممن حكى عنهم القرآن الكريم إفسادهم ثم إهلاكهم، ولا عن يأجوج ومأجوج الذين هم في حكم الغيبيات، وكل ما أخبر عنهم القرآن أنهم مفسدون في الأرض ﴿ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الكهف: 94]، ولكنهم قوم أو شعب يحتل أجزاء متفرقة من هذه الأرض، ويحيا عليها، ويعيث فيها فسادا وإفسادا، هؤلاء القوم هم اليهود، الذين اتخذوا من سياستهم الصهيونية عقيدة راسخة في عقولهم، متوارثة بين الأجيال، تقوم على الانتصار للنوع اليهودي بشتى الوسائل، ومن طباعهم؛ الغاية تبرر الوسيلة، والقتل دينهم وديدنهم مع كل من يعارض سياستهم الصهيونية.

إن القيام بعملية إسقاط لمختلف المفاسد المذكورة آنفًا في مختلف المجالات على بني صهيون، تكون النتيجة فيها المطابقة التامة في كل النقاط، وبكل الإحداثيات الدقيقة دون أي ارتياب أو ريبة؛ بدءا من كفرهم وفساد عقيدتهم، حين نسبوا لله الولد تعالى سبحانه عن ذلك علوا كبيرا: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [التوبة: 30]، وتطاولوا على الذات الإلهية حين قالوا أيضا: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾ [المائدة: 64]، وكذبوا بآيات الله وبأنبيائه، فعمدوا إلى قتلهم، وافترائهم على الخلق، فقال المولى عزوجل في حقهم: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ

حَقٍّ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ﴿١٥٦﴾ ﴾ [النساء: 155 – 156].

لهذا كان فساد عقيدتهم، إفسادا لكل ما تدعوهم إليه من سلوكات وأفعال، فهم يظهرون العداوة ويسعون جاهدين للقضاء على كل من يعترض سبيلهم وعقيدتهم، بصريح النص القرآني: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ ﴾ [المائدة: 82]، ولهذا فاليهود يحملون عقيدة الكراهية والحسد للناس عامة وللمسلمين كحالة خاصة؛ للحد الذي يجعلهم يؤثرون عبادة الأصنام[1] على اتباع دين يعتقد به المسلمون ويدينون به، كما تنبّه إليه الآية:﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾ [النساء: 51].

المفسدة الأخرى التي عرفت عن اليهود حتى صارت من صميم معتقداتهم، وعلامة مميزة لهم هي القتل؛ لم يقتلوا الأنبياء فحسب، ولكنهم قوم متعطشون لدماء الصغار والشيوخ، وكل من لا حول له ولاقوة، واغتيال من استصعب عليهم غدرًا وغيلةً، والعالم شاهد على جرائمهم في فلسطين؛ فهم يمارسون القتل كطقس من الطقوس التي ترعاها سياستهم الصهيونية.

لقد كشف الواقع الحاضر عن النفسية اليهودية الصهيونية وفضحها، بعد أن أثبتها القرآن الكريم؛ أثبت فساد قلوبهم وظواهرهم، وفصل في زيف أخلاقهم وطباعهم، فقال المولى عزّوجلّ: ﴿ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [آل عمران: 118].

ومع أن القرآن الكريم قد بيّن أن من قتل نفسا كأنما قتل الناس جميعا، وتوجه بالآيات إلى بني إسرائيل بدايةً، إلا أن صدوفهم عن آيات الله، وتكبرهم جعلهم يعرضون ولا يمتثلون لقوله تعالى: ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ

---

[1]- سعد الدين السيد صالح، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، دار الصفا للطباعة والنشر القاهرة، (ط،14102هـ/1990م)، ص: 20.

أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [المائدة: 32].

وإذا كان اليهود قد استرخصوا النفس البشرية من غير اليهود، فقد استسهلوا كذلك كل الوسائل والطرق التي تؤدي إلى جلب الأموال من غيرهم، خاصة وأنه معروف عنهم حبهم لاستجلاب المال كيفما كان وأينما وجد؛ بالاحتيال، وأكل أموال الناس بالباطل، والغشّ والتطفيف والرشوة، حتى وضعوا الربا قانونا في تعاملاتهم المالية، أخضعوا له كل التعاملات والنظم الاقتصادية في العالم، وهذا ليس حكم الإسلام عليهم فحسب، لكنه حكم من جانسهم وقاربهم؛ حيث جاء في كتاب **كفاحي لأدولف هتلر** قوله: " وعجَّلَ في بَلْوَرة موقفي من اليهود تكالبهم على جمع المال، وسلوك معظمهم السبل الملتوية، لبلوغ هذه الغاية".[1]

ومع هذا يكفي في حقهم قول الحقّ عزوجل: ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [المائدة: 62].

لقد جاء في سورة المائدة توثيق لكل صفات اليهود، التي تدل على نكوصهم وتنكبهم للطريق المستقيم علوا واستكبارا، و يذكر العلماء، أن سورة الإسراء يطلق عليها أيضا اسم **سورة بني إسرائيل؛** لأن القرآن الكريم سجل فيها ما كان من أحوالهم وما سيكونون عليه في آخر الزمان، كما أخبر عن إفسادهم في الأرض؛ حيث يقول: ﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤﴾ ﴾ [الإسراء: 4].

في هذه الآية، اختلفت التفاسير القديمة والحديثة في بيان الإفسادين؛ حيث يجمع المتقدمون على أن الإفسادين قد وقعا قبل البعثة وظهور الإسلام، واختلف عنهم من أصحاب التفاسير الحديثة الشيخ **الشعراوي** في تفسيره للآية، حين استهل تفسيره باستفهام

[1]– أدولف هتلر، كفاحي، جمال إبراهيم، الحرية للنشر والتوزيع، القاهرة، (دط، د ت)، ص: 219-220.

يحرك في القارئ غريزة الفضول والتطلع لفهم مراد المولى عزوجل في هذه الآية- حسب نظرة الشيخ -؛ فقد كان استفتاحه لتفسير الآية؛ " وهل أفسد بنو إسرائيل في الأرض مرتين فقط ؟"[1]، ثم استرسل مطولا لشرح وتفسير الآيات بقوله: " والله إن كانوا كذلك فقد خلاهم ذمّ، والأمر إذن هيّن، لكنهم أفسدوا في الأرض إفسادا كثيرا متعدّدًا"[2]؛ وخلاصة تفسيره تستند إلى كون الإفسادين المقصودين في الآية هو ما كان من اليهود من إفساد في عهد الإسلام، لا ماكان قبل البعثة، وقد سبق إلى هذا التفسير ما كتبه الشيخ عبد المعز عبد الستار في مقال بعنوان: سورة الإسراء تقص نهاية إسرائيل.[3]

إلا أن هناك من المفسرين الحديثين[4] من ناقش نظرة الشيخ في تفسير الآية، ولم يؤيدها، ثم أثبت تأييده لتفسير الأولين.

وجملة القول هنا، أن إفساد بني إسرائيل في الأرض إفساد مؤكد، لصيق بأخلاقهم وأفعالهم منذ تواجدهم على هذه الأرض؛ لأن رذائلهم وإفسادهم قبل مجيء الإسلام ثابت في القصص القرآني في زمن معاصرتهم لأنبياء الله موسى وعيسى وغيرهم، وبقيت طباعهم إرثا لأبنائهم الذين عايشوا وعاصروا بعثة النبي صلى الله عليه وسلم. ورغم ذمهم وفضحهم على رؤوس الأشهاد، وبيان فسادهم وتعطشهم للإفساد في الأرض، إلا أن ذلك لم يوقف تجبرهم وظلمهم.

لم تتغير الطباع ولا الأخلاق؛ بل زاد حقدهم وتكبرهم وإفسادهم؛ إذ لم يكن النبي الخاتم من بني جلدتهم. وقصصهم مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع أصحابه تحكي فساد سرائرهم وظواهرهم؛ فساد اعتقاداتهم، وفساد معاملاتهم التي لا تزال ممتدة إلى يوم الناس هذا.

---

(1)- الشعراوي، تفسير الشعراوي، 13/ 8347.

(2)- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3)- عبد المعز عبد الستار، سورة الإسراء تقص نهاية إسرائيل، مقال منشور في مجلة الأزهر، عدد غرة جمادى الآخرة 1376هـ، 2يناير 1957م، المجلد28، الجزء6، ص: 689.

(4)- محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، دار الشروق، القاهرة، (ط2، 1420هـ/ 2000م)، ص: 673.

# الفصل الثالث:

# أسباب الفساد وموانعه.

- ❖ المبحث الأول: أسباب الفساد.
- ❖ المبحث الثاني: موانع الفساد وسبل دفعه.

## تـوطـئـــة:

لقد شخّص القرآن الكريم، الكثير من المفاسد التي سادت المجتمعات المختلفة منذ بدء الخليقة، ولازالت تنتشر في مختلف المجالات، ويزيد في تفشيها تنكّب العباد لفطرتهم السليمة، وتنَكرهم للمنهج الرباني الذي من شأنه وقايتهم ومنعهم من الوقوع في المفاسد المختلفة.

إنّ أنواع الفساد – المذكورة في الفصل السابق– تقود طوعا للتساؤل عن الأسباب الباعثة على كل هذه الأنواع من الفساد؛ التي لم يخل منها مجال من مجالات حياة الإنسان على هذه الأرض؛ بدءًا بالمجال العقدي الذي يعد الأصل الأول لهذا الدين، ووصولا إلى مجال الساسة والسياسة.

في هذا الفصل، أشير إلى أبرز وأهمّ أسباب الفساد ودوافعه، ثمّ أبين موانعه وسبل دفعه والوقاية منه، على حسب ما استقيته من آيات القرآن الكريم، وأرشدتني إليه كتب المفسرين وأبحاث أهل الاختصاص.

وعلى هذا، قسمت الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول: أسباب الفساد.

المبحث الثاني: موانع الفساد وسبل دفعه.

# المبحث الأول: أسباب الفساد.

قبل الأخذ في تناول أسباب الفساد والإفساد في الأرض، وجب التنبيه إلى أن المتسبب المباشر في الفساد والإفساد في الأرض، هو ما اقترفه الإنسان ومازال يقترفه في حق نفسه وفي حق غيره، لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ [البقرة: 30 ]. وقوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ ﴾ [الروم: 41].

فظهور المعاصي في برّ الأرض وبحرها، هو بكسب أيدي النّاس ما نهاهم عنه المولى تعالى.[1]

والآيتان صريحتان في أن المتسبب في نشر الفساد هم المفسدون من بني آدم، ومن دون شكّ أنّ كل ما يصدر منهم من الفساد يؤدي بطبيعة الحال إلى مفاسد أخرى؛ ذلك أن الفاسد لا ينتج إلا فسادا وإفسادا.

ولهذا سيتناول هذا المبحث، أهمّ العوامل الأكثر تأثيرا وإعمالا على انتشار مختلف أنواع أو مظاهر الفساد.

## المطلب الأول: اتباع الهوى.

### أولا: في اللغة.

الهوى هنا هوى النفس، وهوى النفس: إرادتها. والجمع الأهواء.

والهوى محبة الإنسان الشيء وغَلَبَتُه على قلبه. قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النازعات: 40]؛ بمعنى نهاها عن شهواتها، وعن كلّ ما تدعو إليه من معاصي الله عزّ وجلّ.

---

[1]- الطبري، تفسير الطبري، 18/ 509.

و استهوته الشياطين: ذهبت بهواه وعقله، وفي التنزيل: ﴿ كَٱلَّذِى ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ [الأنعام: 71]، وقيل: استهوته استهامته وحيرته، وقيل زيَّنت الشياطين له هواه حيران في حال حيرته.[1]

ومتى تُكلّم بالهوى مطلقا لم يكن إلا مذموماً.[2]وكأن اللفظ يحمل حكم ذمه من خلال معنى الفعل الذي يتكون من حروفه هـ و ى بمعنى سقط وانهار.

## ثانيا: في الاصطلاح.

جاء في تفسير **التحرير والتنوير**، أنّ الهوى شهوة ومحبة لما يلائم غرض صاحبه، وإنما يجري الهوى على شهوة دواعي النفوس غير التي تقتضيها الجبلة من طعام وشراب..

ويضيف صاحب التفسير موضحًا: أنّ الهوى قد يكون شهوة ما تقتضيه الجبلة، لكن يشتهى على كيفية وحالة لا تقتضيها هذه الجبلة، وهنا يراد بها الهوى المذموم، لما يترتب على تلك الحالة من فساد وضرّ، مثل شهوة الطعام المغصوب، وشهوة الزنا، وعليه فمرجع معنى الهوى إلى المشتهى الذي لا تقتضيه الجبلة.[3]

كما يستعمل لفظ الهوى أيضا في السقوط من علو إلى أسفل.[4] وإن كان هذا المعنى غير المراد في هذا المقام، ولكنه من نتائج هذا الهوى؛ إذ يهوي بصاحبه إلى أسفل سافلين.

وفي قوله تعالى: ﴿ كَٱلَّذِى ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ [الأنعام: 71] بمعنى استدعت هواه وأمالته.[5]

ويضيف صاحب تفسير **التحرير والتنوير** أنّ الهوى " هو الحب البليغ بحيث يقتضي طلب حصول الشيء المحبوب ولو بحصول ضُرٍّ لمحصله، فلذلك غلب إطلاق

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، باب الهاء، 4728/6.

[2]– المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[3]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 18/ 92.

[4]– ابن عطية، المحرر الوجيز، 306/2.

[5]– المرجع السابق، الصفحة نفسها..

الهوى على حبّ لا يقتضيه الرشد ولا العقل، ومن ثمّ أطلق على العشق".[1]وإن كان المعنى غير مقصود في هذا البحث، إلا أنّ غلبة العاطفة، وغياب إعمال العقل فيه يجعله يجتمع مع الهوى المراد.

وعلى هذا يمكن القول: إنّ الهوى هو كل فعل نشأ عن جبلة غير سليمة، أو عن رغبة جانبت الرشد والعقل، اللذين لا يمكنهما في أي حال من الأحوال أن يخالفا الجبلة أو الفطرة السليمة؛ لأن الإنسان يولد على الفطرة الصحيحة السليمة.

## ثالثا: لفظ الهوى في القرآن الكريم

شاع إطلاق الهوى في القرآن الكريم على عقيدة الضلال، وسمى علماء الإسلام أهل العقائد المنحرفة بأهل الأهواء؛ ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [البقرة: 120].[2]

و جاء لفظ الهوى عند إضافته لضمير الجمع على صيغة الجمع **أهواءهم**، ولم يرد بلفظ **هواهم**، لأن أصحاب الأهواء كثر، وكلٌّ يدعي الصلاح لنفسه ولهواه، وكثرتهم تعني اختلافهم وتناقضهم الذي يؤدي إلى الإفساد في الأرض.[3]

والجدير بالذكر، أنّ الهوى ما ذكر في القرآن الكريم - مفردا أو جمعا- إلا لذمّه وذمّ أصحابه من أهل الضلال والإفساد في الأرض، وما ذكر أيضا إلا للنهي عن اتباع أصحاب الأهواء بسبب ضلالهم وإضلالهم، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾[ المائدة: 77]

وقوله أيضا في موضع آخر: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [الأنعام: 150].

---

[1]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 38/2.

[2]- ابن عاشور، التحريروالتنوير، 38/2.

[3]- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، (ط 2، 2002م)، ص: 849.

وقالــه تعــالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[القصص: 50]

ولأنّ أصحاب الأهواء ضالّون ظالمون مفسدون:

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ ﴾ [الشورى: 15].

إنّ الهوى سبب كل المفاسد التي اجترحها الإنسان تجاه نفسه وتجاه غيره، وهو سبب أمراض القلوب؛ من حب الدنيا والإقبال عليها بشتى الوسائل؛ مشروعة كانت أو غير مشروعة، وفي كثير من الأحوال تُطلب الدنيا بوسائل غير مشروعة، " فإذا تأملت أمراض الحياة البشرية كلها: كالكبر والعجب والحسد وحب الجاه والدنيا والزنا والفواحش والغيبة والنميمة، وكلّ ما يخطر على بالك من أمراض، فإنك تجد وراءه شيئا واحدا هو اتباع الهوى".[(1)]

والملاحظ من خلال الآيات، أنّ لفظ الهوى أو الأهواء كثيرا ما يرد مسبوقا بلفظ الاتباع، ليدل على قوة تأثير الأهواء على النفوس، إلى الدرجة التي تجعلها تنقاد وتنساق لأهوائها من دون دليل ولا بيّنة.

## رابعا: الحق في مواجهة الأهواء.

كثيرا ما يأتي ذكر لفظ الهوى أو أهواء في القرآن الكريم في مقابل لفظ الحقّ، ليدل على تناقضهما وعدم اجتماعهما أبدا، وللدلالة على ذم الأهواء وبعدها عن الحقّ، من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص: 48 – 50].

---

(1)– سعيد حوى، المستخلص في تزكية الأنفس، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، القاهرة(ط 11، 1425هـ /2005 م )، ص: 260.

ولزيادة الذم والتشنيع بأصحاب الأهواء، فقد جعل الله تعالى هذه الأهواء في مقابل الحقّ، الذي هو اسم من أسماء الله الحسنى؛ فهو تعالى الحقّ، وكلّ ما يأمر به حق، وما عداه هوى مذموم في نفسه، مذموم صاحبه، لأن هذه الأهواء تؤدي إلى إفساد السماوات والأرض بنشر الرذائل والمفاسد المختلفة التي تخالف المنهج السماوي، فضلا عن الفساد المادي الذي يلحق مقدرات الحياة والعيش على سطح الأرض، فالحق حقيق بالاتباع لأنه واحد لا يتجزأ، والأهواء هاوية تهوي بصاحبها، واختلافها وورودها بصيغة الجمع دليل اضطرابها وفسادها، وعدم موافقتها للمنهج الصحيح، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾[ المؤمنون: 71].

والحقّ هنا هو دين الله، وما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، لقوله تعالى: ﴿ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [ المؤمنون: 70].

والحق أيضا هو الله تعالى، وهو اسم وصفة من صفاته، كما جاء في قوله عزوجلّ: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ [ النور: 25].

فبيّن سبحانه أنه الحقّ[1] وأن دينه هو الحقّ، وأنّ الحقّ لا يتبع الهوى، بل الواجب على المكلف أن يطرح الهوى ويتبع الحق، لأن اتباع الهوى يؤدي إلى الفساد العظيم، فقال: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾[ المؤمنون: 71].

يقول الرازي أنّ في تفسير هذه الآية وجوها[2]:

**الأول:** أن القوم من أصحاب الأهواء كانوا يرون أنّ الحق في اتخاذ آلهة مع الله تعالى، لكن لو صحّ ذلك لوقع الفساد في السماوات والأرض..﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ الأنبياء: 22].

---

[1]- جاء في تفسير الرازي: " من الناس من قال إنه سبحانه إنما سمي بالحق لأن عبادته هي الحق دون عبادة غيره، ولأنه الحق فيما يأمر به دون غيره.....وهناك من قال: الحق من أسماء الله تعالى ومعناه الموجود، لأن نقيضه الباطل وهو المعدوم..." الرازي، تفسير الرازي، 195/23.

[2]- المرجع نفسه، 23/ 113

**الثاني:** أن أهواءهم في عبادة الأوثان وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم، هما منشأ المفسدة، والحق هو الإسلام؛ فلو اتبع الإسلام قولهم لعلم الله حصول المفاسد عند بقاء هذا العالم، وذلك يقتضي تخريب العالم وإفناءه.

**الثالث:** أن آراءهم كانت متناقضة، فلو اتبع الحق أهواءهم لوقع التناقض ولاختل نظام العالم، وعم الفساد.

إن الأهواء عند أصحابها مختلفة، غير ثابتة، تتجاذبها أمزجتهم، ومصالحهم الشخصية، ولهذا كان الحق البين ليفضح هذا الاختلاف بسبب تعارض المصالح والأمزجة، التي لا تغني من الحق شيئا، ولتتضح المفاسد التي تنجرّ عن اتباع الأهواء كما أوردها القرآن الكريم.

إنّ اتباع الهوى يصدّ عن اتباع سبيل الله، فقد نهى الله تعالى نبيه داوود عليه السلام عن اتباع الهوى فقال تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ [ص: 26].

وإذا كان متبع الأهواء ضالا عن سبيل الله تعالى، فلأنه اتخذ إلهه هواه، ومن اتخذ إلهه هواه فقد أضله الله؛ قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الجاثية: 23 ]. " قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: {الهوى إلهٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله}، ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ ".[1]

كما أن الهوى يأخذ إلى مقاربة واقتراف الظلم[2] والإفساد، فقال تعالى محذرا: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [البقرة: 145].

[1]- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، أدب الدين والدنيا، دار المنهاج للنشر والتوزيع،، بيروت، لبنان، (ط 1، 1434هـ/ 2013)، ص: 59.

[2]-الظلم في ضوء القرآن الكريم، حقيقته، أنواعه، أسبابه، آثاره، الوقاية منه، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في التفسير، إعداد الباحثة: نورة بن حسن، إشراف: الأستاذ الدكتور: أحمد رحماني، (1429هـ، 1430م/ 2008م، 2009م)، ص: 200.

كما أنّ الهوى يصدّ عن الإيمان بيوم الحساب، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ [طه: 15 – 16]، " وزيادة﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾للإيماء بالصلة إلى تعليل الصّدّ، أي لا داعي لهم للصد عن الإيمان بالساعة إلّا اتباع الهوى دون دليل ولا شبهة، بل الدليل يقتضي الإيمان بالساعة، كما أشار إليه قوله تعالى ﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾".[1]

وما تُترك أحكام الله تعالى إلا ببواعث الهوى، فيغفل العبد ويكون أمره فرطا، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: 28]، و﴿ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ معناه متقدما للحقّ والصواب، نابذا له وراء ظهره[2]، ومعناه أيضا ندامة وهلاكا.[3]

ويؤكد المولى عزوجل أن عدم الاستجابة للحق البين هو بسبب غلبة الهوى على الأنفس، لقوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص: 50].

وقد أجمل **الماوردي** مفاسد الهوى بقوله: " فأما الهوى... فهو عن الخير صادٌّ، وللعقل مضادٌّ؛ لأنه ينتج من الأخلاق قبائحها، ويظهر من الأفعال فضائحها، ويجعل ستر المروءة مهتوكا، ومدخل الشرّ مسلوكا".[4]

وكلّ من استحوذ عليه الهوى واتبع الشهوات انقطعت عنه موارد التوفيق، لذا فإن مخالفة الهوى مطردة للداء عن القلب والبدن، واتباعه مجلبة لكل الأدواء.[5]

---

[1]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 16/ 203.

[2]– الزمخشري، تفسير الكشاف، 3/ 582. الطبري، تفسير الطبري، 15/ 243. السيوطي، الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، 9/ 529.

[3]– الطبري، جامع البيان، 15/ 242.

[4]– الماوردي، أدب الدين والدنيا، ص: 59.

[5]– ابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، مكتبة دار البيان، دمشق، ( ط1، 1421هـ/ 2000م )، ص: 421– 423.

فمتبع الهوى تتعطل عنده وسائل الاستجابة للحق، وتتجاذبه الأمزجة المختلفة التي لا تستند إلى دليل أو برهان على صلاحها؛ الأمر الذي يؤدي إلى تضارب الآراء والمصالح، ممّا يؤدي حتما إلى شيوع المفاسد المختلفة واستشرائها بين الأفراد والمجتمعات.

## المطلب الثاني: وجود المُترفين.

### أولا: في اللغة.

المُترفون جمع كلمة مُترف، مأخوذة من الفعل ترف، والاسم منه التَّرف وهو التّنعّم، والتُّرفة النَّعْمة. والمُتْرفُ الذي أبطرته النعمة وسعة العيش؛ وأترفته النعمة إذا أطغته.(1)

وأترف فلانًا: وسّع عليه ودلَّله، وأترفت النعمةُ فلانا: أبطرته.

تترَّف بمعنى تنعّم، واستترف: تكبّر وطغى بسبب الغنى والسّعة.(2)

### ثانيا: في الاصطلاح.

ورد لفظ التّرف في القرآن الكريم بصيغة اسم المفعول مجموعا **مترفون**، والفعل المزيد **أترف**، في ثمانية مواضع من سوّر القرآن الكريم.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء: 16]، قال قتادة: المترفون: هم الجبابرة.(3)

وهم أكابر المجرمين(4)، والمترف هو المنعّم في سرف وتخوض.(5)

---

(1)- ابن منظور، لسان العرب، باب التاء، 5/ 429.

(2)- المعجم الوجيز، ص: 74.

(3)- ابن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز، 3/ 15.

-(4) ابن عطية، المحرر الوجيز، 3/ 444.

(5)- المرجع نفسه، 5/ 246.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [المؤمنون: 33]، ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ ﴾بمعنى نعّمناهم ووسعنا عليهم.[1]

فالترف في اللغة والاصطلاح بمعنى واحد، فهو التنعم والتوسع في النعم، فكان لصيقا بالجانب المادي، المتعلق بالمفاسد التي كثيرا ما تظهر في حياة أصحاب الجاه والمال. وإنما كان الترف مذموما بنص القرآن الكريم لما فيه من مجاوزة حد الحاجة والاعتدال، والإكثار من النعم التي يحصل بها الترف من أموال ومساكن ومراكب...، إلا أن التنعم في حدود الاعتدال ليس من الإسراف ولا من الترف.

## ثالثا: مصاحبة الإفساد للترف.

يقرر القرآن في عديد من الآيات، أنّ المترفين في أيّ زمان سبب لنشر الفساد بمختلف صوره، حيث يؤدي بهم الترف إلى الطغيان والتمادي في الإفساد، وانتهاك حرمات الله عزوجلّ.

فيظهر أنّ البطَر يمتلك الإنسان إذا أحسّ تفوّقا ماديا أو أدبيا، ولم تكن له حصانة من الخلق وسداد الرأي، فيفيض المجتمع بمختلف الآفات؛ من تحقير للآخرين وتتبع عوراتهم ومثالبهم والتسلط على رقاب المستضعفين.[2]

قال الله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ [العلق: 6 – 7].

وقال تعالى متوعدا: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ ﴾ [الهمزة: 1 – 3].

فالمترفون إذن هم الذين أبطرتهم النعمة وسعة العيش، وهم حريصون على الزيادة في أحوالهم وعوائدهم، وساعون إلى بلوغ الغاية في حاجات النفس الحسية، وهذا يجعلهم ينساقون نحو أهوائهم وشهواتهم دون وازع أو رادع.

[1]– البغوي، معالم التنزيل، 5/ 417.

[2]– محمد الغزالي، هذا ديننا، ص: 49.

وإذا كان الترف من عوائد الغنى والثراء في أحوال كثيرة، فهو ملازم للفساد والإفساد في الأرض، ولذلك ما ذكر في القرآن الكريم إلا في مقام الذمّ، ومقام ذكر أسبابٍ للإهلاك والخسران.

يخبر القرآن الكريم أنّ أكثر من يقف في وجه دعوة الحق، ويكذب المرسلين، هم من المترفين أولي النعمة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [المؤمنون: 33 – 34].

وقوله أيضا: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [سبأ: 34].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزخرف: 23].

كما يبين الله عزّ وجلّ أن المترفين شغلهم ترفهم، وتنعمهم في الشهوات، عن النهي عن الإفساد في الأرض و عن المنكر، كما أخبر القرآن الكريم: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [هود: 116].

والذين أترفوا هم الذين أعطوا الترف والسعة والنعيم الذي يسّره الله لهم، فالله هو الذي أترفهم فلم يشكروه[1]، وشغلهم ترفهم عن الحق حتى هلكوا.[2]

ففي هذه الآية أخبر المولى عزوجل أنّ الذين ظلموا أنفسهم من كلّ أمة سلفت، كفروا بالله، واتبعوا ما أترفوا فيه من لذات الدنيا، فاستكبروا عن أمر الله، وتجبروا وصدّوا عن سبيله.[3]

---

[1]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 12/ 185.

[2]– الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 3/ 307.

[3]– الطبري، جامع البيان، 12/631 ,

وقد جاء الترف مقرونا باستحقاق العذاب والهلاك، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء: 16]، لأن الترف أدى بهم إلى الفسوق والعصيان، الذي من أجله استحقوا العذاب، ولأن عذابهم كان بسبب إفسادهم لا بسبب ترفهم وتنعمهم، ممّا يعني أنّ الترف يؤدي للإفساد حتما.

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأنبياء: 12 - 13].

وقال أيضا: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [المؤمنون: 64].

" وإنما جعل الأخذ واقعا على المترفين منهم لأنهم الذين أضلّوا عامة قومهم، ولولا نفوذ كلمتهم على قومهم لاتبعت الدهماء الحقّ، لأنّ العامة أقرب إلى الإنصاف إذا فهموا الحقّ، بسبب سلامتهم من جلّ دواعي المكابرة من توقّع تقلص سؤدد وزوال نعيمٍ."[1]

إذن، لقد ربط القرآن الكريم بين الترف والفساد، وبين الترف والإهلاك؛ إذ أن الترف يفسد شخصية الإنسان ويدمره، ويجعله غير قادر على تحمل مصاعب الحياة، التي لا تُتجاوز إلا بالمكابدة ومجاهدة النفس.

يقول العلامة **ابن خلدون** في مقدمته مثبتا أنّ الترف من أسباب سقوط الدول وهلاكها: " الترف مفسد للخُلُق بما يحصل في النفس من ألوان الشرّ والسفسفة وعوائدها...فتذهب منهم خلال الخير التي كانت علامةً على الملك ودليلا عليه، ويتصفون بما يناقضها من خلال الشرّ، فتكون علامةً على الإدبار والانقراض بما جعل الله ذلك في خليقته، وتأخذ الدولة مبادئ العطب وتتضعضع أحوالها وتنزل بها أمراض مزمنة من الهرم إلى أن يقضى عليها".[2]

هذه هي الحقيقة القرآنية التي أخبر بها القرآن الكريم عن الأمم الغابرة؛ حيث كان الترف والدّعة سببا لفساد الأخلاق فيهم، و سببا لظهور المترفين الذين عاثوا في الأرض إفسادا؛ أخلاقيا واجتماعيا واقتصاديا.

---

[1]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 18/ 82.

[2]- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، اعتناء ودراسة أحمد الزعبي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ( د ط، دت )، ص: 199- 200.

إنّ الترف والنعمة إذا حصلا لأهل العمران، دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة والتخلّق بعوائدها. والحضارة هنا هي التفنن في الترف واستجادة أحواله، والكلَف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه، كالصنائع المهيأة للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفرش، وإذا بلغ التأنّق الغاية تبعه طاعة الشهوات، فتتلون النفس ولا يستقيم حالها معها في دينها ولا دنياها، من الكدّ والتعب في تحصيل هذه الحاجات بالتلون بألوان الشرّ لتحصيلها، وما يعود على النفس من الضرر بعدها، فيكثر منهم الفسق والشرّ والتحيّل على تحصيل المعاش من وجهه ومن غير وجهه، وتتصرف النفس إلى الفكر في ذلك، فتجدهم أجرياء على الكذب والمقامرة والغش والخلابة والسرقة والفجور في الأيْمان والربا في البيوع. ثم تجدهم لكثرة الشهوات والملاذ الناشئة عن الترف أبصر بطرق الفسق ومذاهبه، والمجاهرة به وبدواعيه، واطِّراح الحشمة في الخوض فيه حتى بين الأقارب وذوي الأرحام والمحارم حتى يصير ذلك عادة وخلقا لأكثرهم، إلا من عصمه الله.[1]

وإذا كان الترف من أسباب الهلاك في الدنيا، فهو كذلك من أسباب العذاب في الآخرة، لقوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الواقعة: 41 – 45].

ومن المفيد ذكره ها هنا، أنّ الترف لم يكن سببا لفساد أصحاب الملل الفاسدة فحسب، ولكن آثاره السلبية طالت مجتمعات إسلامية؛ فقد كان ولا يزال يهدر طاقات الأمة وخيراتها، فأغواهم حتى ركنوا إلى الدّعة والتنعم والاغتراف من الملذات والشهوات، والخوض في سفاسف الأمور و دناياها، والتعلق بالمناصب والسلطان والجاه والمال، والغفلة عن معالي الأمور، وترك البذل في سبيل الله تعالى، والنفور من ركوب الصعب الذي يشق على النفس التي ألفت التنعم والسهل من الأعمال، حتى قاد ذلك إلى الضعف والهوان.

---

[1]– ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص: 407– 408.

وهذه هي السنة الكونية التي لا يمكن أن تتبدل أو تتغير: المترفون في الأمة قادتها إلى الهلاك، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء: 16 - 17 ].

إنّ الأمم التي تقع في الترف واللهو، وتصرف أموالها في غير محلها، مآلها إلى الهلاك والدمار، والتاريخ شاهد على أثر الترف في أمم ودول سادت ثمّ بادت.

## المطلب الثالث: الغُلُوّ.

لم يخلُ أهل ملّة ولا مذهب من أهل توسّط واعتدال، وأهل غلوّ وتطرف، وربما كان هذا بسبب نوعية علاقة الناس بالشرائع والمذاهب التي ينتهون إليها، وإلى الوسائط المعرفية التي يوظفونها في أفهامهم المتعددة والمتناقضة للنصوص والأحداث عموما.

و الإسلام هنا هو دين اليسر والسماحة، ودين العزة والدفاع عن الحرمات، إلا أن المغالين فيه، يأبون إلا أن يشوهوا صورته بتصرفاتهم المخالفة لهديه وتعاليمه الوسطية.

لذلك يعدّ الغلوّ في دين الله ظاهرة خطيرة، لكنها طبيعية تنبع من الطبائع البشرية المختلفة، وهي ملازمة للوجود الإنساني.

ولتوضيح هذا السبب، نقف عند مفهومه في اللغة والاصطلاح.

### أولا: في اللغة.

الغُلو من غَلا، الغلاء وهو نقيض الرُخص، وأصل الغلاء الارتفاع ومجاوزة القدر في كلّ شيء. وغلا في الدين، والأمر يغلو غلوا، جاوز حدّه وأفرط فيه.[1]

والغلو في الدين أيضا التشدّد فيه ومجاوزة الحدّ، وفي الحديث: { إيَّاكُمْ والْغُلُوَّ في الدِّينِ }.[2]

[1]- ابن منظور لسان العرب، مج 5/ 3290.

[2]- أخرجه أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، كتاب السنن الكبرى، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، ط 1، ( 1421هـ/ 2001م)، كتاب المناسك، باب التقاط الحصى، 4/ 178، برقم (4049)، قال ابن عباس: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبة، وهو على راحلته: { هات التقط لي } فلقطت له

ومن معاني الغلو في الدين أيضا: البحث عن بواطن الأشياء، والكشف عن عللها وغوامض متعبداتها.[1]

ومنه يمكن القول، أنّ الغلوّ هو أن يتطرّف إنسان في حكم أو فعل ما، بعيدا عن الوسطية، زيادة وتشددا أو انتقاصا.

## ثانيا: في الاصطلاح.

جاءت مسألة الغلو في القرآن الكريم في معرض النهي عن تأليه البشر، في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ ﴾[ النساء: 171].

قال جمهور العلماء أنّ الآية عامة في جميع النصارى؛ لأنهم يعتقدون الثالوث؛ حيث يقولون: الأب والابن وروح القدس إله واحد، وهناك من قال بأنها نزلت في اليهود والنصارى معا، نهاهم الله عزوجلّ عن تجاوز الحدّ؛ بترك الغلو في دين الله على الإطلاق، فقد غلت اليهود حين حطّوا المسيح عليه السلام عن منزلته، و جعلوه مولودا لغير رشده، وغلت النصارى فيه أيضا حين جعلوه إلها يعبد.[2]

وفي هذه الآية أيضا " ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا حدّ التصديق بعيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيّز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه، فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقّا أو باطلا، وضلالا أو رشادًا، أو صحيحا أو كذبا، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ

حصيات، هن حصى الخذف، فلما وضعتهن في يده قال: { بأمثال هؤلاء، بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين }.

(1)- ابن منظور، لسان العرب، مج 5/ 3291.

(2)- أبوحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 3/ 416.

وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [ التوبة: 31]"[1].

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ [المائدة: 77]

لا تغلوا؛ أي لا تجاوزوا الحدّ في اتباع الحقّ، ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه، حتى تخرجوه عن حيّز النبوة إلى مقام الإلهية، كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلها من دون الله.[2]

وذهب صاحب **أضواء البيان** إلى أن الغلوّ المنهي عنه شامل للتفريط والإفراط، وأنّ الحق واسطة بين التفريط والإفراط. [3]

فالغلوّ هو التجاوز في الحدّ، بالإفراط أو التقصير، وهذا كلّه سيئة وكفر.[4]

بهذا يتبين اتفاق المعنيين اللغوي والاصطلاحي الشرعي على مفهوم الغلوّ، وأنه بمعنى مجاوزة الحدّ إفراطا وتشددا أو تفريطا وتقصيرا، وكلاهما مذموم منهي عنه لتضافر الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية في النهي عنه والتحذير منه، وبيان سوء عواقبه.

## ثالثا: حدود الغلوّ.

الغلو ليس مقصورا في الاعتقاد فحسب، بل يدخل في سائر الأعمال والمعاملات ومختلف السلوكات التي يباشرها الإنسان، فإذا تعدى مطلوب الشرع فيها بالزيادة والمبالغة تشددا وتنطعا، فقد وقع في الغلو المنهي عنه.

---

[1]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1/ 833.

[2] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 2/ 105.

[3]– الشنقيطي، أضواء البيان، 1/ 510.

[4] – أبوعبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 7/ 229، 8 / 103، أبوحيان الأندلسي، البحر المحيط، 416/3.

للحديث الذي روته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت:{ كانت عندي امرأة من بني أسد فدخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من هذه ؟ قلت: فلانة، لا تنام الليل- تذكر من صلاتها- فقال: { مه، علَيْكُمْ ما تُطِيقُونَ مِنَ الأَعْمَالِ، فَإِنّ اللهَ لاَ يَمَلُّ حتَّى تَمَلُّوا}[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { لَيْسَ مِنَ البِرّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ}[2]، في هذا الحديث استحباب التمسك بالرخصة عند الحاجة وكراهة تركها على وجه التشديد والتّنطّع والغلوّ.[3]

وقد توعد النبي صلى الله عليه وسلم المتنطعين الغالين بالهلاك، فقال عليه الصلاة والسلام: { هَلكَ المتَنَطِّعُونَ } قالها ثلاثا.[4]

والمتنطعون هم المتعمقون المغالون في الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم، مأخوذ من النِّطَع وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استعمل في كلّ تعمّق قولا وفعلا.[5]

إن الحكمة من تحريم الغلو والتحذير منه، تكمن فيما ينتج عنه من فساد عقدي، وفساد تعبدي وسلوكي، إضافة إلى أنه منفر لا تحتمله طبائع كثير من البشر، وهنا مكمن خطر الغلو، من حيث أنه ابتداع في شرع الله تعالى، حمل عليه الجهل بالشريعة وضعف البصيرة، وإن الغلاة ليفسدون في هذا الدين من حيث أرادوا الإصلاح، لأن حمل النفس على المشقة تشديد وتضييق عليها، ينفر الخلق عن الدين، ويفتح الأبواب للتيارات والاتجاهات المنحرفة لنبذ الشريعة بدعوى عدم ملاءمتها لواقع الحياة، ومن ثم ينشأ جيل منحرف، متمرد على هذا الدين متنكر لتعاليمه السمحة.

---

[1]- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التّهجّد، باب ما يكره من التشديد في العبادة، 1/ 357، برقم (1151).

[2]-أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لمن ظلل عليه واشتدّ الحر" ليس من البر الصوم في السفر"، 44/2، برقم (1946).

[3]- ابن حجر، فتح الباري، 5/ 343.

[4]- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، ص: 1232، برقم (2670).

[5]- ابن الأثير، مجد الدين بن محمد الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية،( د، ط، دت)، 5/ 74.

ناهيك عن الشرخ والقطيعة، التي يحدثها الغلو بين أفراد المجتمع الواحد، والعائلة الواحدة، فتطل الفتن برأسها لتهلك الحرث والنسل.

وهنا يجب على المسلم أن يتفطن لهؤلاء الغلاة، ويقف موقف المسلم الذي يتمثل الإسلام بوسطيته واعتداله، ومتمثلا لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[ البقرة: 143].

## المطلب الرابع:فساد الوازع.

### أولا: في اللغة.

الوازِعُ اسم فاعل من الفعل وَزَعَ، والوزعُ كفُّ النّفس عن هواها. والوازع يكفُّ الإنسان عن الإقدام على الشرّ.

والوازعُ في الحرب المُوَكَّلُ بالصفوف يزعُ من تقدّمَ منهم بغير أمره، وهو الذي يتقدم الصف فيصلحه، ويقدم ويؤخر، والجمع وَزَعَةٌ ووزّاعٌ. [1]

فالوازع هنا هو المانع والكافّ للنفس عن الإقدام على شرّ أو معصية، وبذلك يجعل النفس تقدم على الإصلاح.

### ثانيا: في الاصطلاح.

ورد في القرآن الكريم لفظ **يُوزَعون** هكذا بصيغة المضارع الذي يصنف ضمن المضارع المبني للمجهول، في قوله تعالى:

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النمل: 17].

وفي قوله أيضا: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [النمل: 82].

وفي قوله أيضا: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [فصلت: 19].

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، 6/ 4825.

منعى ﴿ يُوزَعُونَ ﴾أي يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا[1]؛ أي أنهم يحبسون من طرف وازع أوجمع من الوزعة.

قال قتادة: ﴿ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴾بالوزعةُ الذين يردّون أولاهم على أخراهم.[2]

وإنما قيل للذين يدفعون الناس عن الولاة والأمراء وزعةٌ لكفهم إياهم عنهم.[3]

ولذلك قال الحسن البصري حين ولي القضاء: لا بدّ للناس من وزعةٍ، أي أعوان يكفُّون الناس عن التّعدّي.[4]

ومعناها أيضا يحبسون، وهذا لا يكون إلا إذا كان في كلّ قبيل وازع، ويكون له تسلّطٌ على من يردّه ويكفه ويصرفه.[5]

فالوازع هنا يمثل جنسا ونوعا من المخلوقات، له قدرة وقوة كفّ وصرف الغير عن فعل أو سلوك ما.

كما ورد في القرآن الكريم لفظ **أوزعني** بصيغة الأمر الذي يفيد الدّعاء، كما في قوله تعالى على لسان سيدنا سليمان عليه السلام: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩ ﴾ [النمل: 19].

وقوله أيضا: ﴿ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥ ﴾ [الأحقاف: 15].

قال صاحب الكشّاف: " حقيقة أوزعني اجعلني أزع شكر نعمتك عندي، وأكفّه وأرتبطه لا ينفلت عني حتى لا أنفكّ شاكرا لك ".[6]

---

[1]– الطبري، جامع البيان، 18/ 26.

[2]– المرجع نفسه، 129/18

[3]– المرجع السابق، 18/ 27.

[4]– الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السّري الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عال الكتب، بيروت، (ط 1، 1408هـ/ 1988م )، 383/4.

[5]– الرازي، تفسير الرازي، 24 / 187.

[6]– الزمخشري، الكشّاف، 357/3.

وعن صاحب **التحرير والتنوير**: الوزْعُ الكفُّ عمّا لا يراد.[1] وأوزعني مزيد الفعل وزع الذي هو بمعنى كفَّ، والهمزة للإزالة أي أزال الوزع أي الكفّ، والمراد أنه لم يترك غيره كافا عن عمل، وأرادوا بذلك الكناية عن ضدّ معناه أي كناية عن الحثّ على العمل. وشاع هذا الإطلاق فصار معنى أوزع أغرى بالعمل، فالمعنى وفقني وألهمني وأغرِني أن أشكر نعمتك.[2]

من خلال المفهومين - اللغوي والاصطلاحي - للفظ الوازع يظهر أن معناه ينحصر في معنيين متلازمين هما:

**أولهما:** الكفّ، والصّرف، والحبس.

**الثاني:** الإلهام والتوفيق.

ومنه يمكن القول أن **الوزَع** هو الكف عن ارتكاب السيئات، الذي يستتبع التوفيق من الله تعالى إلى عمل الصالحات.

والوازع اسم الفاعل من مادة وزع هو ذلك الشيء الذي قد يكون - داخليا أو خارجيا - من شأنه أن يكف الإنسان ويصرفه عن ارتكاب ما نهي عنه، وبالمقابل يدفعه ويوفقه إلى شكر الله تعالى، وإلى عمل الصالحات التي يرضاها الله عزّ وجلّ. وهذا الوازع قد يكون فطريا في جبلة وفطرة الإنسان التي ولد عليها، وقد يكون كسبيا أخلاقيا، أو دينيا.

كما يكون الوازع عقوبات أو حدودا وتعزيرات، تسلّط على المذنب بواسطة السلطان أو الحاكم...وهو ما قد يطلق عليه وازع السلطان.

ولهذا عرفه **ابن عاشور** فقال: " الوازع اسم غلب إطلاقه على ما يزع من عمل السوء".[3]سواء كان الوازع هو الدين أو الأخلاق أو العقوبات التي يطبقها الحاكم.

---

(1)- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 19 / 240.

(2)- المرجع نفسه، 19/ 243.

(3)- محمد الطاّهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، تحقيق محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، الأردن، ( ط 1، 2001)، ص: 137.

## ثالثا: أقسام الوازع.

من خلال المعاني الواردة أعلاه في معنى الوازع، يمكن حصره وتقسيمه إلى قسمين أساسيين هما: وازع الدين (الفطرة)، ووازع السلطان.

**1-وازع الدين:**

وهناك من أطلق عليه الوازع الفطري[1] أو وازع الفطرة، واعتبر انحراف الفطرة وخروجها عن أصلها، وتعلقها بالشهوات والأهواء هو من الفساد والإفساد المنهي عنه.

يقول الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: 30].

في هذه الآية نهي عن تغيير الفطرة وإفسادها[2]، وفيها يربط المولى عزّ وجلّ بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين، إذ كلاهما من صنع الله، وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه, والله الذي خلق القلب البشري هو الذي أنزل إليه هذا الدين، ليحكمه ويحميه من الانحراف...والفطرة ثابتة والدين ثابت ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ﴾. فإذا انحرفت النفوس عن الفطرة لم يردّها إليها إلا هذا الدين المتناسق مع الفطرة.[3]

وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

{ كلُّ مَوْلودٍ يولدُ على الفِطرةِ فأبواه يهودانه أو يمجّسانه، كمثَلِ الْبَهِيمَةِ تَنتُج الْبَهِيمةَ هلْ ترَى فيها جَدْعَاء}.[4]

---

[1]- أحمد بن محمد بن سعيد الشهراني، الفساد في الأرض أسبابه ومظاهره وعلاجه، دراسة قرآنية موضوعية، بحث مقدم لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في الآداب تخصص التفسير والحديث، إشراف: د. عادل بن عديّ الشدي، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ( 1426هـ/ 2005 م )، ص: 57.

[2]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 557/1.

[3]- سيد قطب، في ظلال القرآن، 5/ 2767.

[4]- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، 1/ 424، برقم ( 1385)، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، 4/ 2047، برقم(2658).

والمراد من هذا الحديث تمكّن الناس من الهدى في أصل الجبلة، والتهيؤ لقبول الدين، فلو ترك المرء عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها، لأنّ حسن هذا الدين ثابت في النفوس، وإنما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية بسبب التقليد واتباع الهوى.(1)

وقال **ابن عاشور**: الوازع الديني هو وازع الإيمان الصحيح المتفرع إلى الرجاء والخوف.(2)

كما يقصدبالوازع، تلك الملكة التي يغذيها الدين الإسلامي، الذي هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، وارتضاه لعباده، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ [آل عمران: 19]، وقوله: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: 3 ]، هذا الدين الذي يقر في القلب وتصدقه الجوارح وفق منهج الله تعالى.

والجدير بالذكر في هذا المقام، أنّ وازع الدين أو الفطرة ليس بعضو مادي من جسم الإنسان، وإنما هو ملكة أو شيء يقبع في داخل الإنسان، لكنه متيقّظ، له قوة خفية تسيطر على العبد؛ تمنعه وتزجره من اقتراف وارتكاب الآثام، فإذا ضعف أو غاب، لم يُمنع العبد من ارتكاب أو مقاربة الذنوب ومختلف المفاسد.

وعليه يمكن القول أنّ حضور و وجود هذا الوازع يتضمن فائدتين(3):

1-هومانع وزاجر وكافٌّ للإنسان عن محارم الله وعن الإفساد في الأرض.

2-وهو دافع وباعث ومحفز على إتيان الطاعات.

هذا الوازع متى كان قويا داخل نفس الإنسان بتوفيق من الله تعالى، صرفه ومنعه من ارتكاب الذنوب والآثام، أما إذا ضعف حبس الإنسان عن الخير، وقاده إلى سبل الفساد والإفساد والخسران.

---

(1)- ابن حجر، فتح الباري، 4/ 183.

(2)- محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، الأردن، (ط 1، 2001م )، ص: 387.

(3)- سلغريوفا برلنت ماجو ميدوفنا، الوازع وأثره في مقاصد الشريعة، رسالة ماجستير في الفقه وأصوله، إشراف د: هايل عبد الحفيظ داود، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ( 2006م )، ص: 13.

وقد عبّر عنه الشيخ **القرضاوي** في كتابه **الإيمان والحياة** بأنه: قوّة خفية لا تشاهد بالعين ولاترى بالمجهر، ولا يعرفها التشريح والفسيولوجيا (علم وظائف الأحياء)، إنها قوة معنوية يحسها الإنسان في حناياه، تهديه إلى الواجب كأنها كشاف ينير له الطريق، وتنجذب به إلى الخير، كأنها الإبرة الممغنطة تجذب دائما نحو الشمال، وتدفعه عن الشر...وهي مَحكَمة تقضي له أو عليه، تقضي له بالراحة والسرور والطمأنينة، أو تحكم عليه بالألم والقلق والعذاب.

هذه القوة الكاشفة الهادية، الآمرة الناهية، المحذرة المحرضة، الحاكمة المنفذة هي التي سماها علماء الأخلاق **الضمير** وسماها بعضهم **الوجدان** وسماها الإسلام **القلب**.[1]

هذا القلب الذي يعدّ مدار أفعال الإنسان كلها ومحورها، ومركز ثقله وتوازنه؛ إذا مال وانحرف سقط الجسم وهوى في مستنقع الفساد والشبهات والشهوات، التي تردي بالعبد إلى الهلاك والخسران.

وأصدق من هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: { أَلاَ وإنّ في الجسدِ مُضْغَةً إذا صَلُحَتْ صلُحَ الجسدُ كلُّهُ وإذا فَسَدتْ فسَدَ الجسدُ كلُّه ألاَ وهي القلْبُ }.[2] وهو القلب الذي يعقل، كما أخبر المولى تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾[ الحج: 46].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ [ ق: 37 ]، له قلب " أي عقل وإنما كان صلاح البدن وفساده تابعا لصلاح القلب وفساده؛ لأنه مبدأ الحركات البدنية والإرادات النفسانية، فإذا صدرت عنه إرادة صالحة لسلامته من الأمراض الباطنية كالحسد والشح والغلّ والكبر، أو فاسدة لعدم سلامته ممّا ذكر، تحرّك البدن بتلك الحركة

---

[1]- القرضاوي، الإيمان والحياة، ص: 228- 229. أحمد الشرباصي، يسألونك في الدين والحياة، دار الجيل، بيروت، ( ط1، 1977 م)، 4/ 245.

[2]- سبق تخريج الحديث، ص: 36.

فهو كالملك والجسد وأعضاؤه كالرعية، ولا شكّ أنّ الرّعيّة تصلح بصلاح الملك وتفسد بفساده".[1]

وإذا كان الحديث النبوي ينبّه إلى صفة فساد القلب، فإن الآية الكريمة ترشدنا إلى أنّ هذه القلوب قد يصيبها العمى الذي يصيب الأبصار فلا تبصر، إلا أنّ عمى الأبصار لا يعني شيئا أمام عمى القلوب التي يستبصر بها الإنسان طريقه، قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾الحج: 46].

والمعنى أنه لا يعتدّ بعمى الأبصار وإنما يعتدّ بعمى القلوب، فكأن عمى الأبصار ليس بعمى بالإضافة إلى عمى القلوب، وفي هذا تهويل لعدم فقه القلب، وعدم اهتدائه للعبر من أخبار الماضين.[2]

2-**وازِع السّلطان**.

كلمة السلطان من مادة الفعل سلط، والسلطان هو القوّة والقهر، ولذلك سمي السلطان سلطانًا.[3] وهو الملك أو الوالي.[4]

والسلطان أيضا هو قدرة الملك، وقدرة من جُعِل له ذلك وإن لم يكن ملكا.[5]

والسلطان الحجة والبرهان.[6] وهو الحجة المنزلة من عند الله[7]، كما في قوله تعالى: ﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[ الروم: 35]، وقوله: ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [الصافات: 156].

وعليه، فعندما يغيب وازع الدين، يكون لحضور وازع السلطان قوة الكفّ وحبس الناس عن مقاربة الإفساد.

---

(1) – أحمد حجازي، شرح الأربعين النووية، تحقيق حامد أحمد الطّاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ( ط 2، 1434هـ/2013م )، ص: 71

(2)– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 5/ 438. الألوسي، روح المعاني، 17/ 167. البقاعي، نظم الدّرر، 13/ 64.

(3)– ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3/ 95.

(4)– المعجم الوسيط، ص: 443.

(5)– الفراهيدي، كتاب العين، باب السين، 2/ 264.

(6)– ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3/ 95.

(7)– ابن تيمية، تقي الدين ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط 1، 1408 هـ / 1987م)

ومنه كان **وازع السلطان** هو وازع القوة والقهر الذي يؤتاه الملوك والحكام لردع وزجر المفسدين المجرمين؛ فالسلطان أو الحاكم القائم على تطبيق منهج الله تعالى، له التفويض الكامل والسلطة التي يردّ بها المفسدين، الذين أجرموا في حق الله تعالى وفي حق أنفسهم، وحقوق غيرهم؛ ذلك أنّ السلطان في الإسلام إنما وجد لحماية ورعاية دعوة التوحيد وإقامة شريعة الإسلام، فدوره محوري في إقامة أمر الدين؛ لما يحوزه من سلطان وقوة وقدرة على إنفاذ الأوامر الشرعية، هذه القوة التي استمدها من قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[ النساء: 59].

جاء عن صاحب **العقد الفريد**: " السلطان زمام الأمور، ونظام الحقوق، وقوام الحدود، والقطب الذي عليه مدار الدين والدّنيا، وهو حمى الله في بلاده، وظله الممدود على عباده، به ينتصر مظلومهم، وينقمع ظالمهم، ويأمن خائفهم".[1]

إلا أنّ فساد هذه الفئة – التي يفترض أن تكون قائمة على حدود الله – يزيد من إشاعة المفاسد بين العامة الذين غلبتهم أهواؤهم وشهواتهم، فراحوا يعيثون في الأرض فسادا دون وازع ديني أو سلطاني.

يقول ابن خلدون في مقدمته: " حقيقة السلطان أنه المالك للرعية القائم في أمورهم عليهم، فالسلطان من له رعية والرعية من لها سلطان؛ والصفة التي له من حيث إضافته لهم هي التي تسمى المَلَكَة، وهي كونه يملكهم، فإذا كانت هذه الملكة وتوابعها من الجودة بمكان حصل المقصود من السلطان على أتمّ الوجوه؛ فإنها إن كانت جميلة صالحة كان ذلك مصلحة لهم؛ وإن كانت سيئة متعسفة كان ذلك ضررا عليهم وإهلاكا لهم."[2]

أُثِر عن سيدنا عثمان بن عفان أنه قال: {إنّ الله يزع بالسلطان أكثر ممّا يزع بالقرآن}.[3]

---

[1]– ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ( د ط، 1404هـ )، 1/ 9.

[2]– ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص: 220.

[3]- قال مالك بن أنس: قال عثمان: " ما يزع النّاس السلطانُ أكثر ممّا يزعهم القرآن"، قال مالك: يعني يكفهم. ابن العربي، أحكام القرآن، 474/3.

يمثل القرآن هنا دين الإسلام، الذي جاء ليصلح سرائر القلوب، ويمنع من ارتكاب الذنوب والآثام، ويبعث على الالتزام، ويدعو إلى ما فيه صلاح العباد، وإلى مافيه استقامة أمور الدنيا والآخرة، وإنّما السلطان زمام لحفظها وباعث على العمل بها.[1]

يقول **ابن العربي** مبينا معنى هذا الأثر: " قد جهل قوم المراد بهذا الكلام، فظنوا أنّ المعنى فيه أنّ قدرة السّلطان تردع أكثر ممّا تردعهم حدود القرآن. وهذا جهل بالله وحكمه وحكمته ووضعه لخلقه، فإنّ الله ما وضع الحدود إلّا مصلحة عامة كافّة قائمة بقوام الحقّ، لا زيادة عليها ولا نقصان معها، ولا يصلح سواها، ولكن الظلمة خاسوا بها وقصّروا عنها وأتوا ما أتوا بغير نيّة منها، ولم يقصدوا وجه الله في القضاء بها؛ فلذلك لم يرتدع الخلق بها، ولو حكموا بالعدل، وأخلصوا النية لاستقامت الأمور وصلح الجمهور".[2]

يفهم من قول **ابن العربي** أن القول بقوة السلطان، وأنها هي التي تردع وتكف المذنب عن تعدي محارم الله كما فهم البعض، هو فهم خاطئ؛ بل القوة في الحدود والزواجر التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، إذا تمكن من إحقاقها وإقامتها حكام و ولاة عدول، تدفعهم قوة الوازع الداخلي الفطري الديني، بمعنى آخر أن قوة الوازع الديني لدى السلطان هي المعوّل عليها في الكفّ والزجر عن اتباع الشهوات وارتكاب المنكرات، وعند ضعف هذا الوازع أو غيابه، يُتساهل في تطبيق الحدود والعقوبات التي تزجر وتحُدّ من تفشي المفاسد.

وللإمام محمد الغزالي في هذا الموضوع وجهة نظر مهمة؛ حيث أنه يبين أن قوة السلطان تكمن في تطبيق الحدود والتعزيرات، لردع وكفّ المذنبين آنيا فحسب، وربما عادوا لذنوبهم مرة أخرى؛ لأنّ " الإكراه على الفضيلة لا يصنع الإنسان الفاضل، كما أنّ الإكراه على الإيمان لا يصنع الإنسان المؤمن؛ فالحرية النفسية والعقلية أساس المسؤولية.

---

[1]– الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تحقيق رضوان السيد، دار العلوم العربية، بيروت، ( ط1/ 1987م)، ص: 199.

[2] – ابن العربي، أحكام القرآن، 474/3.

والإسلام يقدر هذه الحقيقة ويحترمها، وهو يبني صرح الأخلاق. ولماذا يلجأ إلى القسر في تعريف الإنسان معنى الخير، أو توجيه سلوكه إليه، وهو يحسن الظنّ بالفطرة الإنسانية، ويرى إزاحة العوائق من أمامها كافية لإيجاد جيل فاضل؟"[1]

ويُرجِع الشيخ مهمة إزاحة هذه العوائق من أمام هذا الإنسان إلى التحكم في الظروف البيئية التي تكتنف الإنسان وتعينه على السمو بنفسه و على طلب الخير.

فالإسلام يحمّل البيئة قسطا كبيرا من تبعة التوجيه إلى الخير أو الشر، وإشاعة الرذائل أو الفضائل، ويجعل صلاح البيئة صلاحا لأفرادها، وفسادها إفسادا لهم، ومن هنا كانت الحدود التي شرعها الإسلام وقاية للجماعة العادلة المصلحة من فساد عضو فيها، يقابل عدالتها بالظلم ويقابل إصلاحها بالفساد.[2]

وحاصل القول هنا، أنّ ضعف الوازع بشقيه- الداخلي المتمثل في وازع الدين، والوازع الخارجي المتمثل في وازع السلطان – من أهم أسباب انتشار الفساد بمختلف أنواعه ومظاهره، لأنّ ضعف الوازع يجعل العبد ينحرف عن فطرته، وربما يتنكر لدينه، فتتجاذبه الشهوات والأهواء المضلّلة، فإذا لامس ضعفا أو غيابا لوازع السلطان في كفّه وتوجيهه إلى الاستقامة، تمادى في فساده وإفساده دون رادعٍ.

## المطلب الخامس: إغواء وتزيين الشيطان.

### أولا: في اللغة .

الإغواء من الفعل غَوَى، والمصدر الغَيُّ، والغَواية: الانهماك في الغيّ، ويقال أغواه إذا أضلّه.[3]

والتزيين من مادة زين، و تدلّ على حسن الشيء وتحسينه.[4]

[1]– محمد الغزالي، خلق المسلم، دار المعرفة، ( د ط، دت )، ص: 28- 29.

[2]– الغزالي، خلق المسلم، ص: 30- 31.

[3]– الفراهيدي، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، باب الغين، 3/ 296

[4]– ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، كتاب الزاي، باب الزّاي وما يثلثهما، 3/ 41.

وكلمة الشيطان أصلها من الفعل شَطَنَ ويدلُّ على البُعد.[1] ولفظ الشيطان من هذا الباب، فسمي بذلك لبعده عن الحقّ وتمرّده؛ وذلك أنّ كلّ عاتٍ متمرّدٍ من الجنّ والإنس والدّواب شيطان.[2]وهو المحرّق في الدنيا والآخرة والعصيّ الأبي الممتلئ شرّا ومكرًا، والمتمادي في الطّغيان الممتدّ إلى العصيان.وله في القرآن صفات مذمومة وأسماء مشؤومة، خلق من قوة النّار، ولذلك اختص بفرط القوة الغضبية والحمية الذميمة، فامتنع من السجود لآدم عليه السلام.[3]

فالشيطان هو المخلوق الذي إذا ذكر، ذكر معه الشر والإضلال والإفساد، الذي أخذه هذا المخلوق على عاتقه إلى يوم البعث، لقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [ ص: 82 ].

## ثانيا: في الاصطلاح:

يقول الله تعالى إخبارا عن إبليس لمّا سأله عن امتناعه عن السجود لآدم، واحتجاجه بأنه خيرمنه: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف: 16 – 17].

والقاعد على الشيء ملازم له، فكأنه قال: لألزمنه ولأرصدنه ولأعوجنه.

قال ابن عباس بأن صراطك أي دينك الواضح، وقال ابن مسعود: هو كتاب الله، وقال مجاهد: هو الحقّ.[4]

وفي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾من خلفهم قال ابن عباس: أرغبهم في دنياهم، وقال الحسن: من قبل دنياهم

---

[1]– ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، كتاب الشين، باب الشين والطاء وما يثلثهما، 183/3.

[2]– المرجع نفسه، كتاب الشين، باب الشين والطاء وما يثلثهما 184/3.

[3] – أبو البقاء الكفوي، الكليات، ص: 540. المعجم الوسيط، باب الشين، ص: 483.

[4]– ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، المحقق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، (دط، دت )، 101/1.

أزينها لهم وأشهيها لهم، وعن أيمانهم قال ابن عباس أشبه عليهم أمر دينهم، وقال الحسن: من قبل الحسنات أثبطهم عنها.(1)

ومردّ هذه الأقوال كلها، قوله تبارك وتعالى: ﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [فصلت: 25].

في **معاني القرآن**، قيّضنا بمعنى سبّبْنا لهم من حيث لا يحتسبون.(2)

وقيّض لهم أي أحضر لهم- بما اطّلع على فساد قلوبهم- قرناء سوء من الجن والإنس، يوسوسون لهم، ويزينون لهم كلّ ما حولهم من السّوء، ويحسنون لهم أعمالهم فلا يشعرون بما فيها من قُبحٍ، وأشدّ ما يصيب الإنسان أن يفقد إحساسه بقبح أفعاله وانحرافها.(3)

وهؤلاء هم الذين صدق فيهم قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [البقرة: 11 – 12].

ومنه تكون غواية الشيطان وتزيينه لأفعال العباد، بمعنى تضليلهم وإبعادهم عن الحقّ والصراط المستقيم، وتحسين أعمالهم بحيث لا يشعرون بفسادها.

وهذا بلا ريب سبب مهم من أسباب وقوع العبد في الفساد والإفساد؛ فالشيطان يزين للناس المعاصي ويثقل عليهم الطاعات، ومن ثم فهو يضلهم عن طريق الحق، ليوقعهم في الفساد.

## ثالثا: سلوك الشيطان في غواية الإنسان.

إنّ الشيطان يغري الإنسان بالمعصية ويزينها له، ثم يخفي عنه عواقبها، ويحسنها في نظره أو يهونها عليه، حتى إذا وقع فيها تخلى عنه، وتركه للندم والحسرة؛ لقوله

(1)– ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ، 103/1.

(2)– الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه، 384/4.

(3)– سيد قطب، في ظلال القرآن، 5 / 3119.

تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[ الحشر : 16].

ثمّ يتبرأُ من استجابتهم لغوايته لهم، كما أخبر عنه المولى تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ ﴾ [إبراهيم: 22].

إنّ عداوة الشيطان للإنسان قديمة قدم البشرية، تظهر في غواية هذا الإنسان وتزيين الشرّ له حتى يورده مورد الهلاك؛ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر : 6].

فقال تعالى حكاية عن إبليس: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحجر : 39]، و﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [ص: 82]

وقال سبحانه: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[ الأنعام: 43].

جاء في **روح المعاني** أنّ عداوة الشيطان للإنسان عداوة قديمة، لا تكاد تزول، ويأمرنا المولى تعال أن نتخذه عدوًّا، ويحذّر من طاعته، بالتنبيه على أنّ غرضه في دعوة شيعته إلى اتباع الهوى والركون إلى ملاذ الدنيا، ليس إلا لتوريطهم وإلقائهم في العذاب المخلّد من حيث لا يشعرون.(1)

وأشد ما يكون الشيطان أكثر تأهبا وحرصا على الإغواء، إذا وجد في العبد صلاحا وإقبالا على فعل الخيرات وترك الفساد، فهو يشتدّ عليه ويوسوس له حينئذ ليقطعه عن فعل الخير، ويردّه عنه، وكلما كان الفعل أنفع للعبد وأحبّ إلى الله تعالى، كان اعتراض الشيطان له أكثر وأشدّ.

(1)– الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 168/22.

عن عبد الله بن مسعود أنّ النبي صلى الله عليه وسلّم قال: { ما منكم مِن أحدٍ إلّا وقد وكّل به قرينه من الجنّ}، قالوا: وإياك يارسول الله.قال: { وإياي إلا أنّ الله أعانني عليه فأسلمَ فلا يأمرني إلا بخيرٍ}.(1)

لقد مرّ في مبحث سابق، أن كفر الشيطان هو كفر جحود و استكبار، لأنه عرف الحق ولكنه أبى إلا كفورا، وعصى أمر ربه بالسجود لآدم، ثمّ أخذ على نفسه غوايته، ويحكي القرآن ما كان من الحوار الذي دار بين الشيطان وربه، حيث يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الإسراء: 62 – 65].

ويقول في موضع آخر: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحجر: 36 – 40].

وقال أيضا: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف: 16 – 17].

الملاحظ من خلال هذه الآيات في حوار الشيطان مع الله تعالى، أنه يصرح ويعلن عن عزمه الانحراف بالناس عن الصراط المستقيم؛ بإحاطتهم من كل جانب، وإغوائهم وتمنيتهم بالوعود المعسولة الكاذبة في ما ينتظرهم من خيرٍ إن هم انحرفوا واتبعوه. إلا أن الشيطان لا يملك السلطة المباشرة على الإضلال، لأنه لا يستطيع أن يضل من يريد الهدى ويسعى في سبيله، ولا يقدر على إغواء من يريد الرشد ويسير على هداه؛ وأقصى ما يستطيعه هو أن يمني ويغري ويزين ويوسوس فيتبعه الذين يعيشون على الأماني والإغراءات، وهذا ما يعترف به أمام الناس الذين ضلّوا بسببه، عندما يقف يوم القيامة

(1)– أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينا، 4/ 2167، برقم ( 2814).

ليواجه حساب المسؤولية، فيتخلص ممّا يريدون أن يحملوه منها، بالإعلان لهم أن دوره كان الإيحاء والدعوة والوسوسة، دون أن يكون له سبيل إلى الإرادة المباشرة لأعمال العباد.(1)

فيقول الله تعالى حكاية عنه وهو يتبرأ ممن اتبعوه وأغراهم بوعوده: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ [إبراهيم: 22].

ومجمل القول هنا، أنّ أسباب الفساد والإفساد في الأرض قد تخرج عن مجال العدّ والحصر، إلا أنها تؤول في مجملها إلى ما تمّ ذكره من اتباع الأهواء، وفساد الوازع، والغلو، و وجود المترفين، وغواية الشيطان؛ فإغواء وتزيين الشيطان مثلا، سبب قوي لظهور مفاسد كثيرة؛ فساد في العقيدة وفساد أخلاقي واجتماعي وسياسي...فهو يسعى بشتى الوسائل أن يفسد على العبد عقيدته وأفعاله، وكل ما من شأنه أن يخرجه من مجموع عباد الله الصالحين، إلى زمرة المفسدين.فكل مجال دخل فيه الشيطان إلا وأفسده، وكلّ فساد في أي مجال تنجرّ عنه مفاسد مختلفة.وأمّا ظهور المترفين فيؤدي إلى الكِبر والظلم والطغيان وشيوع الفواحش، والتحكم في مصالح المستضعفين بالربا والغش وغيرها، وهذه بدورها أسباب تؤدي لمفاسد أخرى؛ كالقتل وقطيعة الرحم والتباغض والتحاسد ...، وهذا ما يمكن أن يطلق عليه: تكاثر أو توالد المفاسد.

---

(1)– آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم، قواعده، أساليبه، معطياته، دار الملاك، بيروت، لبنان، (ط5 /1417هـ/ 1996م)، ص: 408.

## المبحث الثاني: موانع الفساد وسبل دفعه.

بعد الوقوف على أهمّ أسباب الفساد والإفساد في الأرض، وجبت الإشارة إلى السُّبل والطّرق التي انتهجها القرآن الكريم لدفع الفساد بمختلف صوره.

يقـــول الله تعـــالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: 89]؛ فمن رحمة الله بعباده أن شخص الأدواء والمفاسد فأبان عن صفاتها ومميزاتها، ووصف إلى جانبها الدواء الشافي الذي لا شكّ في نجاعته.

إنّ مظاهر الفساد وأنواعه كثيرة متعدّدة، وبتعددها تتعدد سبل منعها ومدافعتها.

### المطلب الأول: بيان عاقبة المفسدين.

دأبَ القرآن الكريم في مختلف أجزائه على بيان عاقبة المفسدين الذي كان يسمهم بالمجرمين والظالمين والمسرفين والمطففين، وغيرها من الأسماء التي عرفت عن الأمم الغابرة، وذلك من خلال قصصهم المبثوثة في مختلف أجزاء القرآن الكريم، ليكونوا عبرة وسببا في منع الفساد ودفعه.

ثم يدعو للتأمّل في هذا القصص والنظر إلى سوء عاقبة أولئك المفسدين من الأقوام البائدة؛ فقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [النمل: 69]، وقال: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنعام: 11]، ﴿وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأعراف: 86]؛ فهو يدعو للنظر في أحوال الأقوام من الأمم الخالية والقرون الماضية، وفي ما حلّ بهم من العذاب والنكال باجترائهم على معاصي الله وتكذيب رسله.[1]

فقد ذكر القرآن الكريم الكثير من قصص الأولين، مبينا ما حاق بهم من ألوان العذاب والإهلاك، كقوم عاد وثمود، وقوم نوح، وفرعون، وغيرهم.

---

(1)- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3/ 447.

ومن هؤلاء المفسدين الذين قصّ القرآن قصّته مع نبيهم؛ قوم سيدنا شعيب عليه السلام، فقد قال سبحانه وتعالى في حقهم:

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الأعراف: 85 – 86].

﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [هود: 84 – 85 ].

﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [الشعراء: 176 – 183].

فهؤلاء هم قوم سيدنا شعيب عليه السلام أفسدوا أنفسهم بعقيدة الشرك وبأعمال الضلال، وأفسدوا المجتمع بمخالفة الشرائع، وأفسدوا الناس بإمدادهم بالضلال وصدّهم عن الهدى، فبعث الله لهم سيدنا شعيبا نبيا ليخرجهم من ضلالهم وإضلالهم؛ فكان حاصل ما أمر به قومه بعد الأمر بالتوحيد ينحصر في ثلاثة أصول: هي حفظ حقوق المعاملات المالية، وحفظ نظام ومصالح الأمة، وحفظ حقوق حرية الاستهداء.

**فالأصل الأول** هو قوله تعالى: ﴿ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ﴾، **والأصل الثاني** من أصول دعوة شعيب عليه السلام: النهي عن كلّ ما

يفضي إلى إفساد ماهو على حالة الصلاح في الأرض. **والأصل الثالث:** هو النهي عن التعرض للناس، و أمرهم بالإيمان بالله وما يتطلبه من الأعمال الصالحة، وفي ذلك صلاح أنفسهم، وبالتالي الكف عن صدّ الآخرين عن إصلاح أنفسهم.(1)

لكن أهل مدين قابلوا دعوة سيدنا شعيب بالتكذيب والجحود، فجاءهم العذاب﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأعراف: 91 – 92].

ويخبر الله تعالى عن شدة كفر قوم شعيب، وتمردهم وما كانوا فيه من الضلال، وما جبلت عليه قلوبهم من المخالفة للحقّ، فكانوا يقولون: ﴿ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ فجاءهم الرّدُّ: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾؛ حيث أخبر تعالى أنه أخذهم بالرجفة كما أرجفوا شعيبا وأصحابه وتوعدوهم بالجلاء، كما أخبر عنهم في سورة هود فقال: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [هود: 94].

والمناسبة في ذلك– والله أعلم– أنهم لمّا تهكموا بنبيّ الله شعيب في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ [هود: 87] فجاءتهم الصيحة وأسكتتهم.

وقال تعالى إخبارا عنهم في سورة الشعراء﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [الشعراء: 189]، وما هذا إلا لأنهم قالوا في سياق القصة ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الشعراء: 187]، فأخبر المولى عزوجلّ أنه أصابهم بعذاب يوم الظلّة؛ وهو اليوم الذي اجتمع فيه عليهم ذلك كله، والظّلّة سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم، فزهقت أرواحهم وفاضت النّفوس وخمدت الأجساد، وصاروا أثرا بعد عين.(2)

---

(1)– ابن عاشور، التحريروالتنوير، 8/ 244–245.

(2)– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3/449.

هكذا كان جزاء المكذبين المفسدين، الذين كذبوا نبيهم وعاثوا في الأرض فسادا، ولعلّ هذا يكون مانعا و رادعا للأمم اللاحقة من الوقوع في أي مفسدة نهى عنها ربّنا تعالى، كما أنهم بما لقوه من العذاب صاروا عبرة لكل من حذا حذوهم في التكذيب والصّدّ عن سبيل الله والإفساد في الأرض، لقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنعام: 11]، وقوله في موضع آخر ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾[ النمل: 69].

فكلّ ما قصّه القرآن الكريم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليبين أن ما حاق بالأمم السابقة من العذاب هو سنة الله في كلّ من سلك سبيل مكذبي الرسل، ولم يبادر بالإنابة إلى الله تعالى[1]، كما أن الله تعالى يعظهم بحال من كذّب من الأمم السابقة، فأمر نبيّه أن يأمر أمّته بالسّير والتّطلّع على حال مجرمي الأمم الغابرة بالحذر أن يصيبهم مثل ما أصاب أولئك، وهذا التحذير يقتضيه معنى الأمر بالنظر في عاقبتهم.[2] كما أنّ في هذه الآيات تهديد وتخويف من أن ينزل بهم ما نزل بالمكذبين قبلهم.[3]

وحاصل القول، أنّ ذمّ المفسدين وبيان عاقبتهم وكل ما لحقهم من العذاب، فيه من التّخويف والتهديد والتحذير ما يمنع الفساد ويدفعه، ويحدّ من انتشاره، ومن خلال هذا فإنه سبحانه يخوف عباده منه ومن عقابه كي لا يقعوا في المعاصي.

يقول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: 30 ]، جاء في تفسير هذه الآية أن: الخطاب فيها للمؤمنين، ولذلك عرّفت الموعظة هنا بالتحذير، لأن المحذَّر لا يكون متلبسا بالوقوع في الخطر، فجاء التحذير تبعيدا واستبعادا من الوقوع، وليس انتشالا بعد الوقوع.[4] فيكون التحذير سببا لمنع الوقوع في الفساد، للذين اتبعوا أهواءهم أو استحوذ عليهم الشيطان، وفيه تخويف للمفسدين من أن يتمادوا في إفسادهم، باجتناب

---

(1)- الطبري، جامع البيان، 491/19.

(2)- ابن عطية، المحرر الوجيز، 4/ 296.

(3)- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ( ط 1/ 1418هـ )، 4/ 166.

(4)-ابن عاشور، التحرير والتنوير، 224/3.

المعاصي والإنابة إلى الحقّ تبارك وتعالى، واتباع أمره ونهيه ومن ثم النجاة من العذاب، لقولــه تعــالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾[ الزمر : 16].

فالقرآن الكريم يعرض صنوف العذاب التي أهلك بها المفسدين، كما أخبر عمّا أعدّه للخاسرين يوم القيامة، تخويفا للناس، وليحذروا عقابه، بالعودة إلى سبيله، واجتناب معصيته.

# المطلب الثاني: الحُدود والتّعْزيرات المشروعة.

## أولا: في اللغة.

الحُدود جمع الحدّ، الحاء والدّال أصلان لمعنيين: الأول المنع، والثاني طرف الشيء، وفلان محدود إذا كان ممنوعًا، وحدّ العاصي سُمي حدًّا لأنه يمنعه من المعاودة.[1]

والحدّ الفصل بين الشيئين لئلا يختلط أحدهما بالآخر، وحدود الله تعالى: الأشياء التي بيّن تحريمها وتحليلها وأمر ألّا يتعدّى شيء منها، فيتجاوز إلى غير ما أمر فيها أو نهى عنه منها، ومنع من مخالفتها.[2]

وفي تهذيب اللغة: حدود الله ضربان: ضرب منها حدودٌ حدّها للناس في مطاعمهم ومشاربهم ومناكحهم وغيرها، وأمر بالانتهاء عما نهى عنه منها ونهى عن تعديها، والضّرب الثاني عقوبات جعلت لمن ارتكب ما نهى الله تعالى عنه كحدّ السارق، وحدّ الزاني والقاذف والزاني المحصن، وسميت حدودا لأنها تحدّ وتمنع من إتيان ما جعلت

(1)– ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 2/ 3، 4. الجرجاني، التعريفات، ص: 88. الجوهري، الصّحاح، فصل الحاء، مادة حدد، ص: 462.

(2)– ابن منظور، لسان العرب، مادة حدد، ص: 800.

عقوبات فيها، وسميت الأولى حدودا لأنها نهايات نهى الله عن تعديها.[1]وكذلك تطلق على المعاصي، كما قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: 187].

وأما التعزير فهو من مادة عزر، العزر هو اللوم، وعزره يعْزِرُه عزرًا وعزَّره ردّهُ، والعَزْر والتّعزير ضربٌ دون الحدِّ، لمنعه الجاني من المعاودة وردعه عن المعصية، والعزرُ المنعُ. وأصل التعزير التّأديب.[2]

## ثانيا: في الاصطلاح.

الحدود هي عقوبة مقدّرة وجبت حقًّا لله تعالى.[3]

التعزيرات أيضا وإن كانت أقلّ ودون الحدود فهي مشروعة لمنع وردع العصاة.

هذه المفاهيم والتعريفات تظهر أنّ وجه إطلاق لفظ الحدود والتعزيرات، واستحقاق المفسدين لها، جاء من الهدف والحكمة من تشريعها؛ إذ أنها تمنع الناس عن ارتكاب المعاصي من باب التخويف بها، كما أنها توجب التأديب لمن ارتكبها، فهي إذن شرعت للعصاة والمنحرفين وأصحاب الأهواء، وكل من ضعف عندهم الوازع الإيماني أو الأخلاقي، لكفهم ومنعهم من الوقوع في المعاصي، أو لتأديبهم وعقابهم على عصيانهم، ومن ثم ردعهم عن المعاودة. ولهذا تعتبر الحدود الدِّرع الذي يحفظ المجتمع المسلم من تفشّي الفساد وانتشار المفسدين، فهي مخطط ومنهج رباني يؤسس لمجتمع صالح، ومصلح لما داخله من فساد المفسدين.

لقد أوجبت الشريعة الإسلامية على مرتكبي الجرائم والمنكرات عقوبات أخروية، جزاء لما ارتكبوه من معاصي وآثام، كما قررت قبل ذلك عقوبات دنيوية على تلك الجرائم، وذلك لأن بعض الناس ممن ضعفت نفوسهم وانعدمت أخلاقهم، لا يردعهم عن طغيانهم ولا يزجرهم عن غيهم الوعيد بعقاب بعد الموت، بل لا يردعهم إلا العقاب العاجل الفوري ليذوقوا ألم العقوبة، ومرارة العذاب، فيمتنعوا من تكرار الجريمة، وينزجر غيرهم، فينقاد للامتثال والطّاعة، وعدم التّردّي في مزالق الفساد، فاقتضت حكمة الخالق جلّ وعلا فرض

---

[1]- الأزهري، تهذيب اللغة، 3/ 420.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، ص: 2924

[3]- الجرجاني، التعريفات، ص: 88.

الجزاء الذي يتناسب مع الجريمة وأثرها السيئ في المجتمع، وليستأصل بوادر الشرّ من حين ظهورها، ويقضي على بوادر الجريمة في مهدها، ويحفظ للناس مصالحهم التي لا تستقيم الحياة بدونها ولا تنهض إلا عليها.(1)

لقد ثبت منذ العهود الأولى للإسلام أنّ أوامر الشارع ونواهيه شرعت لرعاية مصالح العباد التي تعينهم في دينهم ودنياهم، وهذه المصالح حماها الشرع الإسلامي بحد حدود وفرض تعزيرات لحفظ المصالح وتطبيقها عند الاقتضاء، هذه المصالح مجتمعة ترجع إلى خمسة أصول هي: حفظ النفس، وحفظ الدين، وحفظ العقل، وحفظ العرض والنسل، وحفظ المال، وكلها مقاصد الشارع الحكيم، وعليها مدار مصالح الخلق جميعا.

يقول الإمام الغزالي: " المصلحة عبارة عن جلب منفعة أو دفع مضرّة ولسنا نعني به ذلك، فإنّ جلب المنفعة ودفع المضرّة مقاصد الخلق، وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، لكننا نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة، وكلّ ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة...وهذه الأصول الخمسة حفظها واقع من رتبة الضرورات فهي أقوى المراتب في المصالح؛ ومثاله قضاء الشرع بقتل الكافر المضلّ وعقوبة المبتدع الداعي إلى بدعته فإنّ هذا يفوت على الخلق دينهم، وقضاؤه بإيجاب القصاص إذ به حفظ النفوس، وإيجاب حدّ الشّرب إذ به حفظ العقول التي هي ملاك التكليف، وإيجاب حدّ الزنا إذ به حفظ النسل والأنساب، وإيجاب زجر الغصّاب والسّرّاق إذ به يحصل حفظ الأموال التي بها معاش الخلق وهم مضطرّون إليها.

وتحريم تفويت هذه الأصول الخمسة والزجر عنها يستحيل أن لا تشتمل عليه ملة من الملل وشريعة من الشرائع التي أريد بها إصلاح الخلق، ولذلك لم تختلف الشرائع في تحريم الكفر والقتل والزنا والسرقة وشرب المسكر".(2)

---

(1)– محمد عبد الله الزاحم، آثار تطبيق الشريعة الإسلامية في منع الجريمة، دار المنار، (ط 1، 1412هـ/ 1992م )، ص: 89.

(2)– أبو حامد: محمد بن محمد الغزالي الطوسي، المستصفى من علم الأصول، دراسة وتحقيق: محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ( ط 1، 1417هـ/1997م )، 1/ 378- 379.

ولبقاء هذه المصالح شرعت الحدود، وفي تطبيقها تطبيق لمنهج الله في أرضه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " إنّ إقامة الحدّ من العبادات كالجهاد في سبيل الله، فينبغي أن يعرف أنّ إقامة الحدود رحمة من الله بعباده، فيكون الوالي شديدا في إقامة الحدّ لا تأخذه رأفة في دين الله فيعطله، ويكون قصده رحمة الخلق بكفّ الناس عن المنكر لا شفاء غيظه وإرادة العلوّ على الخلق".[1]

إن إحقاق الحقّ والحرص على مصالح العباد جميعا من أغراض هذه الشريعة السمحة، والانتصار للقيم الإنسانية الفاضلة، ونشر الأمن والسلم من خصوصيات هذا الدين، وهذا لا يتأتّى إلا بمدافعة الفساد والمفسدين في كل زمان ومكان بعدم التعدّي على حدود الله بتغييرها أو تعطيلها لأي سبب من الأسباب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { إِنَّ اللهَ تعالى فَرَضَ فَرائِضَ فلا تُضَيِّعوها وحَرَّمَ حُرُماتٍ فلا تَنْتَهِكُوها وحَدَّ حُدودًا فلا تَعْتَدوها وسَكَتَ عنْ أشْيَاءَ غير نِسْيان فلا تبحثوا عنها}.[2]

## المطلب الثالث: وجود المصلحين.

### أولا: لفظ الإصلاح والمصلحين في القرآن الكريم.

لعل أبرز لفظ قرآني ورد في مقابل الفساد والإفساد – كما مرّ في الفصل الأول–هو الصّلاح والإصلاح، وما يتبعهما من اشتقاقات لغوية، كما جاء في الآيات الكريمة التي تذكر وتجمع بين لفظي الفساد في الأرض ولفظ الإصلاح؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ١٥٢ ﴾ [الشعراء: 152]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ٤٨ ﴾ [النمل: 48]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ

[1]– ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، دار المعرفة، بيروت، ص: 98.

[2]– أخرجه الحافظ الكبير علي بن عمر الدار قطني، سنن الدار قطني وبذيله التعليق المغني على الدار قطني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، سعيد اللحام، مؤسسة الرسالة، ( ط 1، 1424هـ/ 2004م )، 5/ 326، برقم( 4396)، 5/ 538، برقم(4814) .

﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ ﴾ [الأعراف: 56]، والمصلحون هم الذين ينهون عن الفساد، وهو لفظ يأتي في مقابل المفسدين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ ﴾ [البقرة: 220].

﴿ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧ ﴾ [هود: 116 – 117]، فـ " لا جرم أنّ الله خلق البشر على نظام من شأنه طريان الاختلاف بينهم في الأمور، ومنها أمر الصّلاح والفساد في الأرض وهو أهمها وأعظمها، ليتفاوت الناس في مدارج الارتقاء، ويسموا إلى مراتب الزّلفى، فتتميز أفراد هذا النوع في كل أنحاء الحياة".[1]

وإذا كان الإفساد مما ذمَّه الله، فالإصلاح شعيرة إلهية ربانية أثنى الله تعالى على القائمين بها، وحثّ الناس عليها حتى يسلموا وينجوا من الهلاك.

جاء في تفسير الآيات السابقة أنّ لولا الواردة في الآية " للتحضيض، صحبها معنى التفجع، والتّأسف الذي ينبغي أن يقع من البشر على هذه الأمم التي لم تهتد، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ ﴾ [يس: 30]، والقرون قوم نوح وعاد وثمود ومن تقدّم ذكره، والبقية هنا يراد بها الخير والنظر والجزم في الدين وسمي الفضل والجود بقية، لأنّ الرجل يستبقي ممّا يخرجه أجوده وأفضله فصار مثلا في الجودة والفضل، ومنه قولهم: في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا. وإنّما قيل **(بقية)** لأنّ الشرائع والدول ونحوها قوتها في أولها، ثمّ لا تزال تضعف، فمن ثبت في وقت الضعف فهو بقية الصدر الأول...أي فلولا كان منهم ذوو بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه".[2]

والمعنى كذلك " هلاّ كان في تلك الأمم أصحاب بقية من خير فنهوا قومهم عن الفساد، لما حلّ بهم ما حلّ، وذلك إرشاد إلى وجوب النهي عن المنكر".[3]

---

[1]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 12/ 189.

[2]– أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 5 / 270– 271، ا بن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، 100/ 600.

[3]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 12/ 183.

ويضيف صاحب **التحرير والتنوير**: " لولا حرف تحضيض بمعنى هلاّ، وتحضيض الفائت لا يقصد منه إلا تحذير غيره من أن يقع فيما وقعوا فيه والعبرة بما أصابهم".[1]

لذا فإنّ وجود المصلحين في كل عصر، من شأنه أن يدفع أو يحدّ عل الأقل من انتشار الفساد والمفسدين، ذلك أن نجاة الأقوام من عذاب الله وسخطه منوط بوجود المصلحين المخلصين.

وفي هذا المعنى ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا بليغا، ليبيّن من خلاله أثر الإصلاح والنهي عن الفساد، في سلامة ونجاة الأمة، فقال: { مَثَلُ القائِمِ في حُدودِ الله والواقِعِ فيها كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا على سَفينَةٍ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسْفَلِها إذا اسْتَقَوْا من الماء مرّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أنّا خرقنا في نَصيبِنا خَرْقًا ولم نؤذِ من فوقنا، فإنْ تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإنْ أخذوا على أيديهم نجَوا ونجَوا جميعا}.[2]

فالقائم في حدود الله هنا هو المصلح الراعي لمحارم الله، والواقع فيها هو المتعدي عليها، فإذا سكت القائم ولم ينكر التعدي على حرمات الله، وسكت عن فساد وإفساد المفسدين أدركهم العقاب والهلاك جميعا.

ومن هنا تأتي أهمية الإصلاح ومدافعة الفساد والمفسدين، وهي من أعظم العبادات والقربات، وهي مهمة الأنبياء والمرسلين، كما جاء على لسان سيدنا شعيب: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود: 88].

---

(1)–ابن عاشور، التحرير والتنوير، 12/ 183.

(2)– أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة ؟ والاستهام فيه، 2/ 205– 206، برقم (2493). و في كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات وقوله عزوجل، 2/ 263، رقم (2686) بلفظ: { مَثَلُ المدْهِنِ في حُدُودِ الله والواقع فيها.....} الحديث، والمدهن هو المرائي الذي يضيع الحقوق ولا ينكر المنكر.

وهنا يجب التأكيد على أنّ المصلحين هم صمام الأمان للأمة لحمايتها من الهلاك، لقوله سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود: 117].

فمتى كان الإنسان صالحا في نفسه، صار من مستلزمات هذا الصلاح إصلاح كل عمل فاسد تقع عليه عينه، لأنّ الإصلاح ليس مهمة الأنبياء فحسب، ولكنه نهج يسلكه المؤمنون الصالحون من بعدهم، في كل زمان ومكان.

يقول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[ الحج: 41]، فـ " الآية آخذة عهدا على كلّ من مكّنه الله، كلٌّ على قدر ما مكن. فأما الصلاة والزكاة فكل مأخوذ بإقامتها، وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكلّ بحسب قوته، والآية أمكن ما هي في الملوك".[1]

وهنا يلفت صاحب التفسير إلى دور الحكام في إشاعة الصلاح بين مختلف أفراد المجتمع، لمَا لهم من القوة والسلطان في تغيير المنكر، وإشاعة المعروف وإصلاح كل فسادٍ.

ومجمل القول؛ أن وجود المصلحين يعدّ من أهمّ وسائل مدافعة الفساد والمفسدين في كل زمان ومكان، يصلحون ما فسد من أدوات قيام الأمة وبقائها، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾[ البقرة: 251]، ويقول عزّ وجلّ: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحج: 40]، يقول **ابن كثير** في تفسير الآية: " لولا أنه .

[1]– ابن عطية، المحرر الوجيز، 4/ 126.

تعالى . يدفع من قوم بقوم ويكشف شر أناس عن غيرهم، بما يخلقه ويقدره من الأسباب، لفسدت الأرض وأهلك القوي الضعيف".[1]

## ثانيا: أهم صفات المصلحين.

لقد كثر الفساد في السنوات الأخيرة، وارتفعت الأصوات بوجوب الإصلاح، وكلّ يدعي الصلاح فيدلي ببنات أفكاره لإصلاح ما فسد، وقد يصدق فيه قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [البقرة: 11 – 12]، ولهذا التبس على الناس معرفة المصلح من الدّعي، والصالح من الطالح، ممّا يستدعي الوقوف على الصفات التي تميّز المصلح عن غيره، وحتى لا يشملنا قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف: 103 – 104].

وإذا أردنا إحصاء الصفات التي يجب أن تكون من أخلاق وسلوكات المصلح فإنه يتوجب علينا إفرادها بمبحث أو فصل قائم بذاته، ولكن المقام هنا يفرض الإيجاز، ولعلّه في الإمكان إجمال تلكم الصفات في أهم صفتين وجب أن تتوفرا في المصلح.

### 1- الصّلاح والإصلاح الذاتي.

لا يمكن أن نتصور إصلاحا يدعو إليه فاسد، فالفاسد استحوذ عليه الشيطان، ففسدت سلوكاته وأخلاقه، فهو بالتالي يسعى أن يكون كل من حوله مثله، فأنّى له أن يصلح، وحقّ عليه قول ربنا: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: 44 ]، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[ الصف: 2 – 3 ]، إلا إذا أصلح نفسه وتعهدها بالاستقامة، وهذه هي

---

(1)– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 5/ 435.

الحقيقة الإلهية والسنة الكونية التي أخبر بها القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: 11]، وإذا كان الإصلاح مسؤولية الجميع كل بحسب موقعه، فالجميع مطالب بتزكية النفس وإصلاحها، وإذا زكت النفوس صلح وانصلح حال المجتمع.

إذن فصلاح المجتمعات الإنسانية ينطلق ويبدأ من صلاح النفوس فيها، وإنما يتحقق صلاحها بتجردها من الأخلاق الذميمة، والطبائع المسترذلة كالكبر والضغينة والأثرة والحسد والتكالب على حظوظ النفس، والجشع في تعقب أسباب الغنى وبسطة الرزق، وعبّر البيان الإلهي عن السّعي إلى التجرّد عن ذلك كله بكلمة التزكية، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: 9 – 10]،وقوله أيضا: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾[الأعلى: 14]، ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾﴾[ النازعات: 18 – 19].[1]

## 2- العودة إلى منهج الأنبياء، والأخذ عنهم.

الأنبياء والمرسلون سادة الصلاح والإصلاح، حملوا راية الإصلاح وبناء المجتمعات الصالحة، لإنجائها من الهلاك أو العقاب الإلهي. وقد أخبرنا القرآن الكريم بسيرهم ومسيراتهم في إصلاح أقوامهم، يقول الله تعالى على لسان نبيه شعيب عليه السلام حين قال لقومه: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنًاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود: 88].

وإذا كان الأنبياء والمرسلون قد انقضت قرونهم، فإن رسالاتهم باقية خالدة، هي بمثابة منهج صائب ناجح لحياة ناجحة، ولهذا يدعونا القرآن الكريم للرجوع إليهم والاقتداء بهم، يقول الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: 21]، ويقول في آيات أخرى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ

---

[1]، البوطي، سنن الله في عباده، ص: 159.

وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾ [الممتحنة: 4 – 6].

إنّ العودة إلى منهج الأنبياء يمنع من الخطأ، ومن الزّلل كما أن الأخذ من سير الصحابة ومن نهج نهجهم من الصالحين، يعين على السير في الطريق السليم للإصلاح، لأن منهجهم مستمد من شريعة الله التي لا يأتيها الباطل أبدا.

وخلاصة القول، إنّ مدافعة المفسدين وإصلاح الفساد لا يصدر إلا من إنسان صالح، ارتقت نفسه من مصاف الصالحين إلى مصاف المصلحين، الذين درسوا وفقهوا الشمائل النبوية وتخلقوا بها، وكان لهم من ميراث الأنبياء نصيب، يعرفون أن مدافعة المفسدين والنهي عن المنكر منجاة من عذاب الله تعالى، والسكوت عن الفساد إيذان بالعقاب والهلاك.

## المطلب الرابع: الدعاء واللجوء إلى الله تعالى.

لا شكّ أن من أقوى وأنجع سبل مدافعة الفساد والمفسدين اللجوء إلى الله تعالى في ذلك، وطلب معونته في دفع الفساد، والأخذ على أيدي المفسدين، وطلب العون من الله تعالى يكون بالدعاء بلا ريب، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[الأعراف: 55 – 56].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [ غافر: 60 ].

فما معنى الدعاء المراد في هذا المقام؟ وماهي ميزاته أو متعلقاته؟

## أولا: في اللغة.

جاء في معجم مقاييس اللغة،( **دعو**) الدال والعين وحرف العلة أصل واحد، وهو أن تميل الشيءَ إليك بصوتٍ وكلامٍ يكون منك. تقول: دعوت أدعو دعاءً .[(1)]

وفي **لسان العرب:** الدعاء من مادة: دعا دعاه دعاءً ودعوى، ومن معانيه اللغوية المتعددة الاستغاثة والتسمية والنداء... ، ولعل المراد من معانيها والأقرب في هذا المقام هو النداء الذي يقصد منه الرغبة إلى الله عزوجل والتضرع إليه.[(2)]

فيكون أخص معاني الدعاء وأظهرها سؤال العبد ربه حاجته.

## ثانيا: في الاصطلاح.

جاء في الحديث الشريف، كما ورد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { الدُّعَاءُ هوَ العِبادَةُ } ثم قرأ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠ ﴾ [ غافر: 60 ] }.[(3)]

قال **الرازي** في تفسيره: " حقيقة الدعاء استدعاء العبد ربه جلّ جلاله العناية واستمداده إيّاه المعونة."[(4)]، كما أنّ معناه معظم العبادة وأفضلها.[(5)]

ذلك أنّ: الدعاء يفيد ذلة العبودية، ويفيد معرفة عزة الربوبية، وهذا هو المقصود الأشرف الأعلى من جميع العبادات.

وبيانه أنّ الداعي لا يقدم على الدعاء إلا إذا عرف من نفسه كونه محتاجا إلى ذلك المطلوب وكونه عاجزا عن تحصيله وعرف من ربه وإلهه أنه يسمع دعاءه، ويعلم حاجته وهو قادر على دفع تلك الحاجة وهو رحيم تقتضي رحمته إزالة تلك الحاجة، وإذا كان كذلك، فهو لا يقدم على الدعاء إلا إذا عرف كونه موصوفا بالحاجة والعجز، وعرف كون

---

(1)– ابن فارس معجم مقاييس اللغة، كتاب الدّال، باب الدّال والعين وما يثلثهما، 2/ 279.

(2)– ابن منظور، لسان العرب، مادة دعا، 16/ 1385.

(3)– أخرجه محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله، الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، (ط3، 1409هـ/1989م)، باب فضل الدعاء، ص: 249، برقم(714).

(4)– الرازي، تفسير الرازي، 104/5.

(5)– الرازي، تفسير الرازي، 107/5.

الإله سبحانه موصوفا بكمال العلم والقدرة والرحمة، فلا مقصود من جميع التكاليف إلا معرفة ذلّ العبودية وعزّ الربوبية، فإذا كان الدعاء مستجمعا لهذين المقامين لا جرم أن يكون الدعاء أعظم أنواع العبادات.[1]

ويرى صاحب **التحرير والتنوير**: أن الدعاء يطلق على عبادة الله على طريق الكناية، لأن العبادة لا تخلو من دعاء المعبود بنداء تعظيمه والتضرع إليه، وهذا إطلاق أقل شيوعا، لأن المراد بالعبادة في اصطلاح القرآن الكريم، إفراد الله بالعبادة اعترافا بوحدانيته.[2]

وعلى هذا الأساس، يكون الدعاء بمعنى طلب قضاء الحاجات من الله تعالى، على النحو الذي يتضمن معنى الخضوع والتذلل والعبودية لله وحده، وعلى معنى الإقرار بأسمائه وصفاته.

## ثالثا: التضرع سمة الدعاء.

الدعاء واللجوء إلى الله تعالى سلوك الأنبياء، والصالحين من بعدهم، لدفع الضر والفساد، والأخذ على أيدي المفسدين، بعد أن بات نهيهم عن المنكر غير مجد، ولم تفلح معهم مساعي الإرشاد والإصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بسبب غلبة الهوى، أو استحواذ الشيطان عليهم، أو أنهم من أصحاب السلطان الذين لا يستطاع الوصول إلى نهيهم ونهرهم عن ارتكاب المفاسد.

فهذا نبي الله لوط عليه السلام يدعو ربه: ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [العنكبوت: 30]، ودعاء سيدنا موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [القصص: 21 ]، ودعاء سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف: 101]، وكذا كان دعاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [المؤمنون: 93 – 94]، و كان يرشد أصحابه إلى دعاء يمنعهم من الوقوع في مفاسد

---

(1)– الرازي، تفسير الرازي، 14/ 125

(2)– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 24/ 182.

الشرك الخفي والرياء، بقوله: { والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبيبِ النَّمْلِ، أَلَا أَدُلُّكَ على شَيْءٍ إذا قُلْتَه ذَهَبَ عنكَ قَليلُهُ وَكَثِيرُهُ، قال: قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وأَنَا أَعْلَمُ وأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لا أَعْلَمُ }.[(1)]

فإذا كان هذا سلوك الأنبياء مع المفسدين والظالمين، فلابد وأن يكون الدعاء وسيلة ناجعة في كف النفس من الوقوع في المفاسد المختلفة، و دفع فساد المفسدين، الذين يعيثون في الأرض فسادا دون رادع ديني، أو أخلاقي.

وقد تضافرت الآيات الكريمة لتدلّ على وجوب الدعاء واللجوء إلى الله تعالى، وبينت الصفة التي يكون عليها الدعاء.

جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: 55 – 56]

﴿ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [غافر: 14]

ترشد هذه الآيات، إلى أهم الصفات التي يجب أن تتحقق في الدعاء، وهي صفة التضرع؛ حيث يأتي هذا اللفظ القرآني ليبين صفة تتعلق بأفعال القلوب وينعكس تأثيرها على الجوارح.

والتضرع يعني الخشوع والانكسار والاستكانة والتذلُّل[(2)] إلى الله عز وجلّ، كما يعني الإخلاص والإلحاح في الطلب، وهو المطلوب من العباد، و المراد من قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنعام: 42 – 43].

(1)– أخرجه البخاري، الأدب المفرد، باب فضل الدعاء، ص: 250، برقم(716).

(2)– ابن عطية، المحرر الوجيز، 2/ 291.

يقول **القرطبي** في تفسيره: " قوله تعالى ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ أي يدعون ويَذِلُّون، مأخوذ من الضّراعة وهي الذّلة....وقوله تعالى ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ ﴾ لولا للتحضيض وهي التي يليها الفعل بمعنى هلّا. وهذا عتاب على ترك الدعاء."(1)

إن تضرع العبد لربه لابد وأن يرافقه الإخلاص وحسن الظن بالله تعالى، كما يجب أن يلازمه ويصاحبه اليقين في إجابة الله له في إصلاح ما فسد، وفي ردع المفسدين، لذلك لا يكون دعاء الله تعالى إلا تضرعا، واستكانة، وتذلُّلا، وإخلاصا، ويقينا في حكمته تعالى، حتى أن هناك من عرّف الدعاء بأنه: " الطلب على سبيل التضرع."(2)

ومن المعاني المتضمنة في التضرع لله عزوجل معنى الإلحاح في الدعاء، والإلحاح في طلب الغوث منه تعالى، كما هو نهج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ حيث جاء في كتب السنة " عن عبد الله بن مسعود قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لمّا كان يوم بدرٍ نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة، ثمّ مدّ يديه فجعل يهتف بربه: { اللَّهُمَّ، أَنْجِزْ لِي ما وَعَدْتَنِي، اللَّهُم آتِ ما وعَدْتَنِي، اللّهُمّ إنْ تَهلكْ هذه العِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لا تعبد في الأرض } فمازال يهتف بربه، مادًّا يديه، مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثمّ التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مُناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله عزّوجلّ: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ ا[الأنفال: 9]، فأمدّه الله بالملائكة."(3)

فالتضرع لله تعالى يستجمع معاني الإخلاص والاستغاثة بالذي لا تقضى الأمور من دون إرادته وقدرته، كما يقتضي الإلحاح في الدعاء وتكراره مرات ومرات، والداعي في هذه

---

(1)–القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 8/ 378.

(2)– الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، الدعاء المستجاب، أعده وعلق عليه وقدم له عبد الرحيم محمد متولي الشعراوي، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، ( د ط، دت)، ص: 373.

(3)– أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، 3/ 1383-1384، برقم(1763).

الحال في موقع المضطر الذي أيقن أن لا قاهر للمفسدين سوى الله تعالى ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: 62]، فمن خلال هذه الآية الكريمة " ضمن الله تعالى إجابة المضطر إذا دعاه، وأخبر بذلك عن نفسه، والسبب في ذلك أنّ الضرورة إليه باللجوء ينشأ عن الإخلاص وقطع القلب عمّا سواه؛ وللإخلاص عنده سبحانه موقع وذمة، وُجد من مؤمن أو كافر، طائع أو فاجر، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[ يونس: 22]، وقوله: ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [العنكبوت: 65]، فأجابهم عند ضرورتهم ووقوع إخلاصهم مع علمه أنهم يعودون إلى شركهم وكفرهم. وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [العنكبوت: 65]، فيجيب المضطرّ لموضع اضطراره وإخلاصه."[1]

هذه الحال مع الكافر المضطر الذي نكص على عقبيه عند النجاة والإحساس بالسلامة، فكيف هي مع المؤمن المضطر الذي التجأ إلى ربه متضرعًا منكسرا معترفًا بعجزه، مقرا بقدرته تعالى على دفع كل ضرّ و ردع كل مفسدٍ.

إن المؤمن إذا أحسن الظن بالله، وأقبل عليه متضرعا مخلصا، تقبله الله تعالى وأجاب دعاءه عاجلا أو آجلا، جاء في الحديث القدسي، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { يَقُول الله عزّ وجلّ: أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إنْ ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإنْ ذكرني في ملإٍ، ذكرته في ملأ هم خير منهم، وإنْ تقرّب مني شبرًا، تقرّبتُ إليه ذراعًا، وإن تقرب إليّ ذراعا تقرّبت إليه باعًا، وإنْ أتاني يمشي، أتيته هرولةً}.[2]

---

[1]- القرطبي، أحكام القرآن، 16/193-194.

[2]- أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قول الله: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾، وقوله: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾ ، 4/ 384، برقم (7405)، طرفاه في 7537،7505، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله، 4/ 2061، برقم (2675).

وعليه يمكن القول، إنّ الدعاء والالتجاء إلى الله تعالى يعني الوقوف بين يدي الله تعالى الوقوف الذي يعلن ويقر فيه خضوعه واستسلامه وانكساره أمام خالقه، كما يعلن حاجته لعونه ومدده سبحانه في ردّ إفساد المفسدين، وإيقاف مددهم وامتدادهم في كلّ زمان ومكان.

إنّ العبد أقرب ما يكون إلى ربه في صلاته، أخلص ما يكون في خلواته، لذا كان الدعاء وسيبقى سلاح المؤمن في إصلاح نفسه، وفي إصلاح وكفّ المفسدين عن إفسادهم.

لقد مرّ في المطلب السابق أن وجود المصلحين هو أحد العوامل التي تحدّ وتمنع انتشار الفساد، وهم بدورهم يتخذون الدعاء وسيلة ترافقهم وتوجههم؛ يدعون الله أن يعينهم ويوفقهم في مهمتهم.

نقل الإمام محمد الغزالي ما رواه ديل كارنيجي عن الدكتور ألكسيس كاريل مؤلف كتاب "**الإنسان...ذلك المجهول**" وأحد الحائزين على جائزة نوبل قوله: " إنّنا نربط أنفسنا حين نصلّي بالقوة العظمى التي تهيمن على الكون، ونسألها ضارعين أن تمنحنا قبسًا منها نستعين به على معاناة الحياة، بل إنّ الضراعة وحدها كفيلة بأن تزيد قوتنا ونشاطنا، ولن تجد أحدًا ضرع إلى الله مرّة إلّا عادت عليه هذه الضراعة بأحسن النتائج".[1]

حين يكون الاعتراف بهذا الشكل من شخصيات نشأت في بيئة لا تعرف من الإسلام ودين الله إلا اسمه، ثمّ تجدها تستشعر عن قناعة، قوة وتأثير الدعاء بتذلل وتضرع للخالق، يأتي اليقين الذي لا يداخله شك في عظمة هذا الدِّين، وتحدوك الرغبة الجامحة للفرار إلى جنب الخالق بالدعاء والتضرع والشكر، أن تحنن وتلطف على خلقه، وجعل الطريق إلى رضاه سهلا سالكا؛ يكفي أن تدعوه خاشعا متضرعا خالصا.. ليجيبك ويقضي حاجاتك.

---

[1]- محمد الغزالي، جدد حياتك، دار المعرفة، (د ط، دت)، ص: 199- 200، رجعت إلى كتاب الإنسان ذلك المجهول لكن لم أتمكن من الوقوف على هذا القول فيه، ربما بسبب اختلاف في الطبعة.

# الفصل الرابع:

# آثار الفساد وعواقبه.

❖المبحث الأول: آثار الفساد وعواقبه الدنيوية.

❖المبحث الثاني: آثار الفساد وعواقبه الأخروية.

# تـوطـــــئة:

إذا كـان للأعمـال الصـالحة الأثـر الطّيـب، علـى الأفـراد والجماعـات، فـي الـدنيا والآخرة، فإن لأعمال المفسدين الأثر السيئ، في دنياهم وأخراهم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [القصص: 83 – 84].

فقد وضّح القرآن الكريم آثار الفساد وعواقبه على المفسدين منذ بدء الخليقة، وبين ما حلّ بهم جزاء فسادهم وإفسادهم في الأرض، ودعا للنظر والاعتبار، قال جلّ ثناؤه:

﴿ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الأعراف: 86].

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأعراف: 103].

﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النمل: 14]

ومن هنا يأتي هذا الفصل لبيان الآثار والعواقب التي تترتب عن الفساد، وعن إفساد المفسدين عند غياب سبل المدافعة والإصلاح وفق المنهج الرباني.

وعليه كان تقسيم الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول: آثار الفساد وعواقبه الدنيوية.

المبحث الثاني: آثار الفساد وعواقبه الأخروية.

## المبحث الأول: آثار الفساد وعواقبه الدنيوية.

لا شك أن الفساد لا يخلف إلا فسادا مثله أو أكثر، وأن الأثر السيئ لا يخلفه إلا أصل فاسد مفسد، ومن هنا كان عدلًا وحقّا أن يكون الجزاء من جنس العمل. فالفساد والإفساد في الأرض إذا لم يُدفعا وفق منهج الله، خلّفا آثارا فاسدة على الأفراد والمجتمعات، وخاصة المجتمعات؛ لأنّ فشوّ الفساد دون مجابهة ومدافعة مؤذن بآثار وخيمة على الجميع، الصالح والطالح فيها سواء.

فإذا كان فساد العقيدة أصل كل المفاسد التي يقترفها الإنسان في مختلف الميادين ومجالات الحياة، كما جاء في الفصل الثاني؛ فذلك لأن فساد العقيدة يجعل العبد يعيث فسادا دون وازع أو رادع، تدفعه إلى ذلك أهواؤه وشهواته، ويزين له الشيطان أعماله، كتعاطي الخمر أو السرقة أو الربا أو الرشوة أو ...و في واقعنا المعيش أقوى الشواهد والمشاهد.

أورد صاحب **التحرير والتنوير** عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[ الجاثية: 21].

يقول ابن عباس رضي الله عنه، أن الذين اجترحوا السيئات هم المشركون؛ لأن اكتساب السيئات هو ديدن أهل الشرك؛ إذ لا دين لهم ولا وازع يزعهم عن السيئات والفساد.[1]

ولابد أن فساد تدينهم وعقيدتهم في الله تعالى، هو الذي حاد بهم عن منهج الاستقامة والصلاح، والتجرؤ على انتهاك المحارم، ورفض تطبيق تعاليم الدين؛ فالشرك والتكذيب بآيات الله، واتباع الأهواء، واستحواذ الشيطان.. تمهد الوقوع في مفاسد أخرى، كما تترتب عنها آثار سيئة على العباد، في الدنيا قبل الآخرة.

---

[1]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 25/ 352.

## المطلب الأول: المعيشة الضنك.

إن المعيشة[(1)] الطيبة المطمئنة غاية كل إنسان على هذه الأرض، هذه المعيشة التي ضمنها الله تعالى لعباده المؤمنين، الذين اختاروا السبيل إليه، في حين أنه سبحانه توعّد الكافرين الذين أعرضوا وانصرفوا واستكبروا بسبب أهوائهم وضلالهم، فضلوا السبيل في الدنيا والآخرة، بقوله سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه: 124].

والضّنك هو الضِيق في المكان، واستعمل مجازا في عُسر أمور الحياة.[2]

يقول **ابن كثير** في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾؛ أي في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإنْ تنَعَّم ظاهره، ولبس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فهو في قلق وحيرة لا تنفك عنه.[3]

وهو ما ذهب إليه **ابن عاشور**في تفسيره من أن المراد بالمعيشة مدة الحياة، التي رتّب الله فيها على المُعرض عن هديه اختلال أحواله في الدنيا، واضطراب البال وتبلبله، فيكون مجامع همِّه إلى التَّحيُّل في إيجاد الأسباب والوسائل لمطالبه، فهو متهالك على الازدياد، خائف من الانتقاص.[4]

ثم يضرب القرآن الكريم الأمثال للناس من الأقوام الماضية، الذين عرفوا حياة الأمن والاطمئنان، لكنهم عندما كفروا أذاقهم الله من الخوف والجوع ما ذهب بطمأنينتهم، كما أخبر عنهم المولى عزوجل: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [النحل: 112

[(1)]– المعيشة من العيش وهو اسم لما هو سبب لحياة الناس من الأكل والشرب وما بسبيل ذلك، والشاهد قولهم معيشة فلان من كذا يعني مأكله ومشربه مما يساعد على بقاء حياته. العسكري، الفروق اللغوية، ص: 102.

[2]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 331/16.

[3]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 323/5.

[4]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 331/16.

– 113]؛ فجعل سبحانه وتعالى " القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته".[(1)]

هذا التمثيل والتصوير القرآني، يجسد الحال التي يؤول إليها القوم الذين تبطرهم وتطغيهم النعم، إلى حد التكذيب بالمنعم، فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف، وإنما سمي ذلك لباسا لأنه يظهر عليهم؛ بسبب الهزال وشحوبة اللون وسوء الحال، فاستعير له اسمه وأوقع عليه الإذاقة، التي أصلها الذوق بالفم، ثمّ استعيرت لمطلق الاتصال مع إنبائها بشدة الإصابة لما فيها من اجتماع الإدراكين: إدراك اللمس والذوق.[(2)]

ولا يخفى على أي واحد مدى الشدة والضيق، الذي يجده الإنسان في حياة يجوع ويخاف فيها، وهو ما وصفه القرآن الكريم بالمعيشة الضنك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: 124]، فهذه المعيشة الضنك، والضيق الشديد هي بسبب الإعراض عن ذكر الله، وهي من أكبر المفاسد التي يصيبها الإنسان.

" لأنّ من آمن بإله إن عزّت عليه الأسباب لا تضيق به الحياة أبدًا؛ لأنه يعلم أنّ له ربًّا يخرجه ممّا هو فيه...لذلك يقولون: لا كرب وأنت ربّ".[(3)]

ذهب **الرازي** في تفسيره، إلى أنّ ضنك العيش وضيقه، قد يقع على العبد في الدنيا أو في القبر أو غيرهما، ثمّ أوردها على عدة تأويلات[4]:

أمّا **الأول:** فهو ما يكون في الدنيا، وقد قال به جمع من المفسرين؛ وذلك لأنّ المسلم لتوكّله على الله يعيش في الدنيا عيشا طيبا، كما قال: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾[ النحل: 97]، والكافر بالله يكون حريصا على الدنيا طالبا للزيادة أبدا؛ فتكون عيشته ضنكا وحالته مظلمة مضطربة، فقال تعالى في

---

(1)– الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ( ط 3، 1407 هـ )، 638/2.

(2)– الشوكاني: محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، (ط 1، 1414هـ)، 238/3.

(3)– الشعراوي، تفسير الشعراوي، 15/ 9436.

4– الرازي، مفاتيح الغيب، 110/22–111.

حقهم: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ [المائدة: 66]، وقال أيضا: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: 96 ]، وقال: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾[نوح: 10 – 12]، وقال: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الجن: 16 ].

وأمّا **الثاني**: فالمقصود بالمعيشة الضنك عذاب القبر، وهو قول عبد الله بن مسعود وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عباس.

وأمّا **الثالث**: وهو الضيق في الآخرة في جهنم، فإنّ طعامهم فيها الضّريع والزّقّوم، وشرابهم الحميم والغسلين فلا يموتون فيها ولا يحيون، وهذا قول الحسن وقتادة والكلبي.

وأمّا **الرابع**: وهو الضيق في أحوال الدين، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: المعيشة الضنك هي أنْ تضيق عليه أبواب الخير فلا يهتدي لشيء منها، وعن عطاء قال: المعيشة الضنك هي معيشة الكافر لأنه غير موقن بالثواب والعقاب.

وأمّا **الخامس**: وهو أنْ يكون المراد الضيق في كلّ ذلك.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن أكثر تأويلات المفسرين تتجه إلى أن المعيشة الضنك تكون في الحياة الدنيا، عقابا دنيويا يرتبه المولى تعالى على الذين أعرضوا عن هديه، وعن عبادته، وعاثوا إفسادا في الأرض، فإذا لم يعودوا إلى سبيل الله نالهم في الآخرة ما هو أشد وأنكى.

إنّ من مؤشرات المعيشة الضنك في الدنيا فقدان الأمن والطمأنينة، وقلة الأموال والأقوات، وهي من أكثر ما تهفو النفوس البشرية للاستزادة منها، ولا ترضى فيها بالنقصان، لذلك نجد في القرآن الكريم من الآيات ما يعِد فيها الله تعالى الذين يؤمنون ببركات من السماء والأرض، كما هو في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: 96 ]، أما إذا أعرضوا كان الجزاء بحرمانهم ومنعهم مما يحبون، و كان لهم من المعيشة الضنك نصيب.

ومن هنا كان التكذيب والإعراض عن عقيدة التوحيد، أو حتى عدم الامتثال لتعاليم الإسلام مما هو مختص بالعبادات والتعاملات، وكل ما ينجرّ عنها من مفاسد اجتماعية أو أخلاقية، سببا في استحقاق الضيق والشقاء في هذه الحياة؛ من جوع وخوف وهي من مؤشرات المعيشة الضنك- كما مضى-، التي توعد الله بها الكافرين والعصاة في كل زمان ومكان.

وهنا يبين القرآن الكريم في عدة مواضع منه، ويربط بين سلوك الإنسان وبين ما ينجرّ عنه، ثمّ يؤكد على أنّ الإنسان هو سبب كل المفاسد على هذه الأرض، كما جاء في قوله تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ [البقرة: 30 ]، وفي قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: 41]، وكأن ما سيذوقونه من قلة الأقوات، وذهاب الأمان هو من ضنك العيش الذي سيجدونه.

ومن تأويلات المفسرين للفساد في هذه الآية: القحط وقلة الأقوات وذهاب البركة، وعن ابن عباس: الفساد هو نقصان البركة بأعمال العباد كي يتوبوا، وقيل الفساد كساد الأسعار وقلة المعاش بسبب المعاصي وقطع السبيل والظلم،[1] وكلها تفضي إلى عدم الاستقرار النفسي، وفقدان الأمن.

---

[1]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 14/ 40.

وفي أنوار التنزيل: الفساد في البر والبحر كالجدب والموْتان وكثرة الحرق والغرق ومحق البركات وكثرة المضار.[1]

وفسّر **الألوسي** قوله تعالى بـ: " ظهر جنس الفساد من الجدب والموْتان ونحوهما في جنس البر وجنس البحر. ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾أي بسبب ما فعله الناس من المعاصي والذنوب وشؤمه، وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى: 30]".[2]

وفسّر صاحب **مفاتيح الغيب** الآية، استنادا إلى تعلقها بالآية التي جاءت قبلها مبينة أن الشرك هو سبب الفساد، كما بيّنه سبحانه وتعالى في آية أخرى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء: 22]، فكان إظهارهم للشرك مورثًا لظهور الفساد، ولو فعل بهم ما يقتضيه قولهم﴿ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ [المؤمنون: 71]، كما قال تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ ﴾ [مريم: 90]، ولكنه تعالى أشار بقوله: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا ﴾.[3]

وهذا ما يتأكد في كثير من آيات القرآن الكريم، أنّ الشرك سبب حتمي لكل جزاء يقع على العبد الكافر، كما هو حال صاحب الجنتين، الذي جحد وكفر بنعم الله عليه فكان جزاؤه: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الكهف: 42]، وفي هذه الآية إقرار من صاحب الجنتين أن كفره وشركه هو سبب ما حلّ ببساتينه وحدائقه، ولذلك قال: ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾.

لقد فسر العلماء الفساد الذي يظهر في البر والبحر بالقحط والجفاف والجوع والخوف، وهي أكثر الأمور التي تنغص حياة العباد وتجعل عيشهم ضنكا، كما عدّوا

---

[1]– البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق، محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ( ط1، 1418هـ)، 208/4. الخلوتي: اسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الخلوتي الحنفي، روح البيان، دار الفكر، بيروت، (د ط، دت )، 7/ 44

[2] – الألوسي، روح المعاني، 21/ 48.

[3]– الرازي، مفاتيح الغيب، 25/ 105.

نقيضها؛ من الأمن والرزق الوفير، من أسباب رغد العيش وجزاء الذين آمنوا بالله، ولهذا كان دعاء سيدنا إبراهيم: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [البقرة: 126]، وفي دعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ ﴾ [قريش: 3 – 4].

إنّ الرفاهَ المادي كثيرًا ما يصحبه أمانٌ واستقرار وراحة من الكدّ والنصب الذي ينال العباد في طلب أرزاقهم، شرط العمل بشريعة الله وأحكامه، والسير وفق منهج الله الذي سطره لهم في حال الرفاهية وفي حال قدرت عليهم أرزاقهم.

والعبرة أنّ الرفاه الاقتصادي أو المعيشي نعمة يفتحها الله على البشر من بركات السماء والأرض بقدر التزامهم بمناهج الله وأحكامه؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[ الأعراف: 96]؛ ذلك أن الإيمان طريق مستقيم يوصل إلى تنظيم اجتماعي صالح، وراقٍ بعيدٍ عن كل فساد؛ فساد في التعاملات والبيوع والمواثيق والعهود وغيرها، ممّا يجعلهم محرومين من الاستفادة من اتباع منهج الله.

السؤال الذي يطرح هنا: كيف يستفيد الناس من تطبيق منهج الله؟ يجيب القرآن الكريم بأنهم سيأكلون من فوقهم ومن تحت أرجلهم في الدنيا، وفي الآخرة يرزقهم الله الجنة ونعيمها[1]، لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[ المائدة: 65- 66 ].

[1]- المدرسي: السيّد محمد تقي المدرّسي، مقاصد السور في القرآن الكريم، دار المحجة البيضاء، الناشر: مركز العصر للثقافة والنشر، بيروت، (ط2، 1434هـ/2013م)، ص: 29- 30.

## المطلب الثاني: الختم والطبع والأكنّة والرّين والأقفال على القلوب.

لمّا كانت القلوب أهمّ منافذ الوعي والإدراك، وهي المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ـ كما جاء في الحديث الصحيح ـ يؤكد القرآن الكريم في كثير من الآيات، أنّ ضلال العباد هو بسبب عمى القلوب لا عمى الأبصار، أو تعطل باقي الحواس.

ويمكن إدراك ذلك بالنظر ومدارسة أحوال الأقوام الذين مضوا، ويكون بالتحقيق في أحوالهم ومآلهم، بالقلوب العاقلة الواعية، ليقفوا على ما لحق نظراءهم من المفسدين في الأرض من سوء العاقبة، يقول الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج: 46 ]، الخطاب هنا موجّه للمكذبين بآيات الله والجاحدين قدرته في البلاد فينظروا إلى مصارع ضربائهم من مكذبي رسل الله الذين خلوا من قبلهم؛ كعاد وثمود وقوم لوط وشعيب، وأوطانهم ومساكنهم، فيتفكروا فيها ويعتبروا بها، ويعلموا بتدبرهم أمرها وأمر أهلها، سنة الله فيمن كفر وعبد غيره وكذب رسله، فينيبوا من عتوهم وكفرهم، ويكون لهم إذا تدبّروا ذلك واعتبروا به وأنابوا إلى الحق قلوب يعقلون بها حجج الله على خلقه، أو آذان تصغي لسماع الحق فتعي ذلك وتميز بين صالح الأعمال وفاسدها.[1]

وتوضيحا لقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾، يقول صاحب **نظْم الدرر**: " ولمّا كان الضار للإنسان إنما هو عمى البصائر دون الأبصار، نفى العمى أصلًا عن الأبصار لعدم ضرورة مع إنارة البصائر، وخصّه بالبصائر لوجود الضرر به، ولو وُجدت الأبصار".[2]

---

[1]- الطبري، جامع البيان، 18/ 657- 658.

[2]- البقاعي: إبراهيم بن عمر بن علي بن أبي بكر البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور، ( د ط، دت)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 13/ 64. السمعاني: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني التميمي،

ومن هنا كانت القلوب المكان الذي تزهر فيه عقيدة التوحيد والإيمان الصحيح، وفيه تينع ثماره وتطيب أعمالا صالحة خالصة لوجهه تعالى، أما إذا ملأه الفساد، واستحوذت عليه الشياطين ختم الله وطبع عليه.

يخبر القرآن الكريم أن أصحاب العقائد الفاسدة، من الكافرين وأصحاب الأهواء وسائر المفسدين، قد طبع الله وختم على قلوبهم، أو وضع عليها أقفالا وأكنة، أو أصابها الران، فقال الله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ ﴾ [البقرة: 7]

كما قال: ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥٥﴾ ﴾ [النساء: 155].

وقال أيضا: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [النحل: 108].

وقال سبحانه: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴿١٦﴾ ﴾ [محمد: 16].

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنعام: 25].

وقال أيضا: ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[ المطففين: 14].

وانطلاقا من هذه الآيات أحصى العلماء الأوصاف التي تصيب القلوب في عشرة أوصاف هي:الختم والطبع والضيق والمرض والرين والموت والقساوة والانصراف والحمية والإنكار [(1)]، ويمكن أن يضاف عليها الأكنة والأقفال والعمى، كما وردت في آيات القرآن الكريم.

وفيما يأتي، بيان بعضها حسب ما يقتضيه المقام.

---

تفسير السمعاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، (ط1، 1418 هـ/ 1997 م )، 3/ 445

[(1)]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 1/ 186.

## أولا: الختم

### في اللغة:

الختْم في اللغة من خَتَمَ، وهو بلوغ آخر الشيء.

والختْم هو الطّبْع على الشيء؛ لأن الطبع على الشيء لا يكون إلا بعد بلوغ آخره.[1]

والْخَتْمُ على القلْبِ: ألا يَفْهمَ شيئا، ولا يَخْرج منه شيء، كأنه طُبِع. وطُبع على القلب خُتِم عليه فلا يعقل ولا يعي شيئا.[2]

وفي **معاني القرآن**: ختم وطبع في اللغة واحد، وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من ألّا يدخله شيء.[3]

و يستعمل الختم عادة متعديا بنفسه، أو بحرف الجر: على، وهو قريب من الكتم لفظا؛ لتوافقهما في العين واللام، ومعنًى لأن الختم على الشيء يستلزم كتم ما فيه.[4]

ومنه، فإن الختم في اللغة هو التغطية على الشيء، إلى الحدّ الذي لا يخرج منه شيء ولا يدخل إليه. أمّا إذا اختصّ بالقلب؛ بمعنى الختم على القلب، أفاد ذلك عدم عقله أو وعيِه لأي شيء. ومن مرادفاته الطّبع.

### في الاصطلاح:

الختم في اصطلاح الشرع، فقد اختلف المفسرون في الآيات التي ورد فيها اللفظ، بين مريد للمعنى الحقيقي– اللغوي –، وبين مريدٍ لحمله على المجاز.

---

[1]– ابن فارس: أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ( د ط، د ت )، 2/ 245.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، باب الخاء، مج 2/ 1101.

[3]– الزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ( ط 1، 1408هـ/ 1988م )، 83/1.

[4]– الكفوي، الكليات، ص: 431. الزمخشري، الكشاف، 48/1.

أمّا **القرطبي** فرأى أنّ الختم على القلوب محمول على المجاز، فيكون معناه عدم الوعي عن الحق سبحانه مفهوم مخاطباته، والفكر في آياته، بسبب الإعراض والاستكبار عن قبول واعتقاد الحقّ. [1]

وإلى هذا الرأي ذهب **ابن عاشور**؛ حيث قال:... وليس الختْم على القلوب هنا حقيقة كما توهَّمه بعض المفسرين...، بل ذلك جارٍ على طريقة المجاز، بأن جعل قلوبهم؛ أي عقولهم في عدم نفوذ الإيمان والحق والإرشاد إليها، والآيات والنذر، والْمعجزات والدلائلِ الْكَوْنِيَّةِ كأنهَا مختومٌ عليها.[2]

فيكون معنى الختم : استمرار الضلالة في نفس الضالّ، ومثله الطبع والأكنة[3]، وأُسند الختم إلى الله تعالى لمّا كفر الكافرون وأعرضوا عن عبادته وتوحيده، كما يقال أهلك المالُ فلانًا وإنما أهلكه سوء تصرفه فيه.[4]

وذهبت طائفة من المتأولين إلى أنّ الختم على القلب محمول على الحقيقة، وأنّ القلب على هيئة الكفّ ينقبض مع زيادة الضلال والإعراض أصبعًا أصبعًا.[5]

من خلال هذه المفاهيم – اللغوية والشرعية– يظهر التوافق بين المعنى اللغوي والشرعي في تفسير الختم على القلب في قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ الذي يعني أنّ الله ختم وغطّى على قلوب الكفار بطريق الإحكام والاستيثاق، حتى لا ينفذ إليها شيء، فلا تعي آيات الله البينات، ولا تتفكر فيها بسبب الكفر.

إلا أنّ هذه التغطية تغطية معنوية لا حسية ـ كما ذكره أكثر المفسرين ـ فيكون الختم على قلوب هؤلاء الكفار بسبب كفرهم واستكبارهم واتباعهم الأهواء، وهو المعنى الذي يدل عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [البقرة: 6-7 ].

---

(1)– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، 232/1.

(2) –المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) – ابن عاشور، التحرير والتنوير، 1/ 255.

(4) – ابن عطية، المحرر الوجيز، 88/1.

(5) – المرجع السابق، الصفحة نفسها.

## ثانيا: الطّبع.

### في اللغة:

الطَّبْع من مادة طَبَعَ، الطاء والباء والعين أصل صحيح، وطَبْع الإنسان سجيته، ومن ذلك طبع الله على قلب الكافر؛ أي ختم عليه حتى لا يصل إليه هدى ولا نور، فلا يوفق لخير.(1)

والطبْع: الختم، وهو التأثير في الطين ونحوه. وأمّا طبَع القلب بتحريك الباء فهو تلطيخه بالأدناس والأوزار وغيرها.(2)

والطبع إحكام الغلق بجعل طينٍ ونحوه على سدِّ المغلوق بحيث لا ينفُذُ إليه شيء إلا بعد إزالة الشيء المطبوع به.3

وعلى هذا يكون الطبع بمعنى الختم والتأثير في الطين، فإذا كان الطبع على القلب أفاد ذلك معنى انغماسه وتلطخه بالذنوب والآثام، أو ختمه حتى لا يصل إليه نور الهداية، ولا يوفق إليه.

### في الاصطلاح:

وردت مادة (طبع) في القرآن الكريم بصيغ الفعل الماضي والفعل المضارع، في عدة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾ [النساء: 155].

وقوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[ النحل: 108 ].

(1) – ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، كتاب الطّاء، باب الطاء والباء وماياثلثهما، 3/ 438.

(2)– ابن منظور، لسان العرب، 4 / 2635.

3– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 18/6.

و وردت بصيغة الفعل المضارع في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥ ﴾ [غافر: 35].

وفي قوله تعالى:﴿ تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠١ ﴾ [الأعراف: 101].

استند المفسرون في تفسيرهم لفعل الطبع إلى هذه الآيات الكريمة، لإبراز معناها الشرعي من خلال السياق القرآني لها.

فبدأ **الماوردي** تفسيره لفعل طبع انطلاقا من تفسير قوله تعالى:﴿ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ ﴾السابق لقوله تعالى:﴿ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ ﴾من الآية نفسها.

فذهب إلى أنّ المراد من قولهم قلوبهم غُلف معنيان:[1]

**أحدها:** أنها محجوبة عن فهم الإعجاز ودلائل التصديق، كالمحجوب في غلافه.

**الثاني:** يعني أنها أوعية للعلم وهي لا تفهم احتجاجك ولا تعرف إعجازك.

فيكون القول الأول إعراضا، والثاني إبطالا.

فجاء قوله تعالى: ﴿ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ ﴾ردًّا عليهم؛ وفيه أيضا تأويلان:

**أحدها:** أنه تعالى جعل فيها ـ الطّبع ـ علامة تدّل الملائكةَ على كفرهم، كعلامة المطبوع.

**الثاني:** ذمهم بأنّ قلوبهم كالمطبوع عليها، لا تفهم آية ولا تطيع مرشدا.

ويقول **ابن عاشور** في تفسيره أنّ: " الطبع على القلب تمثيل لعدم مخالطة الهدى والرشد لعقولهم بحال الكتاب المطبوع عليه، أو الإناء المختوم، بحيث لا يصل إليه من يحاول الوصول إلى داخله، فمعناه أنّ خلق قلوبهم، أي عقولهم غير مدركة ومصدقة

[1]– الماوردي، النكت والعيون، 543/1.

للحقائق والهدى".[(1)] بسبب الكفر، لأنّ الكفر المتزايد يزيد تعاصيَ القلوب عن تلقّي الإرشادِ.[2]

وفي تفسير **المنار**: إنّ الله طبع على قلوب هؤلاء الكفار بسبب كفرهم؛ فكان لكفرهم الشديد الأثر السيئ على أخلاقهم وفعالهم، فسببت الطبع على قلوبهم، أي جعلها كالسكة المطبوعة.[(3)]

وليس الطبع خاصا مقتصرا بالأمم الماضية، ولكنه ينسحب ليكون حكما مطردا لكل قلب كافر عال في الأرض، لقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر: 35].

وقوله تعالى: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأعراف: 100].

وجاءت صيغة الطبع بصيغة المضارع لتدل على استمرار الطبع وازدياده، وقد تفيد الواو في قوله تعالى﴿وَنَطْبَعُ﴾الاستئناف؛ أي ونحن نطبع على قلوبهم في المستقبل كما طبعنا عليها في الماضي.[(4)]

و فرّق صاحب **الفروق اللغوية** بين الختم والطبع من حيث الثَّبات والزَّوال، على عكس الذين قالوا بترادفهما ، بقوله: " الطبع أثر يثبت في المطبوع ويلزمه، فهو يفيد معنى الثبات واللزوم ما لا يفيده الختم؛ ولهذا قيل طبع الدرهم طبعا، وهو الأثر الذي يؤثر فيه، فلا يزول عنه، كذلك أيضا قيل: طبع الإنسان لأنه ثابت غير زائل. وقيل طُبع فلان على هذا الخلق إذا كان لا يزول عنه، وقال بعضهم: الطبع علامة تدلّ على كنه الشيء".[(5)]

من خلال هذه التفسيرات يتضح أنّ الطبع عملية تختص بقلوب الكفار المفسدين؛ أي أن الكفر هو سبب الطبع عليها، و صار التمادي في الكفر، والإعراض عن آيات الله

---

(1)– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 26/ 101.

2– المرجع نفسه، 18/6.

(3)– محمد رشيد رضا: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بهاء الدين القلموني، تفسير القرآن الكريم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ( د ط، 1990م )، 15/6.

(4) – ابن عاشور، التحرير والتنوير، 29/9.

(5)– أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ( دط، ت)، ص: 73.

تعالى، واتباع الأهواء، واجتراح السيئات والمفاسد سببا للطبع عليها و إغلاقهاحتى تعمى عن آيات الله وعن الاعتبار بها، وكانت كالوعاء الذي أحكم إغلاقه ثم ختم عليه بطابع يعرف به الكافر.

فحين يعرض الإنسان، وينأى عن منهج الله الذي أمر باتباعه، يستسهل اقتراف الذنوب ويسعى في الأرض إفسادا، وينزلق في مزالق الذنوب والآثام، حتى يصيبه العمى، وتنكت في قلبه النكتة بعد النكتة، فتغلفه عن آخره، ويحجب عن أنوار الهدايات التي يدرك بها الطريق إلى الحق.

## ثالثا: الأكنّة.

### في اللغة:

كنن، الكِنّ والكِنّة والكِنان: وقاء كلّ شيء وستره. والكِنّ البيت، والجمع أكنان، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا ﴾ [النحل: 81].

وكنّ الشيء يكنُّه كنًّا وكنونا وأكنَّه وكنّنه: ستره. والأكنة هي الأغطية.[1]

### في الاصطلاح:

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ ﴾ [الأنعام: 25].

يقول **الطبري** في تفسير الآية: من هؤلاء الكفار من عباد الأوثان من يستمع ما تدعوه إليه من توحيد الله، وأمر ونهي، ولا يفقه ما تقول ولا يتدبره، ولا يعقل عنك ما تقول، لأن الله جعل على قلبه أكنة. وهي جمع كِنان وهو الغطاء.[2]

وعند **ابن عاشور** أيضا: الكنان هو الغطاء، لأنه يكُنُّ الشيء؛ أي يستره. وشبهت قلوب الكفار في عدم خلوص الحق إليها بأشياء محجوبة عن شيء، وأثبتت لها الأكنة

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، 5 / 3942- 3943.

[2]- الطبري، جامع البيان، 11 / 305. و 18 /52.

تخييلا، ما فيه معنى المنع من اتباع الحق وفهم القرآن.[1]أي أن ابن عاشور يرى أن الأكنة هنا على سبيل التخييل والتشبيه، لا على سبيل الحقيقة.

فالأكنة التي جعلها الله على قلوب الكفار هي حجب[2] أو أغشية[3]، وكلها معانٍ تفيد التغطية على قلوب الكفار، تمنعها من فهم آيات الله وتدبرها.

## رابعا: الرّين.

### في اللغة:

الرّين: هوالطّبع والدّنس، والرّيْن الصّدأ الذي يعلو السيف والمرآة.

وأصل الرّيْن الطّبع والتغطية، وران الذنب على قلبه، يرين رينًا وريونا: غلب عليه وغطّاه.[4]

وفي **معاني القرآن:** ران بمعنى غطى على قلوبهم، يقال ران على قلبه الذنب يرين رينًا إذا غشي على قلبه، والريْن كالصّدأ يغشى على القلب[5].

### في الاصطلاح:

جاء في قوله تعالى من سورة المطففين : ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤ ﴾ [المطففين: 13-14].

والآية في حق الكافرين المكذبين، يقول **ابن كثير:** " أي ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا، إنّ هذا القرآن أساطير الأولين، بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله صلى الله عليه وسلم، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرّين الذي قد لبس

[1]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 7 / 179- 180.

[2]- القاسمي، محاسن التأويل، 4 / 336.

[3]- السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص: 353.

[4]- ابن منظور، لسان العرب، 3 / 1796- 1798.

[5]- الزجاج، معاني القرآن، 5 / 299.

قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا...والرّين يعتري قلوب الكافرين، والغَيْمُ للأبرار، والغيْن للمقربين".[1]

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ﴾ أي؛ " كثرت المعاصي والذنوب منهم، فأحاطت بقلوبهم، فذلك الرين عليها".[2]

فالرّين أو الرّان هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب. والأصل أنّ القلب يصدأ بالمعاصي، فإذا زادت غلب عليه الصدأ حتى يصير رانًا، ثم يغلب حتى يصير طبعا وقفلا وختما، فيصير القلب في غشاوة وغلاف.

قال مجاهد: الرّان هو الذّنب على الذنب، حتى تحيط الذنوب بالقلب وتغشاه فيموت. وقال مقاتل: ران على قلوبهم بمعنى غمرت القلوب أعمالهم الخبيثة. [3]

كل هذه المعاني مأخوذة من الحديث النبوي الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:{ إِنَّ العَبْدَ إذا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ في قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْداء، فإذا هوَ نَزَعَ واسْتَغْفَرَ وتابَ سُقِلَ قلبُهُ وإنْ عادَ زِيدَ فيها حتى تَعْلو قَلْبَه وهو الرّان الذي ذكَرَ الله ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ }.[4]

فالحديث يوضح أثر المفاسد و مختلف الذنوب والمعاصي على القلوب، وخاصة الكفر؛ فكثرة الذنوب وإتيانها دون العودة إلى التوبة والاستغفار يجعل السواد يعلوها ويغشيها، وهذا هو الران الذي أخبر به القرآن الكريم.

ومجمل القول، أنّ الرّان هو ما يغشى ويغطي قلوب الكفار، بسبب الذنوب و مختلف المفاسد التي أحاطت به، فتجعله لا يسمع ولا يفقه آيات الله، بل ويصدّ عنها صدودا.

---

[1] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 8 / 350.

[2]– الفراء: أبو زكريا يحي بن زياد بن منظور الديلمي الفراء، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ( ط 1، د ت )، 3 / 246.

[3]– ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية، تفسير القرآن الكريم، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ( ط 1، 1410 هـ)، ص: 563.

[4]– أخرجه محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الكبير، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ( ط 1، 1996م )، 5 / 359، برقم (3334)، وقال حديث حسن صحيح.

وخلاصة القول في هذا المقام، إن الختم والطبع والأكنة والران وغيرها[1] من علامات يعرف بها الكافرون والمشركون والمفسدون عبر العصور، ختم الله وطبع على قلوبهم فلا يصل إليها الإيمان ولا تفقه آيات الله، وكلها نتيجة إعراضهم وصدودهم، وبسبب إيثارهم سبيل الإفساد على سبيل الصلاح ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ ﴾ [الصف: 5].

## خامسًا: الأقفال.

### في اللغة:

الأقفال جمع قُفْل وقُفُل: ما يغلق به الباب مما ليس بكثيف.[2]

القَفيل الخشب اليابس، ومنه القفل، وسمي بذلك لأن فيه شدّا وشدّة.[3]

### في الاصطلاح:

قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤ ﴾ [محمد: 24]، الأقفال جمع قفل وهو استعارة مكنية؛ إذ شبهت القلوب في عدم إدراكها المعاني بالأبواب أو الصناديق المقفلة.

وإضافة أقفال إلى ضمير قلوبٍ نظم بديع أشار إلى اختصاص الأقفال بتلك القلوب، أي ملازمتِها لها فدلّ على أنها قاسية[4]، وهي مطبقة لا يخلص إليها شيء.[5]

وعليه يمكن القول أنّ الأقفال تشبيه أطلقه القرآن الكريم وخصّ به القلوب التي عدمت فهم وتدبّر القرآن الكريم، لأن أصحابها أعرضوا عن آيات الله وكذبوا رسله،

---

[1]- موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، دراسة موضوعية لـ: 345 موضوعا قرآنيا، إشراف وتحرير مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ( ط1، 1440هـ/ 2019 م ).

[2]- ابن منظور / لسان العرب، 5/ 3708.

[3]- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 5/ 112.

[4]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 26/ 114.

[5]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 7/ 320.

وأفسدوا في الأرض إفسادا، استغنوا فاستغنى الله عنهم، وجعل على قلوبهم أقفالا فلا يتدبرون ولا يعقلون.

إن الآثار السالفة الذكر: الختم، والطبع، و الرّان، و الأكنّة، والأقفال، هي ألفاظ قرآنية، وردت في مواضع عديدة من السياق القرآني، طبعها المولى عز وجل على قلوب الكافرين في كل مرّة يقصّ فيها علينا القصص الذي يذْكر مفاسدهم، وما آلوا، وما ترتب عليهم بسبب الكفر، والسعي في الأرض فسادا. فصارت سنة من سنن الله تعالى في عباده المستكبرين الجاحدين؛ لأن فساد عقيدة الكفار والمشركين والمنافقين ومن اتصف بصفاتهم، جعلت قلوبهم مقفلة محجوبة عن إدراك آيات الله والتدبر فيها، وعن اتباع الرسل، والطاعة لهم، والاستهداء والاسترشاد بهم.

والملاحظ على هذه الألفاظ، أنها تتفق في محلها وموضع إيقاعها؛ وهو القلوب، كما تتفق في سبب ترتيبها على أصناف المفسدين، وتتقارب في معانيها، لكنها تختلف في مبانيها؛ هذا الاختلاف في المبنى، يجعل بينها اختلافا وتباينا من حيث قوة وشدة هذه الآثار على مستحقيها.

بالنسبة للختم والطبع، فقد سبقت الإشارة إلى ترادفهما، وأما بقية الآثار فقد جاء ترتيبها من الأيسر الأخفِّ إلى الأشدّ، على نحوِ ما رُوِي عن مجاهد قوله: الرّان أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الأقفال، والأقفال أشد من ذلك.(1)

فأشد هذه الآثار هو الأقفال، وأقل منها الطّبع، وأيسرها الرّان.

هناك من ذهب إلى أن الختم والطبع والأقفال من الأفعال التي يوقعها المولى تعالى على قلوب الكافرين مجتمعة، فإذا تم اجتماعها عرفت بالرّان الذي يمنع من إدراك الحقّ، مشبها ذلك بالبيت الذي أغلق بالأقفال، ثم ختم بالطابع أو الشمع حتى لا ينفذ إليه أحد.

واسترسل صاحب هذا الرأي موضحا ذلك بقوله: " من فطرة الإنسان إذا هو عاد وأصرّ على الباطل بعد معرفة الحق المبين وأعلن تكذيبه وكفره بالحق، أن يصاب قلبه بالصمم وأنْ يتبلّد حسه تجاه الحق والخير، فإذا ألقي عليه الهدى أعرض عنه ولم يستمع إليه، ولم يدرك جوانب الحق فيه، ولم يتحرك وجدانه وضميره بعاطفة إيجابية نحو الخير،

(1)– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1 / 174.

ويكون كالصخر الأصمّ الذي لا يقبل ندى معرفة، ولا يندى بعاطفة، فإذا وصل الإنسان إلى هذا المستوى من القسوة وجفاف عواطف الخير، فإنه يكون مغلّف القلب مسدود المنافذ محجوبا بحجاب غليظ، حتى يكون بمثابة البيت الذي أغلق بابه، وضرب عليه الأقفال، ثم ختمت الأقفال بطابع الطين أو الشمع، إشعارا بوصولها إلى غاية إقفالها، أو بمثابة المعدن الذي يعلوه الصدأ حتى يغشيه تغشية تامة ويحجبه حجبًا كاملًا، وهذا هو الرّان الذي يغشي قلوب الكافرين المكذبين".[1]

## المطلب الثالث: حَبْط الأعمال.

### أولا: في اللغة.

الحبَط وجعٌ يأخذ البعير من كلأ يسْتَوْبِله. و تقول: حبِط عمله يحبَط **حبْطًا**، وبتحريك الباء حبَط يحبَط **حبَطًا**، وحبَطُ العملِ وبطلانه مأخوذ من حبَط البطن، لأنّ صاحب الحبط يهلك، وكذلك عمل المنافق والمشرك يحبَط. وأحبط الله أعمال من أشرك به.[2]بمعنى أبطلها، فلا يقبل منهم عملا بسبب شركهم.

وتقول: الحَبْط والحُبوط من الفعل حبِط أي: عمل عملًا ثمّ أفسده.[3]

### ثانيا: في الاصطلاح.

ورد في القرآن الكريم الفعل أحبط وحبِط في مواضع عديدة منه، من ذلك قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٢٨ ﴾ [محمد: 28 ].

---

[1]– الميداني: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، صراع مع الملاحدة حتى العظم، دار القلم، دمشق، ( ط 5، 1412هـ/ 1992 م )، ص: 387– 388.

[2]– الأزهري، تهذيب اللغة، 4 / 395– 397.

[3]– ابن منظور، لسان العرب، 2/ 756.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [آل عمران: 21 – 22].

ومعنى الإحباط فيها هو إبطال عمل البرّ من الحسنات بالسيئات.[1] وأحبط الله أعمالهم بمعنى أبطلها.

وحبْط الأعمال: زوال آثارها المجعولة مرتبة عليها شرعا.[2] والمقصود بالأعمال؛ الأعمال الصالحة.

والأعمال المقصودة في الآيات، هي أعمال الكافرين التي كانوا يعدّونها من الصالحات، فجاء القرآن ليقوض زعمهم، بسبب كفرهم، وتكذيبهم، وعموما بسبب إفسادهم في الأرض، فيقول المولى تعالى في حقهم: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: 23]؛ أي كل ما عملوه حبطه الله وأبطله.

فأهل الجاهلية كانوا يعدون الأعمال الصالحة مجلبةً لخير الدنيا، لأنها في اعتقادهم ممّا يرضي الله تعالى فيجازيهم بنعم الدنيا، إذ كانوا لا يؤمنون بالبعث، ومن تلكم الأعمال ما جاء على لسان أمّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم حين كانت تبشر النبي صلى الله عليه وسلم بكل ثبات وثقة، لمّا تحيّر في أمر ما بدأه من الوحي: {والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لَتَصِلُ الرَّحِمَ وتُقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ على نَوَائِبِ الدَّهْرِ}.[3]

وما ذكر هنا من الخصال، قد كان معروفا عن أهل الجاهلية، وهو من الأعمال الصالحة التي أقرها ودعا إليها الإسلام، بل وحثّ عليها؛ كصلة الرحم، وإكرام الضيف، وإعانة ذا الحاجة، إلا أن عقيدتهم الفاسدة في الله تعالى أحبطت ما صنعوا وجعلتها هباء منثورا لا ينتفعون بها؛ لا في الدنيا ولا في الآخرة.

---

[1]– العسكري، الفروق اللغوية، ص: 236.

[2]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 332/2 .

[3]– المرجع نفسه، 19/ 8.

كما يبيّن الله تعالى في آيات أخرى عدم انتفاع الكافرين بأعمالهم، ومثلها بتمثيل عميق المعاني، حيث يقول الله عزّوجلّ: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾ [إبراهيم: 18]؛ حيث شبه سبحانه أعمال الكافرين برماد مكدس، حتى إذا اشتدت الريح به انتثر، وتفرق تفرقًا لا يرجى اجتماعه.

ومن لطائف هذا التمثيل؛ أنه تعالى اختار له التشبيه بهيئة الرماد المتجمع، لأنّ الرماد أثرٌ لأفضل أعمال الذين كفروا وأكثرها شيوعا بينهم؛ وهو قرى الضيف، حتى صارت كثرة الرماد في لسان العرب كناية عن تفضلهم في الكرم وحسن الضيافة[1]، وعلى الرغم من أنّ إكرام الضيف، وعابر السبيل، وإطعام الطعام من أفضل الأعمال كما نصت عليه الأحاديث النبوية، إلا أنها لم تشفع لهم أمام فساد عقيدتهم، حين كفروا بالله الذي أنعم عليهم بالنعم، وجعلها تجري بين أيديهم.

وفي آية أخرى يصور القرآن الكريم، كيف أن الكفار لا ينتفعون بأعمالهم مهما تعددت وتنوعت لأنهم كفروا، فلم تغن عنهم أعمالهم شيئا: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النور: 39].

وهذا مثل آخر للكافرين الذين" يعتمدون على ما يحسبونه خيرا في زعمهم، وهو خير في ذاته كصلة الرحم، ولكن لا قيمة له لعدم الإيمان، والنية الحسنة، ويحسبون أنه خير قدموه، وهو لا وجود له، فهو كالسراب الذي يحسبه الظمآن ماءً، ويسير حتى يجهده السير، ويسير ثمّ يسير ويشتدّ في طلبه، حتى إذا جاء إلى ما ظنه عنده لم يجده شيئا".[2]

هذا التمثيل والتصوير، هو الذي يعبر عنه القرآن نفسه في آيات كثيرة، بألفاظ مشتقة من حبوط العمل، لتؤكد الآيات على أن الكفر والشرك من موجبات حبط الأعمال مهما كانت، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، 13 / 213.

[2]– أبو زهرة، زهرة التفاسير، 10 / 5200.

وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[ الزمر : 65]، ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [ الأنعام: 88 ]

من هنا يتضح جليا أن حبوط الأعمال مهما كانت قيمتها، هي نتيجة لا مناص منها للاعتقاد الفاسد في الله تعالى؛ بالكفر والشرك والنفاق وكل ما يؤدي إليهما، وبالتالي يكون الارتداد عن دين الله موجبًا لحبوط العمل وبطلانه، لقوله سبحانه: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [البقرة: 217].

ولما كان الكفر طريقا ممهدا لمختلف المفاسد؛ من قتل الأنبياء والصالحين والدعاة، الذين يجتهدون في نشر الصلاح ونشر المعروف بين الناس، جعلها الله من محبطات الأعمال، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [آل عمران: 21 – 22].

و**أولئك** إشارة للذين كفروا ويكفرون بآيات الله، وجحدوا ما أمر الله به، وقتلوا الأنبياء والصالحين ممن يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فهؤلاء حبطت أعمالهم وبطلت في الدنيا قبل الآخرة؛ فلم ينالوا بها محمدة ولا ثناء من الناس، لأنهم كانوا على ضلال وباطل، ولم يَرفع لهم ذكرًا، بل لعنهم وهتك أستارهم، وأبدى ما كانوا يخفون من قبائح أعمالهم.[1]

لقد جعل الله عزّ وجل أعمال هؤلاء المفسدين غير نافعة لهم، وغير مقبولة، وهي باطلة لأنها لم تصدر من قلب سليم[2]، لأن سلامة القلب وصلاحه يكونان بالإخلاص وابتغاء وجه الله تعالى، والإخلاص ينأى بالعبد عن مقاربة الفساد والمفسدين، فيكون صلاح الأعمال بصلاح القلب، وفساده بفساده، وهو المعنى المستفاد من حديث:

[1]– الطبري، جامع البيان، 6/ 287.

[2]– طنطاوي، التفسير الوسيط، 13 / 242.

{أَلَاوإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَح الْجَسدُ كُلّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ}. [1]

ومن المعاني التي أفادت إبطال العمل، قوله تعالى: ﴿ لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ ﴾ ، التي وردت في حق المنافقين: ﴿ قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمًا فَٰسِقِينَ ۝٥٣ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ۝٥٤ ﴾[ التوبة: 53 – 54 ]، فبيّن الله سبحانه عدم قبول نفقاتهم بسبب فسقهم وفسادهم، وأنّ السبب الأول لعدم قبولها هو كفرهم بالله وبرسوله﴿ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾ وهذا بلا ريب أصل كل المفاسد.

لأنّ فساد العقيدة يعني توالي المفاسد؛ وكاتباع الأهواء، والتنطع، والعثى في الأرض إفسادا، لذلك جعل الله تعالى الكفر محبطا للأعمال، وجعل كل ما هو خارج دائرة التوحيد موجبا لسخط الله تعالى، محبطا لسائر الأعمال.

لقوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٢٨ ﴾ [ محمد: 28 ].

وقوله أيضا:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٩ ﴾ [محمد: 9]؛ " أي أبطل أعمالهم إبطالا لا صلاح معه بسبب أنهم أفسدوها بنياتهم فصارت وإن كانت صورها صالحة ليس لها أرواح، كونها واقعة على غير ما أمر به الله الذي لا أمرَ إلا له، يقبل من العمل إلا ما حدّه ورسمه، وهذا وعيد للأمة أنها إن تخلّت عن نصر الله والجهاد في سبيله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكّلها سبحانه إلى نفسها وتخلى عن نصرها وسلّط عليها عدوها، ولقد وجد بعض ذلك من تسلّط الفسقة لمّا وجد التهاون في بعض ذلك والتواكل فيه".[2]

---

[1]– سبق تخريج الحديث، ص:36.

[2] – البقاعي، نظم الدرر، 18 / 211.

وجدير بالذكر، أنّ حبوط الأعمال ليس مقتصرًا على أصحاب العقائد الفاسدة من كفر وشرك ورياء فحسب، ولكنه ينسحب على المؤمنين من حيث لا يشعرون، لذلك يقول الله عزوجل في كتابه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ ﴾ [ الحجرات: 1 – 2].

فالآية نداء للمؤمنين؛ حيث" طلب إليهم ألا يقطعوا أمرا دون أن يحكم الله ورسوله به، ولا أن يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أن يجهروا له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض؛ لما في ذلك من الاستحقاق الذي قد يؤدي إلى الكفر المحبط للأعمال".[1]

وإذا كان رفع الصوت في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم منهيا عنه، وهو المقصود بدايةً، كما جاء في أسباب النزول لهذه الآية، فمن باب أولى أن يكون الابتداع والإتيان بأمور لم تكن في سنته صلى الله عليه وسلم من موجبات حبط الأعمال.

وهو ما ذهب إليه **ابن القيّم** بقوله: " حذّر الله المؤمنين من حبوط أعمالهم، بالجهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما يجهر بعضهم لبعض، وليس هذا بردة، بل معصية تحبط العمل، وصاحبها لا يشعر بها، فما الظنّ بمن قدّم على قول الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه وطريقه قولَ غيره وهديه وطريقه".[2]

ومن هنا يمكن القول، أن الخروج عن هدي النبي صلى الله عليه وسلم ولو في منفعة، يوقع في الغلوّ – كما سبق ذكره–، و هو خروج عن عقيدة التوحيد، وهذا الأخير أصل حبوط الأعمال كلها.

فعلى المؤمن أن يكون في حذر دائم، ممّا يأتيه من تصرفات لا يلقي لها بالاً، لكنها تحبط أعماله.

---

[1] – المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ( ط 1، 1365هـ / 1946م )، 26 / 120.

[2] – ابن قيم الجوزية، الوابل الصّيّب من الكلم الطيّب، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، (د ط، دت )، ص: 11.

وهذا ما استنبطه صاحب **الكشّاف** من الآية، فقال[1]: وقد دلّت الآية على أمرين هائلين:

**أحدهما:** أنّ فيما يرتكبه من يؤمن من الآثام ما يحبط عمله.

**الثاني:** أنّ في آثامه مالا يدري أنه محبط، ولعله عند الله كذلك.

فعلى المؤمن أن يكون في تقواه كالماشي في طريق شائك لا يزال يحترز ويتوقّى و يتحفّظ.

وعليه يمكن القول، أن محبطات الأعمال ومفسداتها أكثر من أن تحصر؛ فالرياء وإن دقّ وخفِي محبط للعمل، وهو أبواب كثيرة، يعتري الإنسان في عباداته وتعاملاته، وكون العمل غير مقيد باتباع السنة أيضا موجب للبطلان، والمنّ على الله تعالى بقلبه مفسد له، وكذلك المنّ بالصدقة والمعروف والبرّ والإحسان والصّلة مفسد لها(2)؛ لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ ﴾ [البقرة: 264].

وليست آثار الفساد مقتصرة على ما سبق ذكره فحسب، ولكن هناك من العناوين ما يمكن إيراده في هذا المقام، وعدّه من الآثار، إلا أنه قد سبق التطرّق إليها في مباحث أخرى؛ كانتفاء محبة الله للمفسدين، وما تخلفه الحدود و العقوبات والتعزيرات من آثار مادية ونفسية.

---

1- الزمخشري، الكشّاف، 4 / 355.

(2)- ابن قيم الجوزية، الوابل الصّيّب من الكلم الطيّب، ص: 11.

## المبحث الثاني: آثار الفساد وعواقبه الأخروية.

يبدأ هذا المبحث حيث انتهى المبحث السابق، وهو حبوط العمل؛ فالمفاسد لا تحبط الأعمال في الدنيا وحسب، ولكنها تحبط الأعمال في الآخرة، مصداقا لقوله تعالى:

﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [البقرة: 217].

وقوله تعالى أيضا: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ آل عمران: 22].

لأن حبوط الأعمال في الدنيا يستتبع حبوطها في الآخرة، ومعنى حبوطها في الآخرة إزالة آثارها النافعة؛ من ثواب ونعيم الآخرة.

كما يجد المفسدون يوم القيامة الآثار التي تكافئ إفسادهم، ونهاية تجارتهم الخاسرة مع المولى تعالى، والتي سيتبعها الحسرة والندم لا محالة، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[ الزمر: 65]، هذه الخسارة تعني استحقاقهم العذاب الذي كانوا يكذبن به، قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النحل: 88 ]،لأنّ الله تعالى سيحاسبهم على كل أعمالهم: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [ الأنبياء: 47].

## المطلب الأول: الخسران والحسرة.

### أولا: في اللغة.

خسِرَ خَسْرًا وخَسَرًا وخُسْرانًا وخسارة وخسارًا، فهو خاسر وخَسِرٌ كلّه ضَلَّ. والخَسَار والخسارة والخيسرى: الضّلال والهلاك.الذين خسروا أنفسهم وأهليهم أي: أهلكوهم. والخاسر الذي ذهب ماله وعقله.(1)

### ثانيا:في الاصطلاح.

الخسران من الألفاظ التي ترددت في القرآن الكريم؛ حيث توضح بل وتؤكد جميعها على أن الخسران نتيجة حتمية للمفسدين في الأرض، بل وفصل لنا سبحانه التفصيل الذي لا يبقى معه شك في خسارة المفسدين، يقول الله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [البقرة: 27].

جاء في **تفسير الطبري:** الخاسرون جمع خاسر، وهم الناقصون أنفسهم حظوظها من رحمته تعالى، كما يخسر الرجل في تجارته، فكذلك الكافر والمنافق؛ خسر بحرمان الله إيّاه الرحمة التي خلقها لعباده يوم القيامة.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كلّ شيء نسبه الله إلى غير أهل الإسلام من اسم مثل خاسر فإنما يعني به الكفر، وما نسبه إلى أهل الإسلام فهو الذّنب.(2)

وفي **التحرير والتنوير:** " الخسران حقيقة ضدّ الرّبح، وهو عدم تحصيل التاجر على ما يستفضله من بيعه، ويستعار لفقدان نفعِ ما يُرجى منه النفع".(3)

فمن معاني الخسران النقص، وذهاب المال، وعدم تحصيل المنافع المرجوة، ومن معانيه أيضا الضّلال والهلاك، وكلها معان يمكن استفادتها من ورود اللفظ بجميع

(1)- ابن منظور، لسان العرب، 2 / 1156.

(2)- الطبري، جامع البيان، 1 / 417.

(3)- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 8 / 32.

اشتقاقاته في القرآن الكريم، لأن من خصائص القرآن الكريم أنه يقرب معاني آياته للناس، بما يستقر في أذهانهم؛ من لغتهم، وبيئتهم، والأقرب إلى نفوسهم.

لقد ذكر القرآن الكريم أفعالًا عديدة هي من صور الإفساد في الأرض، وجعل عاقبتها الخسران المبين، وفاعلها من الخاسرين.

منها قوله تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المائدة: 30]، أي شجعته نفسه وزينت له فعل القتل، وهذا من فعل الشيطان الذي يزين المفاسد، فأصبح من الذين باعوا آخرتهم بدنياهم، فوكسوا في بيعهم وخابوا في صفقتهم.[1]

ولما كان الشيطان المعين في المفاسد كلها، للذين اتخذوه وليا، قال الله تعالى حكاية عن قول إبليس: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾[ النساء: 119]، فكان اتخاذ الشيطان وليا سببا للخسران المبين.

يقول صاحب **مفاتيح الغيب:** " واعلم أنه تعالى لما حكى عن الشيطان دعاويه في الإغواء والضلال، حذر الناس عن متابعته، فقال: ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾، واعلم أن أحدا لا يختار أن يتخذ الشيطان وليا من دون الله، ولكن المعنى أنه إذا فعل ما أمره الشيطان به، وترك ما أمره الرحمن به، صار كأنه اتخذ الشيطان وليا لنفسه، وترك ولاية الله تعالى، وإنما قال خسر خسرانا مبينا لأن طاعة الله تفيد المنافع العظيمة الدائمة الخالصة عن شوائب الضرر، وطاعة الشيطان تفيد المنافع الثلاثة المنقطعة المشوبة بالغموم والأحزان والآلام الغالبة، والجمع بينهما محال عقلا، فمن رغب في ولايته فقد فاته أشرف المطالب وأجلها بسبب أخس المطالب وأدونها، ولا شك أن هذا هو الخسار المطلق".[2]

ومن الخسران أيضا التكذيب بلقاء الله تعالى، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ

---

[1]- الطبري، جامع البيان، 10 / 221- 224.

[2]- الرازي، مفاتيح الغيب، 11 / 224.

ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأنعام: 31]، والآية تصور حالا من أحوال منكري البعث يوم الحساب، والحال هو الخسران والحسرة.

أما حصول الخسران فتقريره؛ أنه سبحانه وتعالى زوّد الإنسان بآلات وأدوات الإدراك، وأعطاه العقل لأجل أن يتوصل بواسطتها مجتمعة إلى تحصيل المعارف الحقيقية والأخلاق الفاضلة، التي يعظُم نفعها بعد الموت، فإذا استعمل هذه الآلات والأدوات وهذه القوة العقلية والفكرية في تحصيل الملذّات والسعادات المنقطعة، انتهى في آخر عمره إلى الخسران المبين؛ والخسران هنا لمن كان ينكر البعث والقيامة، وكان يعتقد أنّ منتهى السعادات ونهاية الكمالات سعادات العاجلة الفانية، ومن خسرانهم أنهم يحملون أوزارهم على ظهورهم.(1)

فالآية الكريمة توضح حقيقة ليس لها أن تتخلف بأي حال من الأحوال وهي ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ ﴾؛ وقال تعالى: ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [الأعراف: 177 – 178] فالخسران نتيجة حتمية للتكذيب بلقاء الله، الذي يعدّ من نواقض العقيدة الإسلامية الحقة.

يقول **ابن عطية** في تفسيره أن الآية: " استئناف إخبارٍ عن خسارة المكذبين، يتضمّن تعظيم المصاب الذي حلّ بهم، وتستعمل الخسارة في مثل هذا لأنه من أَخذ الكفر واتَّبَعه فكأنه قد أعطى الإيمان واطرحه، فأشبهت صفقة أخذٍ وإعطاء، والإشارة بهذه الآية إلى الذين قالوا إنما هي حياتنا الدنيا، .....ونداء الحسرة على تعظيم الأمر وتشنيعه".(2)

ومن هنا تكون السلوكات والأفعال، التي تدور مع المصالح الدنيوية وجودا وعدما، بعيدا عن آيات الله، هي من موجبات الخسران المبين؛ لأنها في النهاية مفاسد قررت الشريعة فسادها؛ كاتباع الأهواء، والتكذيب بلقاء الله، وموالاة الكافرين، ورعاية الشهوات والشبهات؛ ولهذا جاءت سمات الخاسرين بينة مفصلة في كثير من آيات القرآن الكريم.

(1)– الرازي، مفاتيح الغيب، 12 / 513.

(2)– ابن عطية، المحرر الوجيز، 2/ 283.

فمن سماتهم ما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [ المنافقون: 9]؛ وإنْ كان الخطاب للمؤمنين، فهو لنهيهم عن الوقوع في ما تكون نتيجته الخسران، وهو الاشتغال بالأموال والأولاد عن ذكر الله تعالى.

وقد خُصّت الأموال والأولاد بتوجُّه النهي عن الاشتغال بها اشتغالا يلهي عن ذكر الله، لأنّ الأموال ممّا يرغب الناس فيها، ويقبلون على إنمائها إقبالًا، فيكون وقت الاشتغال بها أكثر من الاشتغال عن ذكر الله؛ وليس الذكر باللسان فحسب، ولكن الذكر بالوقوف عند أوامر الله ونواهيه، أُثِرَ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أَفْضَلُ من ذِكْرِ الله باللِّسانِ ذِكرُ الله عندَ أمرِهِ ونهيِه.(1)

ويضيف صاحب **التحرير والتنوير**: "ومتى كان اللهو عن ذكر الله بالاشتغال بغير الأموال وغير الأولاد كان أولى بحكم النهي والوعيد عليه. وأفاد ضمير الفصل في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ قصْر صفة الخاسر على الذين يفعلون الذي نهوا عنه، وهو قصرٌ ادعائي للمبالغة في اتصافهم بالخسران، كأنّ خسران غيرهم لا يعدّ خسرانًا بالنسبة إلى خسرانهم".(2)

كما يبّن القرآن الكريم، أن الخسران عاقبة القرى التي عصت أمر الله تعالى، وتمادت في الطغيان، فقال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨﴾ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ﴿٩﴾ ﴾ [ الطلاق: 8 – 9].

فالحق تبارك وتعالى هنا يخبر عن الأقوام الماضية أن القوة والكثرة لم تنفعهم في شيء، وقت مجيء الحساب؛ بسبب عتوّهم وتكذيبهم بآيات الله، فلم تغن عنهم لا كثرتهم ولا قوتهم، حين جاءهم الحساب الشديد والعذاب الأليم، وأنّ الله أذاقهم من العذاب ما هو موجب عليهم بسبب أعمالهم السيئة.(3)

---

(1)– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 28/ 251.

(2)– المرجع نفسه، 28 / 252.

(3)– السعدي: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ( ط 1، 1420 هـ/ 2000م )، ص: 872.

و جاء في السنة النبوية ما يوافق الخُسر والخسران في الآخرة، بسبب المفاسد التي التي لم يلتفت إليها الإنسان في الدنيا، حتى إذا جاء يوم الحساب انتبه لإفلاسه وخسران ميزانه، وسماه النبي صلى الله عليه وسلم بالمفلس.

روى أبو هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: { أَ تَدْرُونَ مَنِ المفْلس؟} قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: { إنَّ المفلس مِنْ أُمَّتي يأْتي يَوْمَ القِيامة بِصَلاةٍ وصِيامٍ وزَكاة، ويأتي قدْ شتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطى هذا مِنْ حَسَناتِه وهذا من حسَناتِهِ، قبل أنْ يُقْضى ما عليه، أُخِذَ من خَطاياهم فطُرِحت، ثمّ طُرِحَ في النّار}[(1)]، فسؤال النبي هنا عن المفلس سؤال للتعليم والإعلام بصعوبة الموقف، حين يقف العبد يوم القيامة مفلسا؛ ليس من مال فقده، ولكن من تجارة كانت بينه وبين ربه فخسرها وأفلس، بسبب تنكّبه لطريق الحق، واجترائه على محارم الله تعالى، مع أنّ هدايات وبشائر الإسلام أرشدت منذ البداية، أنّ الإنسان في خسرٍ مادام معرضا عن الحق متبعا لأهوائه، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: 1 – 3].

" والمعنى أنّ الناس في خسران تجارتهم إلا الصالحين وحدهم، لأنهم اشتروا الآخرة بالدنيا، فربحوا وسعدوا، ومن عداهم تجروا خلاف تجارتهم، فوقعوا في الخسارة والشقاوة وَتَواصَوْا بِالْحَقِّ بالأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، وهو الخير كله: من توحيد الله وطاعته، واتباع كتبه ورسله، والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ عن المعاصي وعلى الطاعات، وعلى ما يبلو الله به عباده".[(2)]

وفي السورة لطيفة من اللطائف جديرة بالالتفات إليها في قوله تعالى:

---

(1)– سبق تخريج الحديث، ص: 126.

(2)– الزمخشري، الكشّاف، 794/4.

﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴾؛ ففيها إشعار بأن الإنسان كأنه مغمور بالخسر، وهذا الخسران قد أحاط به من كل جانب، ولا خلاص ولا مناص منه، لتهويل وتعظيم أمر الخاسرين يوم القيامة.[1]

من هنا يتبين أنّ الفساد والإفساد هو سبب حبوط الأعمال، وسبب الخسران في الدنيا والآخرة، حين يقف العبد بين يدي الله وقد خاب وخسر وأفلس، فيقلب كفيه فلا يجد فيها شيئا، إلا الحسرة والندامة، ولذلك يحدّث القرآن الكريم عن حسرة هؤلاء الذين يجدون إلى جانب خسرانهم الحسرة والندامة كما في قوله سبحانه: ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٣١ ﴾ [ الأنعام: 31]، فقد تحقق الخسران في حق الذين كذبوا بآيات الله، وكذبوا بيوم البعث، حتى إذا جاءت الساعة تحسروا وندموا على تكذيبهم وتفريطهم في جنب الله، وقد أُنذروا ونُبهوا لهذا اليوم، وأنه يوم الحسرة، لا محالة، فلم تجد فيهم النذر، لقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٣٩ ﴾[مريم: 39].

وإنما سمي يوم القيامة بيوم الحسرة، للتنبيه على أنه وقت الندم، حيث لاينفع الندم والتحسر على ما فات في الدنيا.[2]

والحسرة الندم الشديد، وقد أضاف هؤلاء المكذبون الحسرة إلى أنفسهم﴿ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا ﴾ليكون تحسرهم لأجل أنفسهم، فهم المتحسرون والمتحسَّر عليهم بسبب تفريطهم وتهاونهم في الإيمان بالله وبوحدانيته، وبرسله، ليس هذا فحسب ولكنهم صدّوا عن سبيل الله، فقال الله تعالى في حقهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ ﴾ [الأنفال: 36]. وتزيد حسرة الكافرين حين يتبرأ الشيطان من اتباعهم إياه من سلطانه عليهم، كما حكاه القرآن الكريم: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن

---

[1]- طنطاوي: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة ولنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ( ط1، 1998م )، 15 / 501.

[2]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 5 / 234.

سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[إبراهيم: 22].

لقد استحوذ الشيطان على قلوبهم، وأجابوه إذ دعاهم إلى الكفر بالله، وصدهم عن السبيل، وزيّن لهم المفاسد التي نهوا عن إتيانها، ولكن حين قضي الأمر، ووقفوا جميعا أمام رب العالمين، اعترف بأن وعد الله هو الحق، وما كان له سلطان عليهم إلا أن دعاهم فاستجابوا له، وهذا الموقف لا يزيدهم إلا تحسرا وندما.

والمحصلة بعد هذا، أنّ الخاسرين يوم الآخرة، هم الذين خسروا في دنياهم حين كذبوا بالله وبآياته، وصدوا بأنفسهم، ثمّ صدوا غيرهم عن سبيل الله كبرا واستعلاءً، فاستسهلوا ارتكاب شتى المفاسد واستحسنوها، وسخّروا لها أموالهم، ولكن حين قضي الأمر وجاء اليوم الذي يوعدون، ظهر لهم خسرانهم، وبانت حسرتهم وتحسّرهم على ما كان منهم.

## المطلب الثاني: مُضاعفة العذاب وتغليظه.

من أعظم الأسباب الموجبة لمضاعفة وزيادة العذاب على الكافرين، هو فسادهم في أنفسهم وفي فعالهم من جهة، وسعيهم للإفساد ونشر فسادهم في الأرض والصّد عن سبيل الله من جهة أخرى، كما بينه أهل التفسير في تفسير الكثير من الآيات، التي أخبر فيها الله عزّوجلّ عن مضاعفة العذاب للكافرين، منها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النحل: 88 ]، فهؤلاء لم يكتفوا بكفرهم، وإعراضهم عما جاءهم من الحق، بل عمدوا إلى العباد يضلونهم ويصدونهم عن اتباع الحق، فاستحقوا عذابا على عذابهم.

جاء في تفسير **الطبري:** زادهم الله تعالى العذاب على ما بهم من العذاب؛ بسبب إفسادهم بما عصوا، ودعوة الغير إلى معصية الله[1]؛ بمعنى أنهم استحقوا عذابا على

(1)- الطبري، جامع البيان، 17 / 277.

كفرهم، وعذابا على صدهم الناس عن اتباع الحق، كما قال تعالى: ﴿ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٢٦ ﴾ [الأنعام: 26][1]؛ أي ينهون غيرهم عن الإيمان بالله، بعد أن استحكم وتمكن منهم الكفر، ونأوا عن طريق الإيمان وابتعدوا عنه علوا واستكبارا.

لأن" الكافر من هؤلاء، إنما ينأى عن مطلوب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يريد أن يهتدي، ويمعن في طغيانه فينهى غيره عن الإيمان، فكأنه ارتكب جريمتين: جريمة كفره، وجريمة نهي غيره عن الإيمان".[2]

وزيادة العذاب في قوله تعالى: ﴿ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ ﴾ تعني مضاعفته، والتعريف في ﴿ فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ ﴾ تعريف للجنس المعهود؛ حيث تقدم ذكر العذاب في الآية نفسها في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٨٥ ﴾ [النحل: 85]، لأنّ عذاب كفرهم صار معهودا ومعلوما بسبب كثرة الحديث عنه ، وأمّا عذاب صدّهم الناس لا يخطر بالبال، فكان مجهولا، فناسبه التنكير[3]، وهذه من اللطائف والنكت القرآنية التي تنبّه لها المفسرون.

وفي موضع آخر يحكي القرآن الكريم عن الكفار قولهم في حقّ سادتهم وكبرائهم: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ٦٨ ﴾ [الأحزاب: 68 ]؛ أي: مثلي ما آتيتنا منه للضلال والإضلال، والعنهم لعنًا كثير العدد، تكثيراً لأعداد اللاعنين، أو العنهم المرة بعد المرة.[4]

فالكافرون حين عذابهم يودّون لو كانوا مسلمين، يتحسرون ويُرجعون ما هم عليه، إلى إطاعتهم السادة والكبراء، فيدعون عليهم: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ﴾؛ بسبب كفرهم وإغوائهم وإضلالهم إيانا.

---

[1]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4 / 593.

[2] – الشعراوي، تفسير الشعراوي، 3572/6.

[3]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 14 / 249.

[4]– ابن عجيبة: أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني الفاسي الصوفي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمدعبد الله القرشي رسلان، الناشر: د.حسن عباس زكي، القاهرة، (دط، 1419هـ)، 465/4.

جاء في تفسير **ابن عاشور** قوله: " وتثنية ضعفين مستعملة في مطلق التكرير كناية عن شدّة العذاب، لذلك كان قوله هنا﴿ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾مساويا لقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ [الأعراف: 38]، وهذا تعريض بإلقاء تبعة الضّلال عليهم، وأنّ العذاب الذي أُعِدّ لهم يُسلّط على أولئك الذين أضلّوهم".(1)

**فابن عاشور** هنا يرى أنّ مضاعفة العذاب يجوز حملها على القوة والشدة، وليست لتكرير عذاب مقدر،؛ لأنّ العذاب معنًى من المعاني، لا ذاتا، فكان تكرير العدد فيه مجازا في القوة والشدّة. (2).

وفي موضع آخر في قوله الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾[الفرقان: 68 – 69]، يقول: " فأما مضاعفة العذاب فهي أن يعذّب على كلّ جُرم مما ذكر عذابا مناسبا، ولا يكتفى بالعذاب الأكبر عن أكبر الجرائم وهو الشرك، تنبيهًا على أنّ الشرك لا ينجي صاحبه من تبِعة ما يقترفه من الجرائم والمفاسد".(3)يعني أن لكل مفسدة العذاب الذي قدره الله، وفي هذا معنى الزيادة والمضاعفة.

ولرفع اللبس، يمكن القول، أن صاحب **التحرير والتنوير** يرى في مضاعفة العذاب الأمرين معا؛ ذلك أن المضاعفة التي تعني زيادة العذاب، والزيادة لا تكون إلا بهدف بلوغ الجزاء المستحق على كل مفسدة، وهي بلا ريب تنطوي على معنى الشدة والقوة.

إلا أن أكثر المفسرين يذهبون إلى القول بأنّ مضاعفة العذاب تعني زيادته عددا، لزيادة الذنب أو المعصية، ولعلّ هذا الأخير هو الأرجح؛ لأن تعدّد الذنوب وازديادها يقتضي زيادة ومضاعفة العذاب على كل جرم أو فساد، ولابد أنّ الفاسد إذا تعدى نفسه

(1)– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 22 / 119 .

(2)– المرجع نفسه، 19 / 74.

(3)– المرجع السابق، الصفحة نفسها.

إلى إفساد غيره، فقد استحق العذاب لفساده هو، والعذاب الآخر لسعيه لإفساد غيره، وهو ما يفهم من لفظ مضاعفة العذاب.

ويؤيد هذا ما ورد في السنة النبوية؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: { مَنْ دَعَا إلى هُدًى، كَان لَهُ من الأَجْرِ مِثْلَ أجورِ مَنْ تَبِعَه، لا يَنْقُصُ ذلك مِنْ أُجورِهم شَيئًا، ومَنْ دَعَا إلى ضَلالَةٍ، كان عليه من الإِثْمِ مِثْلَ آثامِ مَنْ تَبِعَه لا ينقُصُ ذلك من آثامِهِم شيئًا }. [1]

ففي الحديث دلالة واضحة على أن المتسبب والداعي إلى فعلٍ كالمباشر له، بل ويزيد عليه درجة، سواء في ذلك الداعي إلى هدى أو معروف، أو من دعا إلى ضلالة أو مفسدة؛ فإنّ من دعا إلى هدى وإلى كل عملٍ صالح، كان له أجره وأجر من تبعه في ذلك، وفي المقابل من دعا إلى ضلالة أو مفسدة، كان عليه إثم فساده، وإثم الفاسدين ممن أفسدهم إلى ما شاء الله.

ويؤيد هذا أيضا ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه، أنّ النبي صلى الله عليه قال: { ليس من نفْسٍ تُقْتل ظُلما إلّا كان على ابنِ آدمَ الأول كِفلٌ من دمها، لأنه كان أول مَنْ سَنّ القَتل}[2]، والكفل هو النصيب من الإثم والوِزْر.

و من الأحاديث النبوية المشهورة في هذا الباب أيضا، قول الرسول صلى الله عليه وسلّم: { مَنْ سَنَّ في الإسلامِ سُنّةً حسَنةً، فَله أَجْرُها، وأَجْرُ مَنْ عمِل بها بعدَه من غَيْر أنْ يَنْقُصَ مِن أُجورِهم شيء، ومَن سَنَّ في الإسلام سُنّةً سيئةً، كان عليه وِزْرُها و وِزْرُ مَنْ عَمِلَ بها مِن بعده، مِن غير أنْ يَنْقُصَ من أوْزَارِهم شيء}. [3]

---

[1]- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سنّ سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، 4/ 2060، برقم (2674).

[2]- النووي: أبو زكريا يحي بن شرف الدين، رياض الصالحين، اعتنى به: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ( دط، دت )، ص: 99.

[3]- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الحثّ على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار،2/704-705، برقم(1017)، وفي كتاب العلم، باب من سنّ سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، 4/ 2059-2060 ، برقم(1017).

فهذه الأحاديث صريحة في مضاعفة العذاب، يعزّز بعضُها بعضًا، فإذا كان الداعي إلى الضلال والفساد يبوء بإثمه وإثم من تبعه ـ إذْ لا يدعو إلى الفساد إلا فاسد ـ كان من الطبيعي أنْ يكون العذاب مضاعفا؛ عذاب على فساده، وعذاب على إفساده غيره، فكان الجزاء من جنس العمل، ولعل هذا ما يدعو مرة أخرى للتأكيد على خطر المفسدين داخل المجتمعات، وفهم القرآن الكريم في سبب تأكيده على فضح وذمّ المفسدين، أكثر من التعريض بالفاسدين؛ في أكثر الآيات الواردة في موضوع الفساد والإفساد.

وتجدر الإشارة في هذا المقام، إلى أنّ مضاعفة العذاب لا يتناقض مع قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ﴾ [الأنعام: 164].

إنّ مضاعفة العذاب كانت بسبب الضّلال وبسبب نجاحهم في إضلال غيرهم، أما قوله تعالى: ﴿ ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ﴾، فهو ردّ مفحِمٌ للذين يحاولون عبثًا إضلال المؤمنين الصّادقين؛ وذلك بإغرائهم بتحمُّل معاصيهم عنهم مقابل إعراضهم عن سبيل الله واتباع سبيل الكافرين، كما يحكيه القرآن الكريم: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [العنكبوت: 12].

ممّا يروى في سبب نزول الآية، ما رواه ابن عباس رضي الله عنه، قال: كان الوليد بن المغيرة يقول: اتبعوا سبيلي أحمل عنكم أوزاركم، فقال الله تعالى: { وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إلا عَلَيْهَا }؛ لا تجني كل نفس إلا ما كان من إثم على الجاني، { وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } أي لا تحمل نفس حمل أخرى، أي: لا يؤاخذ أحد بذنب غيره،﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[الأنعام: 164].[1]فكلّ محاسب على أفعاله، كثيرة كانت أم قليلة، وليس لأحد أن يتحمل عن آخر ذنبه، ولو كان من أحب الناس إليه.

وذهب **ابن عرفة** (ت 803 هـ) في تفسير الآية مذهبا مختلفا عن سائر المفسرين، حتى أنه بلغ درجة المنكر في طرقة تمثيله، لذلك يكون ذكر كلامه على حاله أوضح

(1)- البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 3 / 212.

وأبين؛ إذْ أنه يرى أنّ الضمير في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ [الأنعام: 164]، عائد على النفس ـ وهذا لا خلاف فيه ـ " لأنّ النفسَ الوازِرةَ معلومٌ أنها لا تحمل؛ لأنّها مثقلة، والنفس المثقلة لا تحمل شيئا شرعًا، لأنّ من أتى بضامنٍ أو حميلٍ إنما يقبل من حميل له ذِمّة خاليةٌ من الدّيْن، ولا يقبل منه حميل مديان بوجه، وأمّا هنا فلأنّ النفس المثقلة بالحمل لا يستطيع أنْ يُزاد عليها غيره".[1]

يلاحظ على هذا التأويل مايلي:

**أولا:** أنّ هذا التأويل جعلَ الأوزار شيئا ماديا بحتًا؛ كالنقود أو المنقول ونحوها ممّا يصلح أنْ يكون ديْنا، وليست الأوزار من ذلك في شيء، في حين أنّ الأوزار المقصودة هي الأثقالُ من الآثام والذنوب، وإنما أُطلق عليها لفظ الأوزار لأنها تثقل كاهل حاملها.

قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير الأوزار في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام: 31]؛ أي آثامهم وخطاياهم.[2]

**ثانيا:** أنّ صاحبَ الأوزار لم يبحثْ، ولم يأت بحاملٍ يحمل عنه آثامه ـ كما جاء في القول المنقول ـ وهذا ممّا لا يمكن حدوثه بأي حال من الأحوال، إلا أنّ الواقع هنا، أنّ صاحب الأوزار والآثام من الكافرين، عرض خدمة حمل الأوزار عن غيْره، شريطة كفره وإعراضه عن اتّباع الحق، كما هو موضّح أعلاه.

وعليه لا يمكن حمل الآية على هذا التأويل،كما أنه لا تعارضَ بين الآية الواردة في مضاعفة العذاب، وبين الآية الدالة على نفي حمل الأوزار عن الغير، وعليه تكون مضاعفة العذاب بسبب الضلال والكفر من جهة، وبسبب إضلال وصدّ الآخرين عن سبيل الله من جهة أخرى؛ بحيث يكون إضلالا وصدّا بشتى الطرق، حتى يستسلموا للعصيان والكفر بطاعة أسيادهم وكبرائهم، أما الآية ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ فهي من

---

[1]- ابن عرفة، محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي المالكي أبو عبد الله، تفسير ابن عرفة، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط1، 2008م )، 2 / 209.

[2]- النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، التفسير البسيط، المحقق: أصل تحقيقه في 15 رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، (ط1، 1430هـ)، 8/ 88.

عدل الله تعالى ومن رحمته بعباده؛ أنْ لا يأخذَ نفسا بإثم نفس أخرى، ولا نفسا بذنب أخرى، فكلّ إنسان محاسب على ما عمل، ومجزيّ به، فلا تعارض ولا إشكال بين الآيتين. والله تعالى أعلم بمراده وحِكمه.

وفذلكة ما تقدم، أنّ الإفساد في الأرض ظاهرة رَصَدها القرآن الكريم من خلال سلوكات الأفراد والمجتمعات، مبيّنا أنواعها، وتداعياتها في مختلف المجالات الحياتية للناس، بداية من فساد العقيدة في الخالق تعالى، الذي يعدّ أسّ كلّ إفساد، وهو ما يهوي بالعباد إلى مزالق ظاهرة أم خفية من الفساد والإفساد في الأرض، حتى إذا لم ينتبهوا لاستدراكها والتحول عنها إلى إصلاح الأنفس، لقوا من الله ما يكافئ فسادهم وإفسادهم.

وآخر الدعاء أن الحمد لله رب العالمين،

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

# خاتمـــــــة

# خاتمة:

الحمد لله والشكر لله، أن منَّ عليّ بفضله وتوفيقه إتمام هذا البحث على النحو الذي يسّره لي، وأعانني على دراسة مختلف الجوانب ذات الصلة بموضوع الفساد والإفساد في الأرض من خلال آيات القرآن الكريم، فلك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.

وبعد:

هذه خاتمة للفصول والمباحث المتقدمة، تضم أهم النتائج والاستنتاجات التي أسفر عنها البحث.

هذا البحث هو دراسة تقوم على منهج التفسير الموضوعي، لموضوع الفساد والإفساد من خلال القرآن الكريم، ولعله المنهج الأنسب لدراسة وبحث موضوع على قدر كبير من الأهمية، طال حياة الأفراد والأمم على حدّ سواء.

وكان انطلاق الدراسة من آيات القرآن الكريم، الذي أحاط بكل شيء علما، فاجتهدت الأقلام في طلب معانيه وحكمه؛ من خلال مداكرته وتدبّره.

و وفقا لهذا المنهج توصلت الدراسة إلى عدة نتائج:

1- ورد لفظ الفساد والإفساد في القرآن الكريم خمسين مرة، إلى جانب مختلف الألفاظ المقاربة والمقابلة لها في المعنى، وكانت الحصة الأكبر للفظ الإفساد والمفسدين في جل الآيات، ليدلّ ذلك على اهتمام القرآن بردع المفسدين؛ الذين يسعون لإشاعة الفساد في الأرض، والحدّ من إفسادهم بمختلف السبل والوسائل.

2- من خلال البحث في المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظي الفساد والإفساد، تبين أن كل خروج عن الاستقامة دون سبب موجب هو فساد، وكل إخراج عن طريق الاستقامة وبدون سبب موجب لذلك أيضا، هو من الإفساد.

3 - وتبين من خلال استقراء الآيات ارتباط لفظ الإفساد والفساد، وما في معنييهما بلفظ في الأرض؛ كالفساد في الأرض والبغي في الأرض؛ للدلالة على أنّ إفساد الإنسان يكون في ذات صالحة خلقها الله لأجل مصلحته، وليكون إفساده فيها شاهدا، ومشهودا عليه.

4-رغم أنّ عنوان الدراسة كان عاما في الفساد والإفساد، إلا أن مسار البحث والدراسة في البحث كلِّه يتوجه ويتمحور حول الفساد المعنوي لا الفساد المادي؛ بمعنى أنه يدور حول فساد المنهج والطريق الذي يسلكه العباد في تعاملاتهم وسلوكهم في مختلف مجالات الحياة، بعيدا عن المنهج الإلهي الذي ارتضاه الله لعباده شرعة ومنهاجا. وهذا كان سببا كافيا للفساد أو الإفساد المادي، الذي يعدّ كنتائج وانعكاسات بالضرورة لفساد المنهج والسلوك الذي يتبعه المفسدون.

5- تنوعت صور وأنواع الفساد والإفساد حسب مجالاتها تنوعا لا يكاد يحصى، ولا يمكن أن يفيها حقها بحث واحد؛ من المجال العقدي، إلى المجال الاجتماعي الأخلاقي، إلى المجال المالي الاقتصادي، والمجال السياسي، وإن كانت بينها فروق دقيقة، إلا أنه تمّ إجمالها وجمعها في المجالات السالفة الذكر، ولكل مجال الأنواع والصور التي تختص به.

6- في مجال التدين والعقيدة يندرج الكفر والشرك كأعظم المفاسد، إلى جانب النفاق والرياء، وهي مفاسد أفسدت العلاقة بين العبد وربه، وتبيّن من ذلك أنّ الخروج عن طريق الاعتدال والاستقامة في اعتقاد العبد بربه على النحو الذي أمر به الله عباده؛ إفراطا أو تفريطا، يوقعه في المحظور، حتى أنه يمكن تصنيف الفساد العقدي كسبب رئيس، تتفرع وتنتج عنه مختلف أنواع ومظاهر الفساد والإفساد في الأرض.

7- وفي مجال الفساد والإفساد الأخلاقي الاجتماعي، كانت التعاملات اليومية التي حث الإسلام على مراعاتها واتباع الحق فيها، أساسا لبيان المفاسد التي تعتري هذه التعاملات، وذلك حين إخراجها عن الاستقامة، وعن التشريع الإلهي فيها؛ على غرار قطع الأرحام، وقتل النفس، وتعاطي السحر، وإتيان الفواحش، والتكبر على الخلائق، والظنون الفاسدة، وكلها مفاسد عظيمة كبيرة تدفع مرتكبها وتؤدي به للوقوع في مفاسد أخرى، وهو ما يمكن أن يطلق عليه: توالد المفاسد.

8- أمّا الفساد المالي والاقتصادي وإن كان مرتبطا هو الآخر بالتعاملات اليومية بين الأفراد والمجتمعات، فهو أكثر اختصاصا بالمادة والأموال؛ في طرق تحصيلها أو صرفها؛ كالسرقة والرشوة...

9- وفي الفساد السياسي وفساد أنظمة الحكم في سياسة الحكام لشعوبها، يندرج فساد الحكام بسبب اتباعهم لأنظمة وضعية أسست لفكر متوحش: البقاء للأقوى، ومن ثَمّ كان إيقاد نيران الحروب وسيلة من وسائل البقاء والاستمرار، الأمر الذي يؤدي مباشرة إلى مفاسد جمّة.

10- كما تبيّن لي من خلال أنواع الفساد وصوره، تشعّب هذه الأنواع وامتدادها، رغم اختلاف مجالاتها، فهي تختلف لتجتمع على أن الفساد أو الإفساد في الأرض بدايته من الفساد أو الخلل في الاعتقاد وينتهي إليه لا محالة، وهذه بلا ريب النتيجة المحورية التي خلص إليها هذا البحث، ويؤيد هذا ما كان من شأن الأمم والأقوام المذكورة قصصهم في القرآن الكريم؛ حيث كان يؤاخذهم على تكذيبهم وكفرهم بآيات الله بداية، ثم يبيّن سوء أفعالهم وفسادها، ليؤكد على أن فسادهم وظلمهم وفسوقهم أسباب لهلاكهم.

11- وانتهى البحث في الأنواع والصور إلى أنّ الإفساد في الأرض أشد خطرا من الفساد؛ لأن الإفساد ينطوي على معنى المجاهرة والسعي من أجل نشره، وهنا تكمن الخطورة؛ حين يعمد المفسدون إلى نشر الفساد في شتى المجالات، وبمختلف الوسائل.

فكان البحث في الأسباب والدوافع إلى الإفساد فصلا مهما من فصول البحث؛ حيث خلصت الدراسة فيها إلى أنّ:

- اتباع الأهواء المضلة دافع وسبب قوي يقود أصحاب الأهواء للوقوع في الإفساد قصدا أم عن غير قصدٍ؛ حيث ينقاد المفسدون لأهوائهم من دون علم ولا حجج يقينية، فيعيثون بذلك إفسادا متبعين لأهوائهم وشهواتهم التي خالفت النهج المستقيم، وهم يحسبون أنهم بذلك يحسنون صنعا، لكن الله عزوجل أخبر بأنهم هم المفسدون ولكنهم لا يعلمون ولا يشعرون.

- كما يعدّ الغلو والتنطّع؛ سواء في الاعتقاد أو في أداء الفرائض والواجبات بعيدا عما جاء في تعاليم الإسلام سبيلا إلى الفساد، الأمر الذي يفضي حتما إلى إفساد هذا الدين، والاعتقاد بما ليس منه في شيء.

- ويزداد الأمر خطورة، حين غياب الوازع الديني الذي يجعل العبد متوازنا في حياته، بعيدا عن الغلوّ والتفريط، ولأن حضوره - أي الوازع الديني - بمثابة الحابس

والصّارف عن ارتكاب المفاسد، في حين أن غيابه يطلق للنفس العنان للانطلاق وفق الشهوات والأهواء الفاسدة لا محالة.

– إلى جانب الأسباب السابقة الذكر، وهي ذات صلة بالجانب الديني أكثر، هناك من الأسباب ماهو متعلق بالجانب أو المكانة الاجتماعية لفرد أو جماعة داخل المجتمع، والتي تقاس عادة بالجانب المادي الذي يؤدي لتكوّن فئة مجتمعية عرفها القرآن الكريم بفئة المترفين؛ إذ كثيرا ما يؤدي الترف وتوافر النعم إلى فسوق وطغيان أصحابها، سواء على مستوى الأفراد أم الدول، وتتدخل الأهواء والشهوات في الاستزادة من النعم والجاه والسلطان بشتى الوسائل والطرق؛ المشروعة وغير المشروعة فيها سواء، دون وازع أو رادع، تكبرا واستعلاء على باقي الخلائق من عامة الناس، وتجد مختلف المفاسد تتجسد في أقوالهم وسلوكاتهم.

– كما توصلت في بحث الأسباب المؤدية للإفساد في الأرض، إلى عنصر هام تولى مهمة الإفساد في الأرض كاشفا عن نفسه و مجاهرا بها؛ وهو الشيطان الرجيم، الذي أعلن غوايته للناس وتزيين المفاسد في أعينهم، حتى يقبلوا عليها دون تفكير أو تمحيص، وما استحواذ الشياطين على عقول العباد وسيطرتها على قلوبهم، إلا لأنها خلت من الهدي الإلهي، وانقادت للأهواء المضلة، التي تشرد بصاحبها عن اتباع التعاليم التي جاء بها الدين الإسلامي.

12– وفي الفقرة التي بحثت فيها عن العوامل التي تمنع الفساد والإفساد وتدفعهما، انتهيت إلى أنّ القرآن الكريم لم يطرح مشكلة أو داءً إلا ويسّر سبل دفعه بداية، وحتى طرق علاجه حين وقوعه.

وتكاد الأبحاث تتفق على أن العلاج واحد، هو الالتزام بتعاليم هذا الدين للوقاية والعلاج من جميع المفاسد، وهو متاح للجميع إلا عمن أبى واستكبر.

وهذه النقطة تبيّن أنّ القرآن الكريم حين يقدّم العلاجات والحلول، فهو يستعرض كل الحلول المجدية والنافعة لكل الفئات المجتمعية، على اختلاف انتماءاتها وتوجهاتها النفسية والاجتماعية، مراعيا بذلك الطبيعة البشرية، والعوامل التي تؤثر فيها سلبا أو إيجابا؛ حيث يستعرض القرآن الكريم عاقبة المفسدين، بسبب ما كان من إفسادهم، وخروجهم عن طريق الحق والاستقامة، فكان خسرانهم وإهلاكهم عقابا لهم، كقوم عاد

وثمود وشعيب ولوط وفرعون وغيرهم من الأمم البائدة؛ حيث يتكرر ذكر أحوالهم في كل مـرة كـدعوة للتـدبر والاعتبـار، ودفعـا لاقتـراف أو مقاربـة مفاسـدهم التـي أوجبـت علـيهم الإهلاك في الدنيا قبل الآخرة.

لـذلك يـأتي القصـص القرآنـي كـدعوة متجددة، ووصـفة وقائيـة لتجنـب مزالـق ومفاسـد المفسدين في الأرض.

-كما شرّع الدستور الإلهي مجموعة من الحدود والتعزيرات، لفئة من العباد الذين شردت بهم أهواؤهم، أو نزغتهم الشياطين وتلبست بهم، فوقعوا في معصية الخالق عزوجل، فجعل المولى هذه الحدود تأديبا، وتحذيرا حتى لا يعاودوا مقاربة المفاسد من جهة؛ لأن تجاوز المفاسد وترك مواجهتها يؤدي حتما إلى تفشي الفساد أكثر فأكثر، وكما يقال: من أمن العقاب أساء الأدب.

- كما توصل البحث في فصل موانع الفساد، إلى أنّ وجود الصالحين المصلحين في كل زمان ومكان يعدّ عاملا فاعلا في الحدّ من انتشار وتفشي المفاسد؛ لأن المصلحين صلحوا في أنفسهم حتى دعتهم إلى مدافعة المفسدين، وهم بذلك يحافظون على محارم الله أن تنتهك، وحريصون على إقامة منهجه في الأرض، يحملون مشعل الأنبياء والمرسلين، فهم بذلك أيضا صمّام الأمان للأمة من امتداد الفساد واستشرائه.

- كما يعدّ الدعاء والالتجاء إلى الله تعالى وسيلة مفيدة في دفع المفاسد والشرور عن النفس وعن الغير على حدّ سواء، وهو منهج الأنبياء والمصلحين من بعدهم، يتقوى ويستعين بها المصلحون في كل زمان ومكان لتثبيتهم على طريق الصلاح، ولردّ المفسدين، والحدّ من تفشي الفساد في أي مجال من مجالات الحياة.

- ولعلّ أهم نتيجة يمكن استخلاصها؛ أنّ دفع الفساد ومدافعة المفسدين من أكبر المهامّ التي تواجه الدعاة والمصلحين، عملا بمبدأ النهي عن المنكر، فضلا عن تغيير الفساد إلى صلاح، والإفساد إلى إصلاح، وهو الأمر الذي تفيده القاعدة: درء المفاسد مقدّم على جلب المصالح؛ ذلك لأن اعتناء الشريعة الإسلامية بترك المنهيات والمضار أكثر.

13- وخلصت الدراسة في فصل آثار الإفساد وعواقبه، إلى أن الفساد والإفساد إذا لم يدفعا، ولم تُجْد مختلف الموانع في ردّهما وإيقافهما، ترتب عنهما آثار وعواقب؛ منها ما

يعجل في الدنيا، ومنها ما يؤجل إلى يوم الحساب، إذ أن استقراء التاريخ من خلال أحداثه، والعودة إلى قصص القرآن الكريم عن الأمم السابقة، يثبت أنّ التمادي في الفساد والإصرار عليه، وأنّ تراجع قيّم الإصلاح ومدافعة المفسدين، هو إيذان بغضب الله تعالى، واقتراب الإهلاك والزوال.

من هنا يكون النهي عن الإفساد نهيا عاما، يلحق كل فساد؛ كثيرا كان أم قليلا، صغيرا أم كبيرا، لأنه عمل يخالف الصّلاح، ويصيّر الصّالح فاسدا، فيخرجه عن مجموع ما ينتفع به.

## التّوصيات:

– من الموضوعات التي أوصي بدراستها، وأتمنى أن تتجه إليها جهود الباحثين؛ موضوع يختص بدراسة الجانب النفسي للمفسدين، وذلك بالبحث في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ (١٣) ﴾ [البقرة: 11 – 13]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) ﴾ [الكهف: 103–104]، هذه من الآيات التي تحتاج إلى مزيد من الدراسة، بتضافر جهود مختصين في علوم النفس، وعلم الاجتماع، ومختصين في الإبستمولوجيا والأنثربولوجيا، وقد يحتاج لدراسة ميدانية، لمعرفة نفسية المفسدين، خاصة وأنّ الله تعالى يخبر عنهم بأنهم ﴿ لَّا يَشْعُرُونَ ﴾؛ من أجل تحديد المعرفة التي يستند إليها أو يملكها هؤلاء حتى قالوا: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾؛ حيث نسبوا الإصلاح لأنفسهم وكأنهم يجدون في إفسادهم الإصلاح حقيقة، لكن الله أبطل ونقض قولهم: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ (١٢) ﴾، ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾.

- كما أجد أن بحث الإفساد المادي في الأرض من خلال القرآن الكريم، قد يكون بحثا مكملا، وذلك انطلاقا من قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: 41].

أسأل الله أن يجعل جهدي هذا عملا صالحا مقبولا عنده، أنال به الأجر والمثوبة، وصلّ اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما كثيرا.

# الفهارس

# فهرس الآيات


| الآيات | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| سورة الفاتحة | | |
| ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ | 5 | 114 |
| سورة البقرة | | |
| ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾ | 7 | 276 |
| ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾ | 7-6 | 278 |
| ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝١١﴾ | 11-10 | 101 |
| ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ | 11 | 26-24 |
| ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ۝١٢﴾ | 12 | 314 |
| ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ۝١٢﴾ | 12-11 | 42- 52- 242- 257 |
| ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝١٥﴾ | 15-14 | 94 |

| | | |
|---|---|---|
| 87 | 22 | ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا ﴾ |
| 295-42 | 27 | ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧ ﴾ |
| 26 | 27 | ﴿ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧ ﴾ |
| 90 | 28 | ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨ ﴾ |
| 42-35 | 30 | ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠ ﴾ |
| 126 | 30 | ﴿ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ |
| 151-92 | 34 | ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤ ﴾ |
| 32 | 38 | ﴿ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ ﴾ |
| 257 | 44 | ﴿ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ ﴾ |
| 48 | 60 | ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ |
| 118 | 87 | ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ٨٧ ﴾ |
| 93-91 | 89 | ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ ٨٩ ﴾ |
| 118 | 120 | ﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ |

| | | |
|---|---|---|
| 217 | 120 | ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ |
| 274 | 126 | ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ ﴾ |
| 231 | 143 | ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ |
| 220 | 145 | ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ |
| 93 | 146 | ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ |
| 150 | 153 | ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ ﴾ |
| 82 | 165 | ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ ﴾ |
| 144 | 169 | ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ |
| 83 | 186 | ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ |
| 116 | 186 | ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾ |
| 251 | 187 | ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ |
| 161 | 188 | ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ |
| 162 | 188 | ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ |
| 23 | 194 | ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ | 205 | 51 |
| ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ | 205 | 45-42-32-29 |
| ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ....................... ﴿٢٠٦﴾﴾ | 204-206 | 53 |
| ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ فِيهِۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ | 217 | 108 |
| ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ | 217 | 294 |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِۖ﴾ | 264 | 293 |
| ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِۚ﴾ | 220 | 254-45 |
| ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ | 251 | 256-41 |
| ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ | 276 | 169 |
| ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ | 280 | 173 |
| ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ | 285 | 75 |
| سورة آل عمران | | |
| ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُۚ﴾ | 6 | 133 |
| ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ | 19 | 235 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٢ ﴾ | 22-21 | 290-288 |
| ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٢ ﴾ | 22 | 294 |
| ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ ﴾ | 28 | 208 |
| ﴿ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨ ﴾ | 118 | 210 |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ ﴾ | 130 | 170 |
| ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا ﴾ | 147 | 191 |
| سورة النساء | | |
| ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ ﴾ | 6 | 185 |
| ﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ ﴾ | 15 | 145-144 |
| ﴿ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ ﴾ | 19 | 144 |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ ﴾ | 19 | 145 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ ﴾ | 22 | 144 |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ ﴾ | 29 | 163 |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ | 29 | 168 |
| ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ | 48 | 80-31 |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾ | 51 | 210 |
| ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴾ | 58 | 199 |
| ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ............... ﴿٥٩﴾ ﴾ | 59-58 | 200 |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ | 59 | 238 |
| ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ | 70 | 1 |
| ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ | 82 | 120 |
| ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ | 93 | 132 |
| ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ | 116 | 88-43 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ | 116 | 88 |
| ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ١١٩ ﴾ | 119 | 296 |
| ﴿ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ١٤٣ ﴾ | 143 | 104 |
| ﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ١٤٨ ﴾ | 148 | 46 |
| ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ ...................... ١٥٦ ﴾ | 155-156 | 210 |
| ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ .................. ١٥٥ ﴾ | 155 | 279 |
| ﴿ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٦١ ﴾ | 160-161 | 165 |
| ﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ.................عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾ | 160-161 | 169 |
| ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٦٧ ﴾ | 167 | 108 |
| ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ................ۘ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ | 171 | 228 |
| سورة المائدة | | |
| ﴿ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا | 2 | 165 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٦١﴾ | | |
| ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ | 3 | 74 |
| ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ | 3 | 235 |
| ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ.....................فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ | 30-28 | 127 |
| ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ | 30 | 296 |
| ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ ..................لَمُسۡرِفُونَ ٣٢﴾ | 32 | 210-42 |
| ﴿ۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢﴾ | 32 | 61 |
| ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾ | 32 | 127 |
| ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾ | 33 | 21 |
| ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ | 33 | 44 |
| ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ ..................لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ | 33-32 | 43 |
| ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا | 38 | 175 |

| | | |
|---|---|---|
| مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ | | |
| ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ | 40-39 | 178 |
| ﴿ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ | 42 | 199-198 |
| ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ | 42 | 200 |
| ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ | 44 | 198 |
| ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ | 45 | 198 |
| ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ | 51 | 207 |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ ......... ﴾ | 57 | 207 |
| ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ | 62 | 211 |
| ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ......﴿٦٤﴾ ﴾ | 64 | 205-43 |
| ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾ | 64 | 209 |
| ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ .................. ﴿٦٦﴾ ﴾ | 66-65 | 274 |
| ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا | 77 | 229 |

| | | |
|---|---|---|
| وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ | | |
| ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ ...... ﴾ | 81-80 | 208 |
| ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ ﴾ | 82 | 210-205 |
| **سورة الأنعام** | | |
| ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ | 11 | 249-246 |
| ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ | 21 | 142 |
| ﴿ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ | 25 | 26 |
| ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ ﴾ | 25 | 282 |
| ﴿ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ | 26 | 302 |
| ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ | 29 | 91 |
| ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ | 31 | 296 |
| ﴿ وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ | 31 | 306 |
| ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ ............................................ ﴿٤٣﴾ ﴾ | 43-42 | 262 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٤٣﴾ | 43 | 243 |
| ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ | 46 | 107 |
| ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ | 71 | 216 |
| ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٨٨﴾ | 88 | 290 |
| ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ......................وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٠٣﴾ | 102-103 | 77 |
| ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ١٢٩﴾ | 129 | 204 |
| ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ١٤١﴾ | 141 | 185 |
| ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ١٥٠﴾ | 150 | 217 |
| ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ............﴾ | 151 | 144-129 |
| ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ | 151 | 146 |
| ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ١٥٧﴾ | 157 | 106 |
| ﴿أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ............﴾ | 157 | 107 |
| ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ .........﴾ | 157 | 109-107 |
| ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ | 164 | 306-305 |

| سورة الأعراف | | |
|---|---|---|
| ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ............وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾ | 17-16 | 244-241 |
| ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾ | 31 | 186-185 |
| ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ | 31 | 186 |
| ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣ ﴾ | 33 | 145 |
| ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ ﴾ | 38 | 303 |
| ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥ ..............إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ ﴾ | 56-55 | 262-259 |
| ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾ | 56 | 66-25 |
| ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ ﴾ | 56 | 253-116-46 |
| ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٧٤ ﴾ | 74 | 48-44 |
| ﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ.................................٨١ ﴾ | 81-80 | 145 |
| ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ | 85 | 50 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿لَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ | | |
| ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ............وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ | 86-85 | 247 |
| ﴿وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ | 86 | 267 |
| ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ | 92-91 | 248 |
| ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ | 96 | 272-271 |
| ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ | 100 | 281 |
| ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾ | 101 | 280 |
| ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ | 103 | -57-54-44 267 |
| ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ | 116 | 139 |
| ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ | 127 | 42-29 |
| ﴿۞ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ | 142 | 44 |
| ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ...﴾ | 146 | 158-151 |
| ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ | 146 | 157 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ (١٧٧) مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ (١٧٨) ﴾ | 177-178 | 297 |
| ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٢) ﴾ | 191-192 | 115 |
| ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ (١٩٤) ﴾ | 194 | 115 |
| ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ (١٩٦) وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ | 196-197 | 115 |
| سورة الأنفال | | |
| ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) ﴾ | 2-4 | 78 |
| ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) ﴾ | 9 | 263 |
| ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ ﴾ | 36 | 300 |
| ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ ﴾ | 54 | 93 |
| ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣) ﴾ | 73 | 43 |

| | | |
|---|---|---|
| **سورة التوبة** | | |
| ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ | 17 | 96 |
| ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ | 30 | 209 |
| ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ....................... ﴿٣٣﴾ ﴾ | 33-30 | 96 |
| ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ | 31 | 228-84 |
| ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ | 45 | 104 |
| ﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ | 54-53 | 291 |
| ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ | 67 | 105 |
| **سورة يونس** | | |
| ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ | 17 | 142-63 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ | 18 | 82 |
| ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨ ﴾ | 18 | 83 |
| ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ | 18 | 116 |
| ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ ﴾ | 23 | 64 |
| ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٩ وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤٠ ﴾ | 40-39 | 55 |
| ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧٦ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ٧٧ ﴾ | 77-75 | 142 |
| ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ | 78 | 151 |
| ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ٨٠ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٨١ ﴾ | 81-80 | 140 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ (٨١) ﴾ | 81 | 44-29 |
| ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ (٨٣) ﴾ | 83 | 60 |
| ﴿ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ (٨٣) ﴾ | 83 | 192 |
| ﴿ ۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ (٩٠) ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ (٩١) ﴾ | 91 | 44 |
| **سورة هود** | | |
| ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ (٨٤) وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ (٨٥) ﴾ | 85-84 | 247 |
| ﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ (٨٥) ﴾ | 85 | 48-47 |
| ﴿ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ (٨٨) ﴾ | 88 | 255 |
| ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ | 88 | 258 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩٤ ﴾ | 94 | 248 |
| ﴿ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ | 116 | 29 |
| ﴿ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦ ﴾ | 116 | 43 |
| ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴾ | 117 | 256 |
| ﴿ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧ ﴾ | 116-117 | 254 |
| **سورة يوسف** | | |
| ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤ ﴾ | 24 | 143 |
| ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣ ﴾ | 73 | 40 |
| ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣ ﴾ | 73 | 172 |
| ﴿ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١ ﴾ | 101 | 255 |

| | | |
|---|---|---|
| **سورة الرّعد** | | |
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ | 11 | 258 |
| ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ | 25 | 48-42 |
| **سورة إبراهيم** | | |
| ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ | 18 | 289 |
| ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ﴾ | 22 | 243 |
| ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ..............................﴾ | 22 | 300-245 |
| ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ | 43 | 117 |
| **سورة الحجر** | | |
| ﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ | 15-14 | 139 |
| ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ | 36 | 92 |
| ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾.................. ﴿٤٢﴾﴾ | 42-36 | 244 |
| **سورة النّحل** | | |
| ﴿إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ | 23-22 | 159 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ | | |
| ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ | 72 | 90 |
| ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ | 81 | 282 |
| ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ | 85 | 302 |
| ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ | 88 | 110–48–42<br>301–294 |
| ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ | 89 | 246 |
| ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ | 97 | 270 |
| ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ | 108 | 279–276 |
| ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ | –112<br>113 | 269 |
| **سورة الإسراء** | | |
| ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ | 4 | 41 |
| ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ | 16 | 225–193 |
| ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ | 26 | 190 |
| ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ | 27–26 | 189 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ٢٩ ﴾ | 29 | 189 |
| ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ٢٩ ﴾ | 29 | 190 |
| ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ ﴾ | 29 | 185 |
| ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢ ﴾ | 32 | 146 |
| ﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ ﴾ | 33 | 129 |
| ﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴾ | 33 | 188 |
| ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦ ﴾ | 56 | 115 |
| ﴿ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴾ | 61 | 92 |
| ﴿ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٢ ........وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ٦٥ ﴾ | 65-62 | 244 |
| **سورة الكهف** | | |
| ﴿ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾ | 28 | 221 |
| ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٤٢ ﴾ | 42 | 273 |
| ﴿ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ﴾ | 81 | 133 |
| ﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ | 94 | 29 |
| ﴿ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ | 94 | 209 |

| | | |
|---|---|---|
| **سورة مريم** | | |
| ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ | 39 | 300 |
| ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾﴾ | 42 | 82 |
| ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ | 90 | |
| **سورة طـــــه** | | |
| ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ | 16-15 | 221 |
| ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾ | 54 | 122 |
| ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ | 66 | 139 |
| ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾ | 116 | 92 |
| ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ | 124 | 269 |
| **سورة الأنبياء** | | |
| ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ | 9 | 192 |
| ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ | 13-12 | 225 |
| ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ | 22 | 121-21 |
| ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ | 22 | 219-41-29 273 |
| ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ | 47 | 294 |

| | | |
|---|---|---|
| **سورة الحـــجّ** | | |
| ﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ﴾ | 5 | 168 |
| ﴿ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢ ﴾ | 12 | 117 |
| ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١ ﴾ | 41 | 256 |
| ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَا ﴾ | 46 | 236 |
| ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦ ﴾ | 46 | 275 |
| **سورة المؤمنون** | | |
| ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ ﴾ | 5-1 | 78 |
| ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ٣٣ ﴾ | 33 | 223 |
| ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ٣٣ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ٣٤ ﴾ | 34-33 | 224 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ٤٧ ﴾ | 47 | 154 |
| ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ٦٤ ﴾ | 64 | 225 |
| ﴿ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ٧٠ ﴾ | 70 | 219 |
| ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ | 71 | 29 |
| ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ ﴾ | 71 | 219-120 |
| ﴿ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١ ﴾ | 91 | 121 |
| ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ٩٣ رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٩٤ ﴾ | 94-93 | 261 |
| سورة النّور | | |
| ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩ ﴾ | 19 | 56 |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ ﴾ | 21 | 144 |
| ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩ ﴾ | 39 | 289 |
| سورة الفرقان | | |
| ﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ٢١ ﴾ | 21 | 154 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ | 23 | 188 |
| ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ | 60 | 154 |
| ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾ | 69-68 | 303 |
| **سورة الشعراء** | | |
| ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ .................فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ | 77-70 | 81 |
| ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ | 99-97 | 81 |
| ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ | -150 152 | 60 |
| ﴿ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ | 152 | 42 |
| ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ .............وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ | -176 183 | 247 |
| ﴿ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ | 183 | 48 |
| ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ | 187 | 248 |
| ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ | 189 | 248 |

| سورة النمل | | |
|---|---|---|
| ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ | 14-13 | 57 |
| ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ | 14 | 267-91-54 |
| ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ | 17 | 231 |
| ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ | 19 | 232 |
| ﴿ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ | 31 | 157 |
| ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ | 34 | 41-29 |
| ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ | 35 | 162 |
| ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ | 36 | 162 |
| ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ | 43 | 106 |
| ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ | 48 | 253-42 |
| ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ ﴾ | 60 | 131 |
| ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ | 62 | 264 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٦٩)﴾ | 69 | 249-246 |
| ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ | 82 | 231 |
| سورة القصص | | |
| ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤)﴾ | 4 | 114-61 |
| ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١)﴾ | 21 | 261 |
| ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ..........................وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩)﴾ | 39-38 | 198 |
| ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩)﴾ | 39 | 154 |
| ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) ..............إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)﴾ | 50-47 | 218 |
| ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ﴾ | 50 | 119 |
| ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)﴾ | 50 | 221-218 |
| ﴿۞ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)﴾ | 77-76 | 62 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًاۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ٧٨ ﴾ | 78 | 62 |
| ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ .................... ٨٣ ﴾ | 83 | 43 |
| ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًاۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ٨٣ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ | 84-83 | 267 |
| **سورة العنكبوت** | | |
| ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ١٢ ﴾ | 12 | 305 |
| ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢٨ ........... قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ٣٠ ﴾ | 30-27 | 57 |
| ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ٣٠ ﴾ | 30 | 237-56-47 |
| ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ٣١ ﴾ | 31 | 56 |
| ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ٣٤ ﴾ | 34 | 59 |
| ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ٣٦ ﴾ | 36 | 48 |
| ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ | 40 | 56 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ | 40 | 56 |
| ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ ﴾ | 45 | 149-148 |
| ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ | 48 | 91 |
| ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ......................................قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ | 63-61 | 81 |
| ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ | 65 | 264-65 |
| ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ | 65 | 264 |
| **سورة الروم** | | |
| ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ | 30 | 234 |
| ﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ | 35 | 237 |
| ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ | 39 | 169 |
| **سورة لقمان** | | |
| ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ | 13 | 95 |
| ﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ | 13 | 79 |
| ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ | 19-18 | 153 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾ | 30 | 115 |
| سورة الأحزاب | | |
| ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾ | 21 | 258 |
| ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ | 53 | 130 |
| ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ٦٨ ﴾ | 68 | 302 |
| سورة سبأ | | |
| ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ | 23-22 | 83 |
| ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤ ﴾ | 34 | 224 |
| سورة فاطر | | |
| ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾ | 6 | 243 |
| ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤ ﴾ | 14-13 | 114 |
| سورة الصّافّات | | |
| ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥ ﴾ | 35 | 152 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ۝١٥٦ ﴾ | 156 | 237 |
| سورة ص | | |
| ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ | 26 | 220-119 |
| ﴿ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ۝٢٨ ﴾ | 28 | 48 |
| ﴿ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ۝٧٣ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧٤ ﴾ | 74-73 | 92 |
| سورة الزّمر | | |
| ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ | 3 | 116-82-80 |
| ﴿ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ۝١٦ ﴾ | 16 | 250 |
| ﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ ﴾ | 38 | 83 |
| ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣ ........... ﴾ | 56-53 | 187 |
| ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٦٥ ﴾ | 65 | 294 |
| ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٢ ﴾ | 72 | 159 |

| | | |
|---|---|---|
| | | **سورة غافر** |
| 262 | 14 | ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤﴾ |
| 43 | 26 | ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾ |
| 280-185 | 35 | ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥﴾ |
| 281 | 35 | ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥﴾ |
| 192 | 43 | ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ٤٣﴾ |
| 154 | 60 | ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ |
| 83 | 60 | ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ |
| 159 | 76 | ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ |
| | | **سورة فصّلت** |
| 157 | 15 | ﴿فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ |
| 231 | 19 | ﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٩﴾ |
| 242 | 25 | ﴿۞وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ٢٥﴾ |
| | | **سورة الشّورى** |
| 218 | 15 | ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ﴾ |
| 273 | 30 | ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ | 37 | 145 |
| **سورة الزّخرف** | | |
| ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ | 9 | 81 |
| ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ | 23 | 224 |
| **سورة الجاثية** | | |
| ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ | 24 | 91 |
| ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ | 18 | 120 |
| ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ | 21 | 268 |
| ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾ | 23 | 120 |
| ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ | 23 | 220 |
| **سورة الأحقاف** | | |
| ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ | 5 | 117 |
| ﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ | 15 | 232 |

| | | |
|---|---|---|
| **سورة محمّد** | | |
| ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ | 16 | 276 |
| ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ | 22 | 41 |
| ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ | 23 | 137 |
| ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ | 24 | 285 |
| **سورة الحجرات** | | |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ | 2-1 | 292 |
| ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ | 10 | 134 |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ | 13 | 38 |
| **سورة ق** | | |
| ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ | 37 | 37 |
| **سورة الذّاريات** | | |
| ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ | 56 | 114 |
| **سورة النّجم** | | |
| ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ | 3 | 118 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢ ﴾ | 32 | 145 |
| **سورة القمر** | | |
| ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧ ﴾ | 17 | 10 |
| **سورة الرحمن** | | |
| ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ٧ ﴾ | 7 | 180 |
| ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ٩ ﴾ | 9-7 | 181 |
| **سورة الواقعة** | | |
| ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ٤١ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ٤٢ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ٤٣ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ٤٤ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ﴾ | 45-41 | 226 |
| **سورة الحديد** | | |
| ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾ | 25 | 181 |
| **سورة الحشر** | | |
| ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ ﴾ | 16 | 243 |
| **سورة الممتحنة** | | |
| ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ....... ﴾ | 6-4 | 259 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ١٣ ﴾ | 13 | 208 |
| سورة الصّف | | |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣ ﴾ | 3-2 | 257 |
| ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ ﴾ | 5 | 285 |
| سورة المنافقون | | |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ ﴾ | 9 | 298 |
| سورة الطّلاق | | |
| ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ ﴾ | 3-2 | 167 |
| ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ﴾ | 9-8 | 298 |
| سورة نوح | | |
| ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢ ﴾ | 12-10 | 271 |
| ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ﴾ | 27 | 30 |
| سورة الجن | | |
| ﴿ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ١٦ ﴾ | 16 | 271 |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ | 18 | 96 |
| سورة الإنسان | | |
| ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ | 2 | 122 |
| سورة النّازعات | | |
| ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ | 19-18 | 258 |
| ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ | 40 | 215 |
| ﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ | 40 | 118 |
| ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ | 41-40 | 222-118 |
| سورة المطفّفين | | |
| ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ﴾ | 1 | 179 |
| ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ | 3-1 | 180 |
| ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ | 6-1 | 182 |
| ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ | 14 | 276 |
| ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ ......... | 14-13 | 283 |
| سورة الفجر | | |
| ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ | 20 | 161 |

| | | |
|---|---|---|
| **سورة الشّمس** | | |
| ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ | 10-9 | 258 |
| **سورة العلق** | | |
| ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ | 7-6 | 223-66 |
| **سورة البيّنة** | | |
| ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ | 6 | 95 |
| **سورة العصر** | | |
| ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾ | 3-1 | 299 |
| **سورة الهمزة** | | |
| ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ﴿٣﴾ ﴾ | 3-1 | 223 |
| **سورة قريش** | | |
| ﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴿٤﴾ ﴾ | 4-3 | 274 |

# فهرس الأحاديث والآثار.

| الحديث/ الأثر | الراوي/ صاحب الأثر رضي الله عنهم | الصفحة |
|---|---|---|
| {أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟.........................فِي النَّارِ}. | أبو هريرة | 125 |
| {أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟........................ وأيمُ الله لو أنّ فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرقتْ لقَطعَ محمد يدها}. | أمّ المؤمنين عائشة | 177 |
| {إذا جَمعَ الله الأوَّلينَ...، فَإِنَّ الله أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ }. | أبو سعيد بن أبي فضالة الأنصاري | 86 |
| {إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ.................... وفَسَادٌ عَرِيضٌ }. | أبو هريرة | 40 |
| {اِسْمَعُوا وأَطِيعُوا وإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كأنّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ } | أنس بن مالك | 201 |
| {أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ ؟.........كُلُّ عُتُلٍّ جُواظٍ مُسْتَكْبِرٍ}. | حارثة بن وهب | 159 |
| {ألاَ أُخْبِرُكُمْ.................... لِمَا يرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ }. | أبو سعيد الخدري | 86 |
| {أَلَا وإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً،............... أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ}. | النعمان بن بشير | 38-36 77 |
| { إِنَّ أَبَرَّ البِرّ صِلَةُ الولَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ}. | عبد الله بن عمر | 134 |
| {إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَتَخَوَّفُ........................ وشَهْوَةً خَفِيَّةً} | شدّاد بن أوس | 86 |

| | | |
|---|---|---|
| {إن أخوف.................وأما طول الأمل فينسي الآخرة} | علي بن أبي طالب | 124 |
| {إِنَّ الرَّحِمَ شِجْنَة............. وَصَلْتُهُ ومَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ}. | أبو هريرة | 136 |
| {إِنَّ العَبْدَ إذا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ في قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْداء، فإذا هوَ نَزَعَ واسْتَغْفرَ وتابَ سُقِلَ قلبُهُ.................} | أبو هريرة | 284 |
| {إِنَّ اللهَ تعالى فَرَضَ فَرائِضَ فلا تُضَيِّعوها..... وسَكَتَ عنْ أشْيَاءَ غير نِسْيان فلا تبحثوا عنها} | أبو ثعلبة الخشني | 253 |
| {إنّ اللهَ خَلَقَ الخلْقَ،........................فاقرؤوا إن شئتم ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ | أبو هريرة | 135 |
| { إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلَى.... وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ }. | أبو هريرة | 37 |
| {إِنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عن يَمِينِ الرَّحْمَنِ عزّوجلّ، وكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينَ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ ومَا وُلُوا} | عبد الله بن عمرو | 200 |
| { أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ ومَلَائِكَتِهِ...........ونُؤْمِنُ بِالبَعْثِ الْآخِرِ} | أبو هريرة | 76 |
| { إنّ خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبدا مجدَّع الأطراف} | أبو ذرٍّ الغفاري | 201 |
| {... إنّ دِمَاءَكُم...........فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا} | عبد الله بن عباس | 125 |
| { إِنَّ قَوْمَ لوطٍ كَانُوا يَجْلِسُونَ......فَأَيُّهُم أصابَهُ كانَ أَوْلَى بِهِ } | رواه معاوية | 58 |
| {الْأَنْدادُ هُوَ الشِّرْكُ...........................هذا كلهُ به شِرْكٌ} | عبد الله بن عباس | 87 |
| {إِنَّمَا الْأَعْمالُ كالْوِعَاءِ إِذَا طابَ أَسْفَلُهُ طَابَ أَعْلاهُ، وإذا فَسَدَ أَسْفَلُهُ فَسَدَ أَعْلاهُ } | معاوية بن أبي سفيان | 37 |
| {... أيُّ الذّنب أعظم ؟ قال: أَنْ تَجْعَلَ لِلهِ نِدًا............. ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾ [الفرقان: 68]} | عبد الله بن مسعود | 84 |

| | | |
|---|---|---|
| { إيَّاكُمْ والْغُلُوَّ في الدِّينِ } | عبد الله بن عباس | 227 |
| { آيَةُ المنافِقِ ثَلاثٌ..............أَخْلَفَ وإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ }. | أبو هريرة | 100 |
| {تُقْطَعُ اليَدُ في رُبع دِينارٍ فَصَاعِدًا }. | أم المؤمنين عائشة | 176 |
| {تلقَّتِ الملائكةُ روح رجلٍ ممّن قبلكم فقالوا: أعملت من الخير شيئا؟ قال: لا...........قال: قال الله عزّ وجلّ: تجوّزوا عنه } | حذيفة بن اليمان | 174 |
| {تَلَقَّتِ المِلَائِكةُ رُوحَ رَجُلٍ..............، قال: فتجاوزوا عنه } | أبو هريرة | 173 |
| { تَهَادُوا تَحَابُّوا }. | أبو هريرة | 166 |
| { الحَلالُ بَيِّنٌ، والحَرامُ بيِّنٌ،....... فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ}. | النعمان بن بشير | 36 |
| { الدُّعَاءُ هوَ العِبادَةُ } | النعمان بن بشير | 260 |
| { الذهبُ بالذّهبِ والفضةُ...................... سواءٌ}. | أبو سعيد الخدري | 170 |
| { رَأَيتُ اللَّيلةَ رَجُلَيْن أَتَيَانِي فَأَخْرَجَانِي إلى أَرْضٍ مقدَّسَةٍ،....... آكِلُ الرِّبَا }. | سَمُرة بن جندب | 172 |
| { سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ في ظِلِّهِ....} | أبو هريرة | 200 |
| سئل ابن مسعود عن السُّحت،......... فتهدى له الهدية. | عبد الله بن مسعود | 165 |
| { فَهَلاَّ جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ........ بصر عيني وسمِعَ أذْني}. | أبو حُمَيْدٍ الساعدي | 159 |
| { كان تاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فإذا رأَى مُعْسِر... فَتَجَاوَزَ اللهُ عنْهُ }. | أبو هريرة | 174 |
| {كَانُوا يَحْذِفُونَ أَهْلَ الطَّرِيقِ،.....الْمُنْكَر الذي كانُوا يأْتُونَ}. | أم المؤمنين أمّ هانئ | 59 |

| | | |
|---|---|---|
| {الْكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وغَمْطُ النَّاسِ }. | عبد الله بن مسعود | 152 |
| {كُلُّ الْمُسْلِمِ علَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ}. | أبوهريرة | 161 |
| {كلُّ موْلودٍ يولدُ على الفِطرةِ فأبواه يهودانه أو يمجّسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء}. | أبو هريرة | 234 |
| كُنّا نَعُدُّ الرِّياءَ.......................... الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ. | شداد بن أوس | 86 |
| لا تَبِيعُوا الدِّرْهَمَ بِالدِّرْهَمَيْنِ، فإني أخاف عليكم الرما} | أبو سعيد الخدري | 171 |
| { لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ.......................لِلْجَمَاعَةِ}. | عبد الله بن مسعود | 130 |
| { لاَ يَدْخُل الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ}. | عبد الله بن مسعود | 159 |
| لعن رسول الله الراشي.....................الذي يمشي بينهما. | ثوبان مولى رسول الله | 163 |
| {اللَّهُمَّ، أَنْجِزْ لِي ما وَعَدْتَنِي، اللَّهُم آتِ ما وعَدْتَنِي، اللّهُمّ إنْ تَهلكْ هذه العِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لا تعبد في الأرض } | عبد الله بن مسعود | 263 |
| ليس الإيمان بالتمني والتحلي،...في القلب وصدّقه العمل. | الحسن البصري | 77 |
| { لَيْسَ مِنَ البِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ}. | عبد الله بن عباس | 230 |
| { ليس من نفْسٍ تُقْتل ظُلما إلّا كان على ابنِ آدمَ الأول كِفلٌ من دمها، لأنه كان أول مَنْ سَنّ القَتل}. | عبد الله بن مسعود | 304 |
| { مَا ذِئْبانِ جائِعانِ.............. على المالِ والشَّرَفِ لِدينِهِ}. | كعب بن مالك | 38 |
| {مَا ذِئْبانِ ضَارِيَانِ جَائِعَانِ بَاتَا فِي زَرِيبَةٍ.......... الْمُسْلِمِ }. | أبو هريرة | 39 |

| | | |
|---|---|---|
| {ما من عبدٍ يسْترْعيهِ اللهُ رَعِيَّةً فلم يَحُطْها بِنُصْحِهِ لمْ يَجِدْ رائحةَ الجنَّةِ } | معقل بن يسار | 202 |
| مَا مِنْ والٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنَ المسْلِمينَ فَيَمُوتُ وهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ إلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ }. | معقل بن يسار | 202 |
| { ما منكم مِن أحدٍ إلّا وقد وكّل به قرينه..........وإياي إلا أنّ الله أعانني عليه فأسلمَ فلا يأمرني إلا بخيرٍ}. | عبدالله بن مسعود | 244 |
| {ما هذا يا صاحِبَ الطَّعَامِ ؟.......... مَنْ غشَّ فليس مني}. | أبو هريرة | 182 |
| {مَثَلُ القائمِ في حُدودِ الله.................... فإنْ تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإنْ أخذوا على أيديهم نجَوا ونجَوا جميعا}. | النعمان بن بشير | 255 |
| { مَثَلُ المنافق كَمَثَلِ الشَّاةِ العائِرةِ.............وإلى هذه مرةً}. | عبد الله بن عمر | 104 |
| { مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، ومَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي }. | أبو هريرة | 201 |
| { مَنْ دَعَا إلى هُدًى، كَان لَهُ من الأَجْرِ مِثْلَ أجورِ مَنْ تَبِعَه، لا يَنْقُصُ ذلك مِنْ أُجورِهِم شَيئًا، ومَنْ دَعَا إلى ضَلالَةٍ، كان عليه من الإِثْمِ مِثْلَ آثامِ مَنْ تَبِعَه لا ينقُصُ ذلك من آثامِهِم شيئًا }. | أبو هريرة | 304 |
| { مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ.............يَصِلْ رَحِمَهُ }. | أبو هريرة | 135 |
| { مَنْ سرَّهُ أنْ ينجيه الله مِن كُرب.......... أو يضعْ عنه }. | أبو قتادة | 174 |
| { مَنْ سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حسَنةً فَعُمِلَ بها بَعْدَه، كُتِبَ له مثلُ أجْرِ مَنْ عَمِلَ بها، ولا يَنْقُصُ مِن أُجورِهم شيء، ومَن سَنَّ في الإسلام سُنَّةً سيئةً، فعُمِلَ بها بَعْدَه، كُتِبَ عليه مثل وِزْر مَنْ عَمِلَ بها، ولا يَنْقُصُ من أوْزَارِهم شيء}. | جرير بن عبد الله | 304 |
| { مَنْ شَفَعَ لِأَخِيهِ بِشَفَاعَةٍ.............. مِنْ أَبْوَابِ الرِّبَا}. | أبو أمامة الباهلي | 165 |
| { مه، علَيْكُمْ ما تُطِيقُونَ مِنَ الأَعْمَالِ،.......... حتَّى تَمَلُّوا}. | عائشة أم المؤمنين | 230 |

| | | |
|---|---|---|
| { هَلكَ المتَنَطِّعُونَ }. | عبد الله بن مسعود | 230 |
| { الهوى إلهٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله}. | عبد الله بن عباس | 220 |
| { والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبيب............... وأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لا أَعْلَمُ }. | معقل بن يسار | 262 |
| { والله لا يخزيك الله أبدا،.......... وتعين على نوائب الدهر}. | أمّ المؤمنين خديجة | 288 |
| { يَقُول الله عزّ وجلّ: أنا عند ظنّ عبدي بي،.............. وإنْ أتاني يمشي، أتيته هرولةً}. | أبو هريرة | 264 |

# قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي، برواية حفص، الإصدار الأول،(1426هـ).

## حرف الألف

**الأزهري**: أبو منصور محمد بن أحمد.

1- تهذيب اللغة، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، مراجعة: علي محمد البجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (دط، دت).

2- تهذيب اللغة، تحقيق علي حسن هلالي، مراجعة محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، القاهرة، (د ط، د ت).

**الألوسي**: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني

3- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط1، 1415هـ).

**ابن الأثير**: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن عبد الواحد الشيباني الجزري.

4- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، (ط1، 1415هـ/1994م).

**ابن الأثير**: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري.

5- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمود محمد الطناحي، طاهر أحمد الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (دط، دت).

**أبو إسحاق**: القاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي.

6- أحكام القرآن، حققه وقدم له وعلق عليه د: عامر حسن صبري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، (ط 1، 1426هـ /2005م).

**أيوب**: حسن.

7- السّلوك الاجتماعي في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، (ط 3، 1427هـ / 2006 م).

## حرف الباء

**البخاري:** أبوعبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم.

8- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، شرح وتحقيق: محبّ الدين الخطيب، رقّم كتبه وأبوابه: محمد فؤاد عبد الباقي، أخرجه: قصي محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، (ط1، 1400هـ/1980م).

9- الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، (ط3، 1409هـ/1989م).

**البيضاوي:** ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي.

10- تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن مرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط1، 1418هـ).

**البقاعي:** إبراهيم بن عمر بن حسن بن علي بن أبي بكر.

11- نظم الدّررفي تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (دط، دت).

**البغوي:** أبو محمد الحسين بن مسعود.

12- معالم التنزيل في تفسير القرآن تفسير البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، (ط4، 1417هـ).

**ابن باديس:** عبد الحميد.

13- تفسير ابن باديس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، (د ط، 1991م).

14- مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، دار البعث، (ط 1، 1402هـ / 1982م).

**بنت الشاطئ:** عائشة عبد الرحمن.

15- التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، (ط 7، د ت).

**البيهقي:** أخرجه أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي.

16- السنن الكبرى، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط، د ت).

**البوطي:** محمد سعيد رمضان.
17- من سنن الله في عباده، آفاق معرفة متجددة، (دط، دت).
**بخيت:** رجب محمود إبراهيم.
18- تأمل الفرق بين مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، دار الإيمان، الإسكندرية، مصر، (دط، دت).
**البنّــــا:** حسن.
19- مجموعة رسائل الإمام حسن البنا.(دط، دت).
**الباحثان:** عبد السلام حمدان اللوح وضيائي نعمان السوسي.
20- الفساد وأسبابه دراسة قرآنية موضوعية، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية)، يونيه 2007، المجلد 15، العدد2.

## حرف التاء

**الترمذي:** محمد بن عيسى. محمد بن عيسى بن سورة.
21- سنن الترمذي وهو الجامع المختصر من السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل، المعروف بجامع الترمذي، حكم على أحاديثه وآثاره وعّق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، (ط1، 1417هـ).
22- الجامع الكبير، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، (ط 1، 1996م).
**ابن تيمية:** أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم النميري الحرّاني.
23- التفسير الكبير، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط، دت).
24- الفتاوى الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط 1، 1408 هـ / 1987م).

25- الصّارم المسلول على شاتم الرسول، دراسة وتحقيق: محمد بن عبد الله بن عمر الحلواني ومحمد كبير أحمد شودري، رمادي للنشر، المملكة العربية السعودية، (ط1، 1417هـ/1997م).
26- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، دار المعرفة، بيروت،(دط، دت).

## حرف الثاء

**الثعالبي:** عبد الرحمن.
27- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، حقق أصوله وخرج آياته علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، (ط1، 1418هـ/1997م).

## حرف الجيم

**الجوهري:** إسماعيل بن حماد.
28- الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (ط4، 1990م).
**الجرجاني:** علي بن محمد الشريف.
29- كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، (دط،1985م).
**ابن الجوزي:** جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن.
30- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، دراسة وتحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، طبع بمساعدة اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري في الجمهورية العراقية، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط3، 1407هـ/1987م).
31- زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، (ط 3، 1404هـ/ 1984م).
**الجلالان:** جلال الدين محمد بن أحمد المحلى، وجلال الدين بن أبي بكر السيوطي.
32- تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، (ط1، د ت).
**الجصاص**، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي.
33- أحكام القرآن، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دط، 1405هـ).

**الجزائري:** أبو بكر جابر.

34- عقيدة المؤمن، دارالعقيدة، القاهرة، (د ط، د ت).

**الجيوس:** عبد الله محمد.

35- المؤتمر العربي الدولي لمكافحة الفساد، المحور الأول: مكافحة الفساد من منظور إسلامي، موضوع: الفساد مفهومه وأسبابه وأنواعه وسبل القضاء عليه ـ رؤية قرآنية، مركز الدراسات والبحوث قسم الندوات واللقاءات العلمية، الرياض، (10-1424/8/12هـ / 6-8 /2003/10م).

## حرف الحاء

**أبوحيان:** محمد بن يوسف الشهير الأندلسي.

36- تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط1، 1413هـ/1993م).

**ابن أبي حاتم:** عبد الرحمن بن محمد إدريس الرازي.

37- تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، تحقيق أسعد محمد الطيب، إعداد مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، الرياض، (ط1، 1417هـ/1997م).

**ابن حجر:** أحمد بن علي العسقلاني.

38- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تعليق: عبد الرحمن بن ناصر البراك، دار طيبة، (ط1، 1426هـ/2005م).

**ابن حنبل:** أحمد بن محمد.

39- المسند، شرحه وصنع فهارسه: حمزة أحمد الزّين، دار الحديث، القاهرة، (ط1، 1416هـ/1995م).

**أبو حامد:** محمد بن محمد الغزالي.

40- إحياء علوم الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (ط 1، 1423هـ/ 2003م).

41- إحياء علوم الدين، دار المنهاج للنشر والتوزيع، (ط1، 1432هـ/2011م).

42- المستصفى من علم الأصول، دراسة وتحقيق: محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (ط 1،1417هـ/ 1997م).

**الحكمي:** محمد بن عبد الله علي.

43- الظلم وأثره على الفرد والمجتمع، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، (ط2، 1415هـ/ 1995م).

**الحزيمي:** سعود بن عبدالله.

44- الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، (ط1، 2005م).

**حوى:** سعيد.

45- الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، (ط6، 1424هـ/2003م).

46- المستخلص في تزكية الأنفس، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، القاهرة، (ط 11، 1425هـ /2005 م).

**حجازي:** أحمد.

47- شرح الأربعين النووية، تحقيق: حامد أحمد الطّاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، (ط2، 1434هـ/ 2013م).

## حرف الخاء

**ابن خلدون:** عبد الرحمن بن محمد.

48- مقدمة ابن خلدون، اعتناء ودراسة أحمد الزعبي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، (د ط، دت).

**الخلوتي:** اسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي.

49- روح البيان، دار الفكر، بيروت، (د ط، د ت).

**الخن:** مصطفى سعيد.

50- مبادئ العقيدة الإسلامية، مديرية الكتب الجامعية، دمشق، (د ط، 1983م).

## حرف الدّال

**ابن دريد:** محمد بن الحسن البصري الأزدي

1- جمهرة اللغة، مطبعة مجلس دائرة المعارف الكائنة ببلدة حيدر آباد الدكن، (ط1، 1344هـ).

**الدار قطني:** أخرجه الحافظ الكبير علي بن عمر.

2- سنن الدار قطني وبذيله التعليق المغني على الدار قطني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، سعيد اللحام، مؤسسة الرسالة، (ط 1، 1424هـ/ 2004م).

**دوزي:** رينهارت.

3- تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلّق عليه: محمد سليم النعيمي، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، (دط، 1970م).

**الدوسري:** عبد الرحمن.

4- النفاق: آثاره ومفاهيمه، مكتبة دار الأرقم للنشر والتوزيع، الكويت، (ط2، 1402هـ / 1982م).

**دِراز:** محمد عبد الله.

5- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دار القلم، الكويت، (دط، دت).

**الدّاية:** فايــــز.

6- علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، دار الفكر، دمشق، سورية، (ط2، 2006م).

## حرف الذّال

**الذّهَبي:** شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان

7- الكبائر، تحقيق: أنس محمد الشامي، دار التقوى للنشر والتوزيع، (د ط، د ت).

## حرف الرّاء

**الراغب الأصفهاني:** أبو القاسم الحسين بن محمد.

8- المفردات في غريب القرآن، تم التحقيق والإعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى، الناشر مكتبة نزار مصطفى، (دط، دت).

9- تفسير الراغب الأصفهاني، الجزء1 المقدمة تفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، (ط1، 1420هـ/1999م).

10- مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، (ط 2، 2002م).

**الرحيلي:** إبراهيم بن عامر.

11- التكفير وضوابطه، دار الإمام أحمد، (ط2، 1429هـ/ 2000م).

**ابن رجب:** زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي

12- مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، دراسة وتحقيق: أبو مصعب طلعت بن فؤاد حلواني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، (دط، دت).

**الرازي:** محمد فخر الدين.

13- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1، 1401هـ/1981م).

14- مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت،(ط3،1420هـ).

15- المحصول في علم أصول الفقه، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، (د ط، دت).

## حرف الزّاي

**الزمخشري:** أبو القاسم جار الله محمود بن عمر.

16- أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط1، 1419هـ /1998م).

17- الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (ط3، 1407هـ).

**الزبيدي:** السيد محمد مرتضى الحسيني.

18- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي هلالي، مراجعة: عبدالله العلايلي وعبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، (ط2، 1407هـ /1987م).

**الزّجّاج:** أبو إسحاق إبراهيم بن السّري.

19- معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عال الكتب، بيروت، (ط 1، 1408هـ/ 1988م).

**ابن أبي زمنين:** أبو عبد الله محمد بن عبد الله.

20- تفسير القرآن العزيز، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، (ط1، 1423هـ/2002م).

**أبو زهرة:** محمد.

21- زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، (دط، دت).

**الزحيلي:** وهبة.

22- التفسير الوجيز على هامش القرآن العظيم، دار الفكر، دمشق، سورية، (د ط، دت).

**الزاحم:** محمد عبد الله.

23- آثار تطبيق الشريعة الإسلامية في منع الجريمة، دار المنار، (ط 1، 1412هـ/ 1992م).

## حرف السّين

**أبو سليمان:** بن الأشعث السجستاني الأزدي.

24- سنن أبي داود ومعه كتاب معالم السنن للخطابي، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (ط 1، 1418هـ /1997م).

**السيوطي:** جلال الدين.

25- الدّرّ المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، (ط1، 1424هـ/2003م).

**أبو السعود:** العمادي محمد بن محمد بن مصطفى.

26- تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت،(دط، دت).

**السمعاني:** أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي.
27- تفسير السمعاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، (ط 1، 1418 هـ/ 1997 م).
**السعدي:** عبد الرحمن بن ناصر.
28- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (دط، 1420هـ/ 2000م).
**الساعاتي:** أحمد عبد الرحمن البنا.
29- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع مختصر شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، دار إحياء التراث العربي، (ط1، د ت).
**السمين الحلبي:** أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم.
30- الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون،تحقيق: أحمد محمد الخرّاط، دار القلم، دمشق،(دط، دت).
**السايس:** محمد علي.
31- تفسير آيات الأحكام، تحقيق: ناجي سويدان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر،(دط، 2002م).
**سبيريدو فيتش:** شيريب.
32- حكومة العالم الخفية، ترجمة مأمون سعيد، تحرير وتقديم أحمد راتب عرموش، قصر الكتب، البليدة، الجزائر(دط، دت).

## حرف الشّين

**شوقي:** ضيف.
33- المعجم الوسيط،، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، (ط4، 1425هـ/2004م).
**الشنقيطي:** محمد الأمين بن عبد القادر الجكني.
34- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،(دط، 1415هـ/1995م).

**الشعراوي**: محمد متولي.
35- تفسير الشعراوي، الخواطر، مطابع أخبار اليوم، (دط، 1997م).
36- من وصايا القرآن الكريم، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، (د ط، دت).
37- الدعاء المستجاب، أعده وعلق عليه وقدم له عبد الرحيم محمد متولي الشعراوي، دار التوفيقية للتراث، القاهرة،(دط، دت).
**الشوكاني**: محمد بن علي بن عبد الله اليمني.
38- فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، (ط 1، 1414هـ).
**الشاطبي**: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي.
39- الموافقات، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، ضبط نصه قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان،(دط، دت).
**الشرباصي**: أحمد.
40- يسألونك في الدين والحياة، دار الجيل، بيروت، (ط1، 1977 م).
**شلبي**: رؤوف.
41- الدعوة الإسلامية في عهدها المدني، دار القلم، الكويت، (ط1، 1404هـ/ 1983م).
**الشهراني**: أحمد بن محمد بن سعيد.
42- الفساد في الأرض أسبابه ومظاهره وعلاجه، دراسة قرآنية موضوعية، بحث مقدم لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في الآداب تخصص التفسير والحديث، إشراف: د. عادل بن عديّ الشدي، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، (1426هـ/ 2005 م).

## حرف الصّاد

**الصّنعاني**: محمد بن إسماعيل اليمني.
43- سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط: 3، (1417هـ /1979 م).

**صالح:** سعد الدين السيد.

44- العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، دار الصفا للطباعة والنشر، القاهرة، (ط2، 1410هـ/ 1990م).

## حرف الضاد

**ضميرية:** عثمان بن جمعة.

45- أثر العقيدة الإسلامية في اختفاء الجريمة، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، (ط1، 1421هـ/2000م).

## حرف الطّاء

**الطبري:** محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر.

46- جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (ط1، 1420هـ/2000م).

**الطبراني:** أبو القاسم سليمان بن أحمد.

47- المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، (دط، 1415هـ/1995م).

**الطحاوي:**أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة .

48- مشكل الآثار، دار صادر، بيروت، لبنان، (ط1، دت).

**طنطاوي:** محمد سيد.

49- بنو إسرائيل في القرآن والسنة، دار الشروق، القاهرة، (ط2،1420هـ/ 2000م).

50- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة ولنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، (ط1، 1998م).

## حرف العين

**ابن عادل:** أبو حفص عمر بن علي الدمشقي.

51- اللباب في علوم الكتاب، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، شارك في تحقيقه برسالته الجامعية: د.محمد سعد رمضان حسن، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1، 1419هـ/1998م).

**ابن العربي:** أبو بكر محمد بن عبد الله.

52- أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه: محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط3، 1424هـ/2003م).

**ابن عطية:** أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي.

53- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط1، 1422هـ/2001م).

**ابن عاشور:** محمد الطاهر.

54- التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر، تونس، (دط، 1984م).

55- مقاصد الشريعة الإسلامية، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، (ط2، 1421هـ/2001م).

56- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، تحقيق محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، الأردن، (ط 1، 2001م).

**عز الدين:** أبو محمد بن عبد السلام السلمي.

57- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، مراجعة وتعليق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (دط، 1414هـ/1991م).

**ابن عجيبة:** أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الفاسي الصوفي.

58- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله الفرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، (دط، 1419هـ).

**أبو العز:** الحنفي.

59- شرح العقيدة الطحاوية، دار ابن رجب المنصورة، (ط2، دت).

**العسكري**: أبو هلال.
60- الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (دط، دت).
**العيني**: بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد.
61- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ضبطه وحققه عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، (ط1، 1421هـ / 2001م).
**ابن عبد ربه**: شهاب الدين أحمد بن محمد الأندلسي.
62- العقد الفريد، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، (د ط، 1404هـ).
**عبده**: محمد.
63- نهج البلاغة، مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، دار الحديث، القاهرة، (دط،1424هـ/ 2004م).
**العدوي**: صفاء الضوي أحمد.
64- إهداء الدّيباجة بشرح سنن ابن ماجة، مكتبة اليقين، (دط، دت).
**عبد الباقي**: محمد فؤاد.
65- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (ط 4، 1414هـ/1994م).
**العقيلي**: يوسف بن عبد العزيز بن سليمان.
66- منهج القرآن في دفع الفساد دراسة موضوعية، إشراف: د. حجاج عربي رمضان أحمد، (العام الجامعي: 1429هـ / 1430هـ).
**عبد الستار**: عبد المعز.
67- سورة الإسراء تقص نهاية إسرائيل، مقال منشور في مجلة الأزهر، عدد غرة جمادى الآخرة 1376هـ، 2يناير 1957م، المجلد28، الجزء6.
**العوّا**: محمد سليم.
**68**- في النظام السياسي للدولة الإسلامية، دار الشروق، (ط 8، 1427هـ / 2006م).

**عبد العزيز**: بن ناصر الجليل.
69- وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، دار طيبه للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، (ط1، 1419هـ /1999م).

## حرف الغين

**الغزالي**: محمد.
70- المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار السلام للنشر والتوزيع، (دط، دت)
71- الطريق من هنا، دار الهناء، (د ط، دت).
72- خلق المسلم، دار المعرفة، (د ط، دت).

## حرف الفاء

**الفراهيدي**: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد.
73- كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (دط، دت).
74- كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط1، 1424هـ / 2003م).
**الفراء**: أبو زكريا يحي بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي.
75- معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشبلي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، (ط1، دت).
**ابن فارس**: أبو الحسن أحمد بن زكريا.
76- معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط، د ت).
**الفيروز آبادي**: مجد الدين محمد بن يعقوب، الشيرازي.
77- القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (دط، 1301هـ).
**الفيومي**: أحمد بن محمد بن علي ثم الحموي أبو العباس.
78- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، (دط، دت).

**فضل الله:** آية الله العظمى السيد محمد حسين.
79- الحوار في القرآن الكريم، قواعده، أساليبه، معطياته، دار الملاك، بيروت، لبنان، (ط5،1417هـ/ 1996م).

## حرف القاف

**ابن قيم** الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين.
80- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، مكتبة دار البيان، دمشق، (ط1، 1421هـ/ 2000م).
81- بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه خرج أحاديثه يسري السيد محمد، راجعه ونسق مادته ورتبها: صالح أحمد الشامي، دار ابن الجوزي، (ط1، 1427هـ).
82- تفسير القرآن الكريم، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (ط 1، 1410 هـ).
83- إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1، 1411هـ/1991م).
84- الفوائد، دارالنفائس، بيروت، لبنان، (ط7، 1986م).
85- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء، دراسة وتحقيق: بسام علي سلامة العموش، دار ابن تيمية للنشر التوزيع والإعلام، (ط1، 1406هـ/1986م).
86- الوابل الصّيّب من الكلم الطيّب، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، (د ط، دت)
87- مدارج السالكين، تحقيق محمد الفقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط الأخيرة، (1408هـ/ 1988م).
88- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، المحقق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، (دط، دت).
89- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق أحمد فخري الرفاعي، عصام فارس الحرستاني، دار الجيل، بيروت، (دط، دت).

**القشيري:** عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك.

**90**-لطائف الإشارات، تفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (ط3، دت).

**قطب:** سيّد.

91- في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، (ط7،1398هـ/1978م).

**القرضاوي:** يوسف.

92- الإيمان والحياة، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، (دط، 1987م).

93- العبادة في الإسلام، دار الشهاب للطباعة والنشر، الجزائر، باتنة، (ط 2، د ت).

**القوجوي:** محمد بن مصلح الدين مصطفى.

94- حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، ضبطه وصححه: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط 1، 1419هـ /1999م).

**القسطلاني:** شهاب الدين أحمد بن محمد الخطيب.

95- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، وبهامشه متن صحيح الإمام مسلم وشرح الإمام النووي عليه،)، المطبعة الكبرى، الأميرية ببولاق مصر المحمية،(ط 6، 1305هـ).

**قصاص:** عبد الرحمن جميل.

96- مفهوم الفساد والإفساد في ضوء القرآن الكريم، المحور الأول: مكافحة الفساد من منظور إسلامي، المؤتمر العربي لمكافحة الفساد، الرياض، (دط، 1424هـ/2003م).

**القحطاني:** محمد بن سعيد بن سالم.

97- الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف، دار طيبة، الرياض، السعودية، (ط1، دت).

## حرف الكاف

**ابن كثير**: أبو الفداء اسماعيل الدمشقي.

98- تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، (ط2، 1420هـ/1999م).

99- تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، (ط 1، 1419هـ).

**الكفوي**: أبو البقاء الحسيني.

100- الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، قابله على نسخة خطية وأعدّه للطبع ووضع فهارسه عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (ط2، 1419هـ /1998م).

**الكياالهراسي**، علي بن محمد أبو الحسن الطبري.

101- أحكام القرآن، تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط2، 1405هـ).

## حرف الميم

**مسلم**: أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري.

102- صحيح مسلم، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه، وتصحيحه وترقيمه، وعدّ كتبه وأبوابه وأحاديثه، وعلّق عليه ملخص شرح الإمام النّووي مع زيادات عن أئمة اللغة، خادم الكتاب والسّنة محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، توزيع دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، طبع، نشر، توزيع، دار الحديث (ط1،1412هـ/1991م).

**ابن ماجه**: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني.

103- سنن ابن ماجه، حكم على أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، (ط1، 1406هـ).

104- سنن ابن ماجه، الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت، (ط1، 1418هـ /1998م).

**الماتريدي:** محمد بن محمد بن محمود أبو منصور.

105- تفسير الماتريدي تأويل أهل السنة، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط1، 1426هـ/2005م).

**المناوي:** زين العابدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن زين العابدين الحدّادي.

106- فيض القدير شرح الجامع الصّغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، (ط1، 1356هـ).

**ابن منظور:** أبو الفضل جمال الدين الإفريقي المصري.

107- لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، (دط، دت).

**المباركفوري:** أبو العلى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم.

108- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ضبطه وراجع أصوله: عبد الرحمن محمد عثمان، أشرف على تصحيحه: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (دط، دت).

**الماوردي:** أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير.

109- النّكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط،دت).

110- تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تحقيق: رضوان السيد، دار العلوم العربية، بيروت، (ط1/ 1987م).

111- أدب الدين والدنيا، دار المنهاج للنشر والتوزيع،، بيروت، لبنان، (ط 1، 1434هـ / 2013م).

**المراغي:** أحمد بن مصطفى.

112- تفسير المراغي، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، (ط 1، 1365هـ / 1946م).

**محمد:** رشيد بن علي رضا بهاء الدين.

113- تفسير القرآن الحكيم الشهير باسم تفسير المنار، دار المنار، القاهرة، (ط2، 1366هـ/1947م).

114- تفسير القرآن الكريم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د ط، 1990م).

**مدكور:** إبراهيم.

115- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، (ط1، 1400هـ/ 1980م).

116- المعجم الوسيط، الدار الهندسية، (ط3، 1985م).

**المودودي:** أبو الأعلى.

117- فرعون في القرآن، ترجمة وتعريب محمد إدريس، المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، (دط،د ت).

118- الربا، الدار السعودية للنشر والتوزيع، (ط 2، 1407هـ / 1987م).

**المدرِّسي:** السيّد محمد تقي.

119- مقاصد السور في القرآن الكريم، دار المحجة البيضاء، الناشر: مركز العصر للثقافة والنشر، بيروت، (ط2، 1434هـ/2013م).

**ميدوفنا:** سلغريوفا برلنت ماجو.

120- الوازع وأثره في مقاصد الشريعة، رسالة ماجستير في الفقه وأصوله، إشراف د: هايل عبد الحفيظ داود، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، (2006م).

**الميداني:** عبد الرحمن حسن حبنكة.

121- صراع مع الملاحدة حتى العظم، دار القلم، دمشق، (ط 5، 1412هـ / 1992م).

**مسلم:** مصطفى.

122- من صفات اليهود: الإفساد في الأرض، شبكة الألوكة .

**مجموعة من العلماء:**

123- موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، دراسة موضوعية لـ345 موضوعا قرآنيا، إشراف وتحرير مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، (ط1، 1440هـ / 2019 م).

## حرف النّون

**النووي:** أبو زكريا يحي بن شرف الدين.

124- رياض الصالحين، اعتنى به: عبد الله بن عبد المحسن التركي،(دط، دت).

125- صحيح مسلم بشرح النووي، الطبعة المصرية بالأزهر، (ط1، 1349هـ/1930م).

**النيسابوري:** أبو عبد الله الحاكم.

126- المستدرك على الصحيحين، طبعة متضمنة انتقادات الذهبي، وبذيله تتبع أوهام الحاكم التي سكت عليها الذهبي لأبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (ط1، 1417هـ/1997م).

**النسائي:** أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن سنان

127- سنن النسائي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، (ط1، 1420هـ / 1999م). كتاب السنن الكبرى، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، (ط 1، 1421هـ/2001م).

**النابلسي:** محمد راتب.

128- موسوعة أسماء الله الحسنى، دار المكتبي للنشر والتوزيع، سورية، دمشق، (ط 5، 1429هـ / 2008م).

**نورة:** بن حسن.

129- الظلم في ضوء القرآن الكريم، حقيقته، أنواعه، أسبابه، آثاره، الوقاية منه، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في التفسير، إشراف: الأستاذ الدكتور: أحمد رحماني، (1429هـ، 1430م/ 2008م، 2009م).

## حرف الهاء

**هتلر**: أدولف.

130- كفاحي، ترجمة: جمال إبراهيم، الحرية للنشر والتوزيع، القاهرة، (دط، د ت).

## حرف الواو

**الواحدي**: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي.

131- التفسير البسيط، المحقق: أصل تحقيقه في 15 رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، (ط1، 1430هـ).

## حرف الياء

**يعقوب**: عبد الرحمن.

132- الظالمون، مركز فجر للطباعة، القاهرة، (دط، 2001م).

# الروابط الإلكترونية

**133**-.http: //almoslim.net/node/150467

# فهرس الموضوعات

**الموضوع** **الصفحة**

مُقَدّمَـــــة ............................................ 1

## الفصل الأول: تعريف الفساد والإفساد وحكمهما

**توطئـة:**............................................ 17

**المبحث الأول: تعريف الفساد والإفساد**............................................ 18

المطلب الأول: تعريف الفساد والإفساد في اللغة. ............................................ 18

أولا: الفساد. ............................................ 18

ثانيا: الإفساد. ............................................ 22

المطلب الثاني: تعريف الفساد والإفساد في الاصطلاح. ............................................ 24

**المبحث الثاني: حكم الفساد والإفساد**............................................ 47

المطلب الأول: النهي عن الفساد والإفساد. ............................................ 47

المطلب الثاني: ذمُّ المفسدين وفضحُهم. ............................................ 51

المطلب الثالث: المفسدون وتعدّد مسمياتهم في القرآن الكريم. ............................................ 55

أولا: هم الظالمون............................................ 55

ثانيا: هم الفَاسِقُون. ............................................ 57

ثالثا: هُمُ المُسْرِفُون............................................ 60

رابعا: هُمُ المُجْرِمُون............................................ 62

المطلب الرابع: الفساد وتعدّد مسمياته في القرآن الكريم. ............................................ 64

أولًا: البغْي............................................ 64

ثانيا: الإهلاك. ............................................ 66

## الفصل الثاني: مجالات الفساد وأنواعه.

توطئـــة:............................................ 72

**المبحث الأول: المجال العقدي.** ........................................ 73
أولا: في اللغة........................................................ 73
ثانيا: في الاصطلاح.................................................... 74
المطلب الأول: الشرك بالله.............................................. 79
أولا: في اللغة........................................................ 79
ثانيا: في الاصطلاح.................................................... 80
ثالثا: لوازم اتخاذ الشريك. ............................................. 81
المطلب الثاني: الكفر.................................................. 89
أولا: في اللغة........................................................ 89
ثانيا: في الاصطلاح.................................................... 90
ثالثا: الفرق بين الشرك والكفر ......................................... 95
المطلب الثالث: النفاق. ................................................ 98
أولا: في اللغة........................................................ 98
ثانيا: في الاصطلاح.................................................... 99
ثالثا: مراتب النفاق.................................................... 100
المطلب الرابع: الصّدّ و الصّدوف عن آيات الله.......................... 106
أولاً: في اللغة........................................................ 106
ثانيا: في الاصطلاح.................................................... 107
ثالثا: الاتفاق والاختلاف بين اللفظين. ................................... 108
المطلب الخامس: اللّجوء إلى غير الله تعالى. ............................. 113
أولا: في اللغة........................................................ 113
ثانيا: في الاصطلاح.................................................... 113
ثالثا: الأفعال التي تعدّ من اللجوء إلى غير الله تعالى. ..................... 114
1- اللجوء إلى الأولياء في أضرحتهم. ...................................... 114
2- اتباع الهوى. ......................................................... 117

**المبحث الثاني: المجال الأخلاقي الاجتماعي.** ........................ 125
المطلب الأول: قتل النفس بغير حقّ........................................ 126
المطلب الثاني: قطع الأرحام.................................................. 133
أولا: في اللغة............................................................... 133
ثانيا: في الاصطلاح.......................................................... 133
ثالثا: حدود الرحم التي توقع في الإفساد. ................................. 134
رابعا: التحذير من قطع الأرحام. .......................................... 135
المطلب الثالث: تعاطي السِّحر. ............................................ 138
أولا: في اللغـــة. ............................................................. 138
ثانيا: في الاصطلاح.......................................................... 139
ثالثا: السحر فساد عقدي، وإفساد اجتماعي. .............................. 140
المطلب الرابع: الفواحش..................................................... 143
أولا: في اللغة............................................................... 143
ثانيا: في الاصطلاح.......................................................... 144
ثالثا: الصلاة والنهي عن الفحشاء. ......................................... 148
المطلب الخامس: الكِبْر والتّكبُّر. ........................................ 151
أولا: في اللغة. .............................................................. 151
ثانيا: في الاصطلاح.......................................................... 152
**المبحث الثالث : المجال الاقتصادي المالي.** .......................... 161
المطلب الأول: الرشوة....................................................... 162
أولا: في اللغة. .............................................................. 163
ثانيا: في الاصطلاح.......................................................... 163
المطلب الثاني: الرِّبـــا..................................................... 168
أولا: في اللغة............................................................... 168
ثانيا: في الاصطلاح.......................................................... 169
ثالثا: أقسام الرِّبـــا.......................................................... 169

المطلب الثالث: السّرقة. ................................................ 174
أولا: في اللغة................................................ 174
ثانيا: في الاصطلاح................................................ 175
المطلب الرّابع: التّطفيف................................................ 178
أولا: في اللغة................................................ 178
ثانيا: في الاصطلاح................................................ 179
المطلب الخامس: الإسراف والتبذير................................................ 184
أولا: الإسراف................................................ 184
ثانيا: التبذير................................................ 188
ثالثا: الفرق بين الإسراف والتبذير................................................ 190
**المبحث الرابع: الفساد السياسي.** ................................................ 195
المطلب الأول: مفهوم النظام والسياسة................................................ 195
المطلب الثاني: الفساد في النظم السياسية(نظم الحكم) ................................................ 197
أولا: فساد الحكام. ................................................ 198
ثانيا: فساد المحكومين (الرّعية). ................................................ 203
ثالثا: إيقاد نيران الحروب، وموالاة أصحابها. ................................................ 205

## الفصل الثالث: أسباب الفساد وموانعه.

تـوطـئـــة:................................................ 214
**المبحث الأول: أسباب الفساد**................................................ 215
المطلب الأول: اتباع الهوى. ................................................ 215
أولا: في اللغة................................................ 215
ثانيا: في الاصطلاح................................................ 216
ثالثا: لفظ الهوى في القرآن الكريم................................................ 217
رابعا: الحق في مواجهة الأهواء. ................................................ 218
المطلب الثاني: وجود المُترفين................................................ 222

أولا:  في اللغة.................................................... 222
ثانيا: في الاصطلاح................................................. 222
ثالثا: مصاحبة الإفساد للتَّرَف. ...................................... 223
المطلب الثالث: الغُلُوّ....................................................... 227
أولا: في اللغة...................................................... 227
ثانيا: في الاصطلاح................................................. 228
ثالثا: حدود الغُلوّ. ................................................... 229
المطلب الرابع: فساد الوازع................................................ 231
أولا: في اللغة...................................................... 231
ثانيا: في الاصطلاح................................................. 231
ثالثا: أقسام الوازع.................................................. 234
المطلب الخامس: إغواء وتزيين الشيطان.................................... 240
**المبحث الثاني: موانع الفساد وسبل دفعه.** ................................... 246
المطلب الأول: بَيانُ عاقِبة المفسدين. ........................................ 246
المطلب الثاني: الحُدود والتَّعْزيرات المشروعة. ................................. 250
المطلب الثالث: وجود المصلحين............................................ 253
أولا: لفظ الإصلاح والمصلحين في القرآن الكريم. ......................... 253
ثانيا: أهمّ صفات المصلحين. ........................................... 257
1-الصَّلاح والإصلاح الذاتي. ..................................... 257
2- العودة إلى منهج الأنبياء، والأخذ عنهم.............................. 258
المطلب الرابع: الدعاء واللجوء إلى الله تعالى. ................................... 259
أولا: في اللغة...................................................... 260
ثانيا: في الاصطلاح................................................. 260
ثالثا: التضرع سمة الدعاء............................................ 261

الفصل الرابع: آثار الفساد وعواقبه.

تـوطــــئة: .......................................................... 267
**المبحث الأول: آثار الفساد وعواقبه الدنيوية.** ........................ 268
المطلب الأول: المعيشة الضنك. ........................................ 269
المطلب الثاني: الختْم والطبْع والأكنّة والرّين والأقفال على القلوب. ............ 275
أولا: الـخَتْم. ........................................................ 277
ثانيا: الطّبـع. ........................................................ 279
ثالثا: الأكنّـة. ....................................................... 282
رابعا: الرّين. ........................................................ 283
خامسًا: الأقفال. ..................................................... 285
المطلب الثالث: حَبْط الأعمال. ....................................... 287
**المبحث الثاني: آثار الفساد وعواقبه الأخروية.** ........................ 294
المطلب الأول: الخسران والحسرة. ...................................... 295
المطلب الثاني: مُضاعفة العذاب وتغليظه. ............................... 301
خاتمـــــــة. .......................................................... 308
فهرس الآيات. ........................................................ 317
فهرس الأحاديث والآثار. .............................................. 355
قائمة المصادر والمراجع. ............................................. 361
فهرس الموضوعات ..................................................... 383
ملخَّص. .............................................................. 390

# ملخّص

## ملخص

# الفساد والإفساد من خلال القرآن الكريم

## دراسة في التفسير الموضوعي.

عالج هذا البحث مشكلة أو قل ظاهرة الفساد والإفساد التي عانت منها البشرية في الماضي ولاتزال، وبسببها أبيدت أمم وأقوام، ومع ذلك لا يزال امتدادها إلى يومنا، سواء على مستوى الأفراد أو المجتمعات؛ الأمر الذي يدعو بشدة إلى التساؤل والبحث عن حقيقة هذه المشكلة، عن أسبابها وأسباب امتدادها، لإيجاد طرق العلاج، وهذا لا يتأتى إلا بالعودة إلى القرآن الكريم، للخروج بالصورة الجلية حول هذه الظاهرة.

لقد تناول القرآن الكريم المشكلة باللفظين الصريحين: الفساد والإفساد، في مواضع كثيرة، ومتفرقة على كل أجزائه، إلى جانب الألفاظ المقاربة والمقابلة لها في المعنى، ليدل هذا على اهتمام القرآن الكريم بصلاح وإصلاح الفرد والمجتمع، من خلال بيان ما يفسدهما، فلم يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أتى على ذكرها وتبيانها.

وعلى وفق الآيات وما جاء فيها من المعاني، جاء تقسيم البحث الموسوم بـــ: **الفساد والإفساد من خلال القرآن الكريم، دراسة موضوعية**، إلى فصول ومباحث ومطالب، بتوظيف **منهج التفسير الموضوعي التجميعي**؛ وهو منهج حديث يقوم على تجميع آيات القرآن الكريم ذات الصلة بالموضوع، للخروج بتصور أو نظرية واضحة حوله.

وقد جاءت خطة البحث، على غرار البحوث الأكاديمية مقسمة إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة؛ أمّا **الفصل الأول** فهو مقسم إلى مبحثين: المبحث الأول فكان بمثابة مدخل مفاهيمي للفظي الفساد والإفساد من ناحية المفهوم المعجمي والاصطلاحي، والعلاقة بين اللفظين، والمبحث الثاني خصص لذم المفسدين وبيان الحكم الشرعي في حقهم، ثم المسميات التي أطلقت عليهم من خلال صور إفسادهم في الأرض.

في **الفصل الثاني** جاء البيان لمختلف المجالات التي طالها الفساد والإفساد، ومنها استنبطت أنواع وصور الفساد والإفساد المنتشرة على مستوى الأفراد والمجتمعات، فجاء تقسيم الفصل إلى عدد من المباحث وفق المجالات التي طالها الفساد والإفساد؛ المبحث الأول: المجال العقدي، المبحث الثاني: المجال الأخلاقي الاجتماعي، المجال الثالث: المجال الاقتصادي والمالي، والمبحث الرابع حول الفساد الذي يعرفه مجال الحكم والسياسة.

وهنا أودّ الإشارة إلى أن هناك من الباحثين من أورد الأنواع على أنها أسباب ودوافع، الأمر الذي يفسر علاقة المفاسد ببعضها البعض؛ وأن الفساد يجر بعضه بعضا، و أن المفسدة تؤدي إلى مفاسد.

ثم يأتي **الفصل الثالث** بعنوان: أسباب الفساد وموانعه؛ تفرّع عنه مبحثان، الأول: أسباب الفساد، والثاني حول موانعه والأمور التي تحدّ من انتشاره واستفحاله في المجتمع، وكيف للعبد أن يكبح نفسه الأمارة بالإفساد، وأن يكفها عن إفسادها في الأرض.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ الأمور التي وردت في هذا البحث على أنها أسباب، قد وردت في دراسات أخرى على أنها صور ومظاهر مختلفة للفساد والمفسدين. أمّا المبحث الثاني من هذا الفصل فكان حول سبل دفع الفساد وردع المفسدين.

وفي **الفصل الرابع** توضيح وبيان للآثار الدنيوية والأخروية التي استحقها ويستحقها المفسدون في الأرض، في كل زمان ومكان.

وفي الأخير ذيّل هذا البحث بخاتمة جمعت ما أسفر عنه البحث؛ من أن الإفساد في الأرض خصلة شنيعة، بل مرض يصيب الفرد كما يصيب المجتمع، وتتسع دائرته وعدواه كلما توفرت له العوامل التي تساعده على ذلك؛ كتراجع قيمة النهي عن الإفساد، وهشاشة العقيدة الإيمانية التي يحملها العبد بين جنبيه عموما.

# SUMMARY


## The corruption and Misguidance Through the Holy Quran

### A study in objective interpretation

This research addresses the persistent problem of corruption and misconduct that has afflicted humanity in the past and continues to do so. Throughout history, nations and peoples have been destroyed due to this phenomenon, which still extends into our present day, affecting both individuals and societies. This underscores the urgent need to question and investigate the truth behind this issue, its causes, and the reasons for its persistence. The search for remedies necessitates a return to the Quran, seeking a clear understanding of this phenomenon.

The Quran explicitly discusses corruption and misconduct using these terms in various places across its chapters. It also employs synonymous expressions to emphasize its concern for the righteousness and reformation of individuals and societies, highlighting what corrupts them. The research, titled "Corruption and Misconduct in the Quran: An Objective Study," is structured into chapters and sections, utilizing a thematic interpretative approach to gather relevant Quranic verses and formulate a comprehensive theory.

Following a conventional academic format, the research comprises an introduction, four chapters, and a conclusion. The first chapter serves as a conceptual introduction to the terms "corruption" and "misconduct," addressing their lexical and terminological aspects and exploring their interrelation. The second chapter delves into the diverse domains affected by corruption, categorizing its types and forms at both individual and societal levels.

The third chapter meticulously examines the causes of corruption and the barriers to its proliferation. It consists of two sections: the first focuses on the causes of corruption, while the second discusses impediments and measures to curb its spread. The research emphasizes how individuals can restrain themselves from engaging in corruption and contribute to its prevention.

The fourth chapter elucidates the temporal and eternal consequences that wrongdoers deserve, serving as a lesson for reflection. The research concludes by summarizing its findings, asserting that corruption is a heinous trait affecting both individuals and society, and highlighting the factors that contribute to its expansion.

# RÉSUMÉ


LA DEPRAVATION ET LA CORRUPTION A TRAVERS LE CORAN
UNE ETUDE D'INTERPRETATION THEMATIQUE

Cette recherche aborde le problème persistant de la corruption et du comportement répréhensible qui a affligé l'humanité par le passé et qui continue de le faire. À travers l'histoire, des nations et des peuples ont été détruits en raison de ce phénomène, qui perdure jusqu'à notre époque, touchant à la fois les individus et les sociétés. Cela souligne la nécessité urgente de questionner et d'investiguer la vérité derrière cette question, ses causes et les raisons de sa persistance. La recherche de remèdes nécessite un retour au Coran, cherchant à comprendre clairement ce phénomène.

Le Coran aborde explicitement la corruption et le comportement répréhensible en utilisant ces termes à différents endroits à travers ses chapitres. Il utilise également des expressions synonymes pour souligner son souci de la droiture et de la réforme des individus et des sociétés, mettant en évidence ce qui les corrompt. La recherche, intitulée "Corruption et Comportement Répréhensible dans le Coran : Une Étude Objective", est structurée en chapitres et sections, utilisant une approche interprétative thématique pour rassembler des versets coraniques pertinents et formuler une théorie complète.

Suivant un format académique conventionnel, la recherche comprend une introduction, quatre chapitres et une conclusion. Le premier chapitre sert d'introduction conceptuelle aux termes "corruption" et "comportement répréhensible", abordant leurs aspects lexicaux et terminologiques et explorant leur interrelation. Le deuxième chapitre plonge dans les domaines

divers touchés par la corruption, catégorisant ses types et formes tant au niveau individuel que social.

Le troisième chapitre examine minutieusement les causes de la corruption et les obstacles à sa propagation. Il se compose de deux sections : la première se concentre sur les causes de la corruption, tandis que la deuxième discute des obstacles et des mesures pour en limiter la propagation. La recherche met l'accent sur la manière dont les individus peuvent se retenir de participer à la corruption et contribuer à sa prévention.

Le quatrième chapitre éclaire les conséquences temporelles et éternelles méritées par les malfaiteurs, servant de leçon pour la réflexion. La recherche se conclut en résumant ses conclusions, affirmant que la corruption est un trait odieux qui affecte à la fois les individus et la société, et mettant en avant les facteurs qui contribuent à son expansion.